أيام الحبيب ﷺ

قَصَص من السِّيرة النَّبويَّة

تأليف

د. أحمد شيخ بنقورا

مصطفىٰ عدنان الحمداني

كتاب طيوف سلسلة من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

السيد حسن

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

المدير التنفيذى

هناء أمين

الطبعة الأولى
الكتاب : أيام الحبيب صلى الله عليه وسلم
المؤلف : د. أحمد شيخ بنقورا
مصطفى عدنان الحمداني
تصنيف الكتاب : إسلامى
تصميم وإخراج : مؤسسة طيوف
المقاس ١٧ × ٢٤
رقم الإيداع : ٤٣٩٠ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 628 - 9

العنوان : ٢٩٨ شارع الملك فيصل - محطة ضياء

Email : ketabtoyof@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : كتاب طيوف

جميع الحقوق محفوظة

أيام الحبيب ﷺ

قَصَص من السِّيرة النَّبويَّة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَظَّمَ القَصَصَ كَوَسِيْلةٍ لِتَبلِيغِ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ، وَاسْتَخْدَمَهَا أَنْبِيَاؤهُ فِي تَبْلِيغِ دَعْوَتِهِمْ؛ لِأَنَّ لِلْقَصَصِ أَثَراً كَبِيراً فِي نُفُوسِ بَنِي آدَمَ، إِذْ هِيَ مِنْ أَبْلَغِ الطُّرُقِ فِي تَعْلِيْمِ المُخَاطَبِينَ وَالتَّأْثِيْرِ عَلَيْهِمْ، لِذَا فَإِنَّ سِيرَةَ كُلِّ رَسُولٍ قِصَّةٌ يَعْتَبِرُ بِها أُولُوا الْأَلْبَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:١٧٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف:١١١].

لِذَلِكَ جَمَعْنا هَذَا الْكِتابَ مِنْ سِيرَةِ نَبِيِّنَا -عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمِ- اِخْتَرنا فِيهِ مَوَاقِفَ مُضِيئَةً مِن حَياتِهِ ﷺ -وَسِيرَتُهُ كُلُّها ضِياءٌ وَنُورٌ- مِن طُفُولَتِهِ إِلى الْتِحَاقِهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى فِي حُجْرَةِ أُمِّنَا عَائِشَةَ رضي الله عنها . مُعْتَمِدَينِ فِي جَمْعِنا عَلَى كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالسِّيْرَةِ.

هَذِهِ الْقَصَصُ تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ خُلُقِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَتُمَثِّلُ تَفْسِيراً لِمَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ حِينَ نَعَتَ رَسُولَهُ ﷺ بِقَولِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وَقَولِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

نَتَمَنَّى لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَقْرَأُ هَذِهِ الْقُطُوفَ الْمُخْتَارَةَ اِزْدِياداً فِي الْإِيْمانِ، وَانْشِرَاحاً فِي الصَّدْرِ، وَمَزِيداً مِنْ مَحَبَّةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ، وَرَغْبَةً فِي الاِقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ ﷺ بِمَا تَبَقَّى لهُ مِنْ عُمُرِهِ،

وَلِكُلِّ قَارِئ غَيرِ مُسْلِمٍ أَنْ يَجِدَ فِي هَذِهِ الْأَزْهَارِ الـمُتَنَاثِرَةِ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ صُورَةَ حَياةِ النَّبِيِّ ﷺ تَكُونُ بَاعِثَةً لهُ عَلَى الِاهْتِمـامِ الْأَكْثَرِ بِسِيرَةِ إِنْسانٍ يُعَدُّ الْأَكْثَرَ تَأْثِيراً فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ.

نَسْأَلُ اللهَ ﷻ أَنْ يَجْزِيَ كُلَّ مَنْ سَاهَمَ فِي تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتابِ، وَنَخُصُّ بِالذِّكْرِ الْأَخَوَينِ الْكِينِيَّينِ عَيْدَرُوسَ وَأَحْمَدَ اِبْنَي مُحْسِنٍ.

وقبلَ أن أختمَ سطورَ هَذه المقدمةِ لابدَّ مِنَ التَّنويهِ بِإفَادتي مِن سلسلةِ الدكتور طارق سويدان في السَّيرةِ النَّبويَّةِ، وكذلكَ مِن دُروس الشَّيخِ المَغْراويِّ الجزائريِّ -حفظه الله-.

نَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا هَذَا الْعَمَلَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مَنْ جُمِعَتْ مِنْ سِيرَتِهِ هَذِهِ الـمَوَاعِظُ وَالْعِبَرُ

وَالْحمدُ لله ربِّ العالمين

د. أحمد شيخ بنقورا

جامعة سان فرانسيسكو

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

١- مُحمدٌ ﷺ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ تَحلُّ بَرَكَتُهُ عَلَى أُسْرَةِ حَلِيمَة

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ -أُمُّ رَسُولِ الله ﷺ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ- تُحَدِّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَابْنٍ لَـهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ، قَالَتْ: وَذَلِكَ فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ[١] لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا . قَالَتْ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ[٢]، مَعَنَا شَارِفٌ[٣] لَنَا -وَالله مَا تَبِضُّ[٤] بِقَطْرَةٍ- وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيِّنَا الَّذِي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ، مَا فِي ثَدْيَيَّ مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ. - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ: يُغَذِّيهِ - وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ.

فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ فَلَقَدْ أَذَمَّتْ[٥] بِالرَّكْبِ؛ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجَفًا، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ فَتَأْبَاهُ إِذَا قِيلَ لَـهَا: إِنَّهُ يَتِيمٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ، وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ، فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ، فَمَا بَقِيَتِ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي.

---

(١) سنة شهباء: ذات قحط وجدب. والشهباء: الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها؛ لقلة المطر من الشهبة، وهي البياض؛ فسُمِّيت سنة الجدب بها.

(٢) الأتان: الحمار يقع على الذكر والأنثى،والأَتَانُ الحمارَةُ الأنثى خاصَّةً.والقمراء: القُمْرَة لون إِلى الخُضْرة، وقيل: بياض فيه كُدْرَة، وحِمارٌ أَقْمَرُ. قال ابن قتيبة: الأَقمر الأَبيض الشديد البياض والأُنثى قَمْراء.

(٣) الشارف: الناقة المسنة التي ارتفع لبنها.

(٤) تبض: أي ما يقطر منها قطرة لبن.

(٥) «حتى أذمت»أي: أذمت الأتان، أي: جاءت بما تذم عليه. والمعنى: أنها أبطأت عليهم حتى حبستهم.

فَلَمَّـا أَجْمَعْنَا الِانْطِلَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي: وَالله، إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَالله، لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ. قَالَ: لَا عَلَيْـكِ أَنْ تَفْعَـلِي، عَسَـى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً .

قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَـيْرَهُ . قَالَـتْ: فَلَمَّـا أَخَذْتُهُ، رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَّـا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَـا شَـاءَ مِـنْ لَـبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْـلَ ذَلِـكَ، وَقَـامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إِنَّهَا لَحَافِلٌ[1] فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّـى انْتَهَيْنَـا رِيًّـا وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ . قَالَتْ: يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا : تَعْلَمِي -وَالله- يَا حَلِيمَةُ، لَقَـدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً. قَالَتْ: فَقُلْت: وَالله، إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ .

قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَنَا أَتَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِي، فَوَالله لَقَطَعَتْ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقُلْنَ لِي: يَا ابْنَةَ أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيْحَكِ ارْبَعِـي[2] عَلَيْنَـا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَكِ الَّتِي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا ؟ فَأَقُولُ لَـهُنَّ: بَلَى وَالله، إِنَّهَا لَـهِيَ هِيَ. فَـيَقُلْنَ: وَالله، إِنَّ لَـهَا شَأْنًا .

قَالَتْ: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ. وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الله أَجْدَبَ مِنْهَا. فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبَنًا. فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ. وَمَـا يَحْلُـبُ إِنْسَـانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ. حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِـنْ قَوْمِنَـا يَقُولُـونَ لِرُعْيَـانِهِمْ: وَيْلَكُـمْ، اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْب فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ

---

(١) حافل: أي: مُمْتلِئة الضُّروع، كثيرة اللَّبَن.

(٢) اربعي: أي ارْفُقي واقْتَصري.

غَنَمِي شِبَاعًا لُبْنًا، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ؛ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا[1].

قَالَتْ: فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا؛ لِمَا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ. فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ، وَقُلْتُ لَهَا: لَوْ تَرَكْتِ بُنَيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ. قَالَتْ: فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا[2].

٢- حِفْظُ اللهِ تَعَالَى لِرَسولِهِ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ

قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ: شَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاللهُ تَعَالَى يَكْلَؤُهُ[3] وَيَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ أَقْذَارِ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا، وَأَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً[4] وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جِوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تُدَنِّسُ الرِّجَالَ تَنَزُّهًا وَتَكَرُّمًا، حَتَّى مَا اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ إِلَّا الْأَمِينُ؛ لِمَا جَمَعَ اللهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -فِيمَا ذُكِرَ لِي- يُحَدِّثُ عَمَّا كَانَ اللهُ يَحْفَظُهُ بِهِ فِي صِغَرِهِ وَأَمْرِ جَاهِلِيَّتِهِ، أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي[5] فِي غِلْمَانِ قُرَيْشٍ نَنْقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ بِهِ الْغِلْمَانُ

---

(١) غلاماً جفرًا: أي غليظاً شديداً، ومنه الجفر والجفرة من المعز، ويقال: هو الصبي ابن أربعة أعوام أو نحوها.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٤:٢٤٣) رقم (٦٣٣٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣:٧٤) رقم (٧١٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١:٥٧) رقم (٤٥). وابن هشام في «سيرته» (١:١٦٢) واللفظ له.

(٣) يُقَال: كَلَأَهُ اللهُ كِلَاءَة -بِالْكَسْرِ- أَيْ: حَفِظَهُ وَحَرَسَهُ.

(٤) المروءة: آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، أو هي كمال الرجولية.

(٥) رأيتُني -بضم التاء- والمعنى: رأيت نفسي.

كُلُّنَا قَدْ تَعَرَّى، وَأَخَذَ إِزَارَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ، فَإِنِّي لَأُقْبِلُ مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَأُدْبِرُ إِذْ لَكَمَنِي لَاكِمٌ -مَا أَرَاهُ- لَكْمَةً وَجِيعَةً، ثُمَّ قَالَ: شُدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ. قَالَ: فَأَخَذْتُهُ وَشَدَدْتُهُ عَلَيَّ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِي وَإِزَارِي عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي»[1].

وَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَمَّا نَشَأْتُ بُغِّضَتْ إِلَيَّ الأَوْثَانُ، وبُغِّضَ إِلَيَّ الشِّعْرُ، وَلَمْ أَهُمَّ بِشَيءٍ مِمَّا كَانَتِ الجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلكَ يَحُولُ اللهُ بَيْنِي وَبَينَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلكَ. ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ بَعْدَهُمَا حَتَّى أَكْرَمَنِي اللهُ بِرِسالَتِهِ.

قُلْتُ لَيلةً لِغُلامٍ كَانَ يَرْعَى مَعِي: لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ كَمَا يَسْمُرُ الشَّبابُ، فَخَرَجْتُ لِذَلكَ حَتَّى جِئْتُ أَولَ دَارٍ مِنْ مَكَّةَ أَسْمَعُ عَزْفاً بِالدُّفُوفِ وَالمَزَامِيرِ لِعُرْسٍ بَعْضِهِمْ، فَجَلَسْتُ لِذَلكَ، فَضَربَ اللهُ عَلى أُذُنيَّ فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، ثُمَّ عَرَانِي مَرَّةً أُخْرَى مِثْلُ ذَلكَ»[2].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ؛ فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ؛ يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ. فَفَعَلَ؛ فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ[3] عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ؛ فَقَالَ: «إِزَارِي إِزَارِي»[4] فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ[5].

---

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص١٢٧)، و «السيرة النبوية» لابن هشام (١:١٨٣)، و «دلائل النبوة» للبيهقي (١:٤١١) رقم (٣٦٥). وفي سنده مبهم.

(٢) «السيرة النبوية » لابن إسحاق (ص١٢٨). وفي سنده محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، وثقه ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» (ص٢١١) رقم (١٠٣٠) قال: من متقني أهل المدينة. وذكره في «الثقات» (٧:٣٧٠). وقال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» (٢:٩٩): مقبول. وذكره البخاري في «تاريخه الكبير» (١:١٣٠) وساق حديثه، ولم يذكر فيه جرحاً.

(٣) طمحت: ارتفعت.

(٤) إزاري إزاري: أي: أعطوني إياه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٣٤٠).

وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ؛ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ، فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ. قَالَ: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ؛ قَالَ: فَمَا رُؤِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عُرْيَانًا [1].

٣- قِصَّةُ بَحِيرَى

بَشَّرَ الأَنْبِياءُ عليهم السلام بِبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ جَاءَ التَّبْشِيرُ بِهِ صَرِيحاً عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ، يَقُولُ اللهُ عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

وأَمَّا التَّبْشِيرُ بِصِفَاتِهِ وَعَلامَاتِهِ فَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي التَّوراةِ وَالإِنْجِيلِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الكِتابُ الكَرِيمُ، يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وَمِنْ ذَلِكَ خَبَرُ بَحِيرَى الرَّاهِبِ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَجْمَعَ الْمَسِيرَ صَبَّ[2] بِهِ رَسُولُ الله ﷺ -فِيمَا يَزْعُمُونَ- فَرَقَّ لَهُ، وَقَالَ: وَالله، لَا يُفَارِقُنِي، وَلَا أُفَارِقُهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤١).

وفي هذا الحديث والذي قبله ليس فيهما أنَّ عورته ﷺ انكشفت للناس، إذ لأوَّل انكشافه سقط إلى الأرض مغشيًا عليه كما ذكر في الحديث، ولعله قبل أن تقع عين أحدٍ عليه.

(٢) الصَّبَابَةُ: رِقَّةُ الشَّوْقِ، يُقَالُ صَبِبْتُ - بِكَسْرِ الْبَاءِ - أَصَبُّ.

فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهَا رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ: (بَحِيرَى[1]) فِي صَوْمَعَةٍ[2] لَهُ، وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ، فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى، وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَمُرُّونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِك، فَلَا يُكَلِّمُهُمْ، وَلَا يَعْرِضُ لَهُمْ[3]، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ. فَلَمَّا نَزَلُوا بِهِ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ- عَنْ شَيْءٍ رَآهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرَّكْبِ[4] حِينَ أَقْبَلُوا، وَغَمَامَةٌ تُظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ.

قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلُوا فَنَزَلُوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ، وَتَهَصَّرَتْ[5] أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَحِيرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ الطَّعَامِ، فَصُنِعَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلُّكُمْ صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ عَبْدُكُمْ وَحُرُّكُمْ؛ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَالله يَا بَحِيرَى إِنَّ لَكَ لَشَأْنًا الْيَوْمَ، مَا كُنْت تَصْنَعُ هَذَا بِنَا، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيرًا، فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟

---

(١) قال العلامة السهيلي: وقع في «سير الزهري» أن بحيرى كان حبراً من يهود تيماء (بلدة صغيرة من أطراف الشام، كان يقال لها تيماء اليهودي)، وفي المسعودي: أنه كان من عبد القيس، واسمه سرجس. وفي «المعارف» لابن قتيبة، قال: سُمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى، وَرِبَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّنِّيُّ، والثالث المنتظر. فكان الثالث رسول الله ﷺ. «الروض الأنف» (٢: ١٤٠).

(٢) بيت العبادة عند النصارى ومتعبد الناسك.

(٣) بمعنى: لا يخرج لهم من صومعته ولا يظهر.

(٤) الركب: الراكبون العشرة فما فوق (جمعه: أَرْكُبٌ ورُكُوبٌ).

(٥) تَهَصَّرَتْ أَغصانُ الشَّجرَة : تَهَدَّلَتْ. وتهدل الشيء: استرخى أو تدلى، يقال: تهدلت الشَّفَةُ استرخت، وتهدل الثمر أو الغصن تدلى.

قَالَ لَهُ بَحِيرَى: صَدَقْتَ، قَدْ كَانَ مَا تَقُولُ، وَلَكِنَّكُمْ ضَيْفٌ وَقَدْ أَحْبَبْت أَنْ أُكْرِمَكُمْ، وَأَصْنَعَ لَكُمْ طَعَامًا، فَتَأْكُلُوا مِنْهُ كُلُّكُمْ. فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ وَتَخَلَّفَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ – لِـحَدَاثَةِ سِنِّهِ[1]– فِي رِحَالِ[2] الْقَوْمِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

فَلَمَّـا نَظَرَ بَحِيرَى فِي الْقَوْمِ لَمْ يَرَ الصِّفَةَ الَّتِي يَعْرِفُ وَيَـجِدُ عِنْدَهُ؛ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي. قَالُوا لَهُ: يَا بَحِيرَى، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إلَّا غُلَامٌ وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ سِنًّا. فَتَخَلَّفَ فِي رِحَالِـهِمْ؛ فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا، اُدْعُوهُ فَلْيَحْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ.

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ: وَاَللَّاتِ وَالْعُزَّى، إنْ كَانَ لَلُؤْمٌ[3] بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ قَامَ إلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ. فَلَمَّـا رَآهُ بَحِيرَى، جَعَلَ يَلْحَظُهُ[4] لَحْظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ، وَقَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ، حَتَّى إذَا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا، قَامَ إلَيْهِ بَحِيرَى؛ فَقَالَ: يَا غُلَامُ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، إلَّا مَا أَخْبَرْتنِي عَمَّـا أَسْأَلُك عَنْهُ؟ وَإِنَّمَـا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَـا، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَسْأَلْنِي بِاَللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا، فَوَالله مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضَهُمَـا».

فَقَالَ لَهُ بَحِيرَى: فَبِالله إلَّا مَا أَخْبَرْتنِي عَمَّـا أَسْأَلُكَ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ: «سَلْنِي عَمَّـا بَدَا لَك». فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ؛ فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يُـخْبِرُهُ

---

(١) حَداثَة السِّنّ : كناية عن الشَّباب وأوَّل العُمر.

(٢) الرَّحْل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب، وكل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره، جمعه: أرحل، ورحال.

(٣) اللُّؤْم ضد الكَرَم، واللَّئِيمُ: الدَّنِيءُ الأَصلِ الشحيحُ النفس.

(٤) لحَظَه يَلْحَظُه لَحْظاً ولَحَاظاً، ولَحَظَ إليه: نظره بمؤخِرِ عينِه من أَيِّ جَانبيهِ كانَ يميناً أَو شمـالاً.

فَيُوَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْـمِحْجَمِ[1].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّـا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْك؟ قَالَ: ابْنِي. قَالَ لَهُ بَحِيرَى: مَا هُوَ بِابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِـهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا، قَالَ: فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي، قَالَ: فَمَـا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ: مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قَالَ: صَدَقْتَ، فَارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودَ، فَوَاللهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ[2] شَرًّا، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لَابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ.

فَخَرَجَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ سَرِيعًا، حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَّةَ حِينَ فَرَغَ مِنْ تِـجَارَتِهِ بِالشَّامِ، فَزَعَمُوا -فِيمَـا رَوَى النَّاسُ- أَنَّ زُرَيْرًا وَتَـمَّـامًا وَدَرِيسًا-وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ- قَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ مَا رَآهُ بَحِيرَى فِي ذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَأَرَادُوهُ فَرَدَّهُمْ عَنْهُ بَحِيرَى، وَذَكَّرَهُمْ اللهَ وَمَا يَـجِدُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَجْمَعُوا لِـمَـا أَرَادُوا بِهِ لَمْ يَخْلُصُوا[3] إِلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى عَرَفُوا مَا قَالَ لَهُمْ، وَصَدَّقُوهُ بِمَـا قَالَ؛ فَتَرَكُوهُ وَانْصَرَفُوا عَنْهُ[4].

---

(١) قال العلامة السهيلي: وَقَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ: كَانَ كَأَثَرِ الْمِحْجَمِ، يَعْنِي: أَثَرَ الْمِحْجَمَةِ الْقَابِضَةِ عَلَى اللَّحْمِ حَتَّى يَكُونَ نَاتِئًا. وَفِي صِفَتِهِ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ كَالتُّفَّاحَةِ وَكَزِرِّ الْحَجَلَةِ. «الروض الأنف» (٢:١٤٢). وهناك أقوال أخرى في صفة خاتم النبوة.

(٢) أي: يريدون ويطلبون له الشَّرَّ.

(٣) خلص إليه: أي وصل. بمعنى أنكم لا تستطيعون الوصول إليه، ولا يمكنكم إيقاع الشر به.

(٤) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص١٢٣) واللفظ له، وابن هشام في «السيرة» (١:١٨٠)، وابن سعد في «الطبقات» (١:١٥٣) بأسانيد معضلة، وأخرج القصة الترمذي في «جامعه» (٥:٥٩٠) رقم (٣٦٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والحاكم في «المستدرك» (٢:٦٧٢) رقم (٤٢٢٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

٤- غُلامُ خَدِيجَةَ (مَيْسَرةُ) يَرَى إرْهَاصَاتِ[1] النُّبُوَّةِ

لَقَدْ هيَّأَ اللهُ ﷻ لِلنَّبِيِّ ﷺ مُهَيِّئَاتٍ كَثِيرةً، وَوَقَعَتْ عِدَّةُ أَحْدَاثٍ كَانَتْ بِمَثَابَةِ إِرْهَاصَاتٍ وَعَلَامَاتٍ وَدِلَالَاتٍ عَلَى نُبُوَّتِهِ ﷺ، منها: **تَسْلِيْمُ الـحَجَرِ**. فَعَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»[2]. ومنها: **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ**، كَمَـا رَوَتْ عَائِشَةُ ﵂: «كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»[3]. وَغَيْرُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا شَاهَدَهُ مَيْسَرَةُ فِي رِحْلَتِهِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الشَّامِ، وإليك الخبر:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ. تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِـهَا، وَتُضَارِبُهُمْ[4] إِيَّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَـهُمْ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجَّارًا ؛ فَلَمَّـا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ مَا بَلَغَهَا، مِنْ صَدْقِ حَدِيثِهِ، وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ؛ بَعَثَتْ إِلَيْهِ،

---

(١) قال محمد بن علي التهاوني: (الإرهاص) شرعاً: قسم من الخوارق، وهو الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة، سمي به لأن الإرهاص في اللغة بناء البيت، فكأنه بناء بيت إثبات النبوة. «كشاف اصطلاحات الفنون» (٣:٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٧)، وأحمد (٥:٨٩)، والدارمي (٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠). والمراد بفلق الصبح: ضياؤه. وخص بالتشبيه لظهوره الواضح الذي لا شك فيه.

(٤) المُضَاربة : أن تُعْطِي مالاً لغيرك يَتَّجِر فيه فيكون له سهمٌ معلومٌ من الرِّبح، وهي مُفَاعَلة من الضرب في الأرض، والسَّير فيها للتجارة.

فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَـهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيَهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنَ التُّجَّارِ مَعَ غُلَامٍ لَـهَا يُقَالُ لَهُ: مَيْسَرَةَ[1]. فَقَبِلَهُ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهَا.

وَخَرَجَ فِي مَالِـهَا ذَلِكَ وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ، حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ. فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنَ الرُّهْبَانِ، فَاطَّلَعَ الرَّاهِبُ إِلَى مَيْسَرَةَ؛ فَقَالَ لَهُ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْـحَرَمِ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ.

ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ الله ﷺ سِلْعَتَهُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ، ثُمَّ أَقْبَلَ قَافِلًا[2] إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ. فَكَانَ مَيْسَرَةُ -فِيمَـا يَزْعُمُونَ- إِذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ[3] وَاشْتَدَّ الْحُرُّ، يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ مِنَ الشَّمْسِ، وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ. فَلَمَّـا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَـالِـهَا، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَأَضْعَفَ[4] أَوْ قَرِيبًا.وَحَدَّثَهَا مَيْسَرَةُ عَنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وَعَمَّـا كَانَ يَرَى مِنْ إِظْلَالِ الْـمَلَكَيْنِ إِيَّاهُ.

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً مَعَ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّـا أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَـا أَخْبَرَهَا بِهِ بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ لَهُ -فِيمَـا يَزْعُمُونَ-: يَا ابْنَ عَمِّ، إِنِّي قَدْ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: ميسرة غلام خديجة، ذكر في السيرة، وكان رفيق النبي ﷺ في تجارة خديجة قبـل أن يتزوجها، وحَكَى بعضَ أدلة نبوته، وترجم له ابن عساكر، ولم أقف على رواية صريحـة بأنـه بقـي إلى البعثـة، فكتبته على الاحتمال. «الإصابة في تمييز الصحابة» (٦:٢٤٠).

(٢) أي:راجعاً.

(٣) الْهَاجِرَة: نِصْف النَّهَار عِنْد اِشْتِدَاد الْحَرِّ.

(٤) أي: تضاعف المال إلى مثله أو قريباً منه.

رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ، وَسِطَتِكَ[1] فِي قَوْمِك، وَأَمَانَتِكَ وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ، ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا ؛ كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ[2].

٥- خَديجةُ تَخْطِبُ النَّبيَّ ﷺ

رَوَى ابنُ سَعْدٍ عَنْ عُمَيرَةَ بِنْتِ عُبَيدِ الله بْنِ كَعْبِ بنِ مالكٍ، عَنْ أُمِّ سَعْدٍ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ نَفِيسَةَ بِنْتِ مُنْيَةَ، قَالَتْ: كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ امْرَأَةً حَازِمَةً جَلْدَةً شَرِيفَةً؛ مَعَ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا مِنَ الكَرَامَةِ وَالخَيرِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ قُرَيشٍ نَسَباً، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفاً، وَأَكْثَرُهُمْ مَالاً، وَكُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيْصاً عَلَى نِكَاحِهَا لَوْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ، قَدْ طَلَبُوهَا وَبَذَلُوا لَهَا الْأَمْوَالَ، فَأَرْسَلَتْنِي دَسِيساً[3] إِلَى مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ فِي عِيْرِهَا مِنَ الشَّامِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزَوَّجَ؟ فَقَالَ: «مَا بِيَدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ».

قُلْتُ: فَإِنْ كُفِيْتَ ذَلِكَ وَدُعِيْتَ إِلَى الجَمَالِ وَالمَالِ وَالشَّرَفِ وَالْكَفَاءَةِ، أَلَا تُجِيبُ؟ قَالَ: «فَمَنْ هِيَ؟». قُلْتُ: خَدِيْجَةُ، قَالَ:«وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟» قَالَتْ: قُلتُ: عَلَيَّ، قَالَ: «فَأَنَا أَفْعَلُ»[4].

---

(١) السِّطَةُ مِنْ الْوَسَطِ مَصْدَرٌ كَالْعِدَةِ وَالزِّنَةِ، وَالْوَسَطُ مِنْ أَوْصَافِ الْمَدْحِ وَالتَّفْضِيلِ، وَلَكِنْ فِي مَقَامَيْنِ: فِي ذِكْرِ النَّسَبِ، وَفِي ذِكْرِ الشَّهَادَةِ. «الروض الأنف» (٢:١٥٣).

(٢) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (١:١٢٨).«سيرة ابن هشام» (١:١٨٧). والبيهقي في «دلائل النبوة» (١:٤٤٦) من طريق ابن إسحاق. ونرى هنا ابن إسحاق ناقداً للرواية بقوله المتكرر: فِيمَا يَزْعُمُونَ.

(٣) أي: خفية إلى محمد ﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشام.

(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١:١٣١)، ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

٦- نُزولُ جِبْـرِيلَ عليه السلام بالوَحْيِّ

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْـوَحْيِ[١] الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ[٢] فِي النَّوْمِ[٣]؛ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْـخَلَاءُ[٤]، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ[٥] فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْـعَدَدِ[٦] قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ[٧] إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ[٨]، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِـمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْـحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْـمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»[٩].

---

(١) تصريح من السيدة عائشة رضي الله عنها بأن رؤيا النبي ﷺ من جملة أقسام الوحي، وهذا متفق عليه، وإنما بُدئ ﷺ بالوحي في المنام قبل جميع أقسام الوحي؛ ليكون تمهيداً وتوطئة بمجيء الملك إليه في اليقظة بالوحي؛ لئلا يأتيه بصريح النبوة بغتة.

(٢) أنها الصادقة ؛ لأنها صالح ما يرى في المنام من الأضغاث، وأباطيل الأحلام.

(٣) «في النوم» لزيادة الإيضاح، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة؛ لجواز إطلاقها مجازاً.

(٤) لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ لِعَدَمِ تَحَقُّقِ الْبَاعِثِ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله، أَوْ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَاعِثِ الْبَشَرِ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الْإِلْـهَامِ، وَالسِّرُّ فِيهِ أَنَّ الْخَلْوَةَ فَرَاغُ الْقَلْبِ لِـمَـا يَتَوَجَّهُ لَهُ.

(٥) (التَّحَنُّث) التَّعَبُّدُ، وَأَصْل الْحِنْث الْإِثْم، فَمَعْنَى يَتَحَنَّث يَتَجَنَّب الْحِنْث، فَكَأَنَّهُ بِعِبَادَتِهِ يَمْنَع نَفْسَهُ مِنَ الْحِنْث، وَمِثْل يَتَحَنَّث يَتَحَرَّج وَيَتَأَثَّم أَيْ يَتَجَنَّب الْحَرَج وَالْإِثْم.

(٦) أي الليالي الكثيرة.

(٧) يرجع.

(٨) ويتزود لمدة خلوته وتعبده، والتزود اتخاذ الزاد، والزاد هو الطعام الذي يستصحبه المسافر.

(٩) لا أعرف القراءة ولا أحسنها.

قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[1] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْـجَهْدَ[2]، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْـتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْـجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْـتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها؛ فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»[3]. فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[4]؛ فَقَالَ لِـخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْـخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَالله مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْـكَلَّ[5]، وَتَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ[6]، وَتَقْرِي الضَّيْفَ[7]، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْـحَقِّ[8].

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْـعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَءًا قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْـجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْـكِتَابَ الْـعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْـعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ؛ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ

---

(١) ضمني وعصرني حتى حبس نفسي ومثله غتني.

(٢) قال الإمام النووي: وَأَمَّا (الْجَهْد) فَيَجُوز فَتْحُ الْجِيم وَضَمُّهَا، لُغَتَانِ. وَهُوَ الْغَايَة وَالْمَشَقَّة . وَيَجُوز نَصْبُ الدَّال وَرَفْعُهَا: فَعَلَى النَّصْب: بَلَغَ جِبْرِيل مِنِّي الْجَهْد، وَعَلَى الرَّفْع: بَلَغَ الْجَهْد مِنِّي مَبْلَغه وَغَايَته.

(٣) أَيْ: لُفُّونِي، يُقَالُ: زَمَّلَهُ فِي ثَوْبِهِ، إِذَا لَفَّهُ فِيهِ.

(٤) الروع: الفَزَع.

(٥) أي: أنك تعين الضعيف، وترفع ما عليه من الثقل.

(٦) تتبرع بالمال لمن عدمه، وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.

(٧) تهيىء له القِرَى، وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب .

(٨) النوائب جمع نائبة، وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات، وأضيفت إلى الحق؛ لأنها تكون في الحق والباطل.

عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى؛ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[1] الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً[2]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟! قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ[3] أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً[4]. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[5] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ[6] الْـوَحْيُ[7].

٧- خديجةُ رضي الله عنها تَتَأَكَّدُ مِنْ ضَيْفِ النَّبيِّ ﷺ

رَوَى ابْنُ هِشَامٍ عَنْ خَدِيجَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ: «أَيْ ابْنَ عَمِّ، أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِك هَذَا الَّذِي يَأْتِيك إِذَا جَاءَك؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَك فَأَخْبِرْنِي بِهِ.

فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام كَمَا كَانَ يَصْنَعُ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِخَدِيجَةَ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي.

قَالَتْ: قُمْ -يَا ابْنَ عَمِّ- فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُسْرَى. قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُمْنَى. قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ عَلَى فَخِذِهَا الْـيُمْنَى؛ فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ

---

(١) صاحب سر الملك الذي لا يحضر إلا بخير، ولا يظهر إلا الجميل، ويقال: نامسه ينامسه منامسة، إذا سَارَّهُ، وسُمي جبريل عليه السلام ناموساً؛ لأنه مخصوص بالوحي والغيب اللذين لا يطلع عليهما غيره.

(٢) جذع: شاب، والجذع في الأصل الصغير من البهائم، ثم استعير للشاب من الإنسان.

(٣) يومك: يوم إخراجك، أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك .

(٤) مؤزرا: قوياً من الأزر وهو القوة.

(٥) فلم ينشب: بفتح الشين، أي: لم يمكث. وأصل النشوب التعلق، فكأنه قال: لم يتعلق بشيء غير ما ذكر.

(٦) فتر الوحي: فتوره عبارة عن تأخُّره مُدَّة، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وَجَدَهُ من الرَّوع.

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣)، ومسلم رقم (١٦٠).

فَاجْلِسْ فِي حَجْرِي[1]. قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ فِي حَجْرِهَا. قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَتَحَسَّرَتْ وَأَلْقَتْ خِمَارَهَا وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: يَا ابْنَ عَمٍّ، اُثْبُتْ، وَأَبْشِرْ فَوَالله إِنَّهُ لَمَلَكٌ، وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ[2].

٨- سَلامٌ مِنَ الله عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ[3] أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ[4]»[5].

---

(١) حَجْرُ الْإِنْسَانِ -بِالْفَتْحِ وَقَدْ يُكْسَرُ- حِضْنُهُ وَهُوَ مَا دُونَ إِبْطِهِ إِلَى الْكَشْحِ.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «سيرته» (١:٩٥)، و «ابن هشام» (١:٢٣٨)، والماوردي في «أعلام النبوة» (ص٢٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢:١٥٢). وهو حديث مرسل.

قَالَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ: وَهَذَا شَيءٌ كَانَتْ خَدِيجَةُ ﵂ تَصْنَعُهُ تَسْتَثْبِتُ بِهِ الأَمْرَ احْتِيَاطاً لِدِيْنِهَا وَتَصْدِيْقِهَا، فَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ كَانَ قَدْ وَثِقَ بِمَا قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ وَأَرَاهُ مِنَ الآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَمَا كَانَ مِنْ تَسْلِيمِ الشَّجَرِ وَالحَجَرِ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ إِجَابَةِ الشَّجَرِ لِدُعَائِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ وَشَكَاهُمْ إِلَى جِبْرِيلُ ﵇؛ فَأَرَادَ أَنْ يُطَيِّبَ قَلْبَهُ.

(٣) أَدَمْتُ الْخُبْزَ وَآدَمْتُهُ بِاللُّغَتَيْنِ: إِذَا أَصْلَحْت إِسَاغَتَهُ بِالْإِدَامِ، وَالْإِدَامُ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مَائِعًا كَانَ أَوْ جَامِدًا، وَجَمْعُهُ أُدُمٌ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتُبٍ.

(٤) القصب: اللؤلؤ المجوف، والصخب: الصوت المختلط المرتفع، والنصب: التعب.

وذكر الصخب والنصب أيضاً من باب المشاكلة؛ لأنه لما دعاها إلى الإيمان أجابته سريعاً ولم تحوجه إلى أن يصخب كما يصخب الرجل إذا تَعَصَّتْ عليه امرأته، ولا أن ينصب، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وَهَوَّنَتْ عليه كلَّ مكروه، وأزاحت بهاها كلَّ كَدَرٍ ونصب، فوصف منزلها الذي بُشِّرَتْ به بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها.

(٥) أخرجه البخاري (٣:١٣٨٩) رقم (٣٦٠٩)، ومسلم (٤:١٨٨٧) رقم (٢٣٤٢).

٩- لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الـمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّهُ حُدِّثَ، أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ: إِنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وَإِنَّا وَاللهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا[1]، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكُفَّهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ.

ثُمّ انْصَرَفُوا عَنْهُ فَعَظُمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ[2] رَسُولِ اللهِ ﷺ لَـهُمْ وَلَا خِذْلَانِهِ، فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ. فَظَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فِيهِ أَنَّهُ خَاذِلُهُ[3] وَمُسْلِمُهُ[4]، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَمُّ: وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُه» قَالَ: ثُمَّ اسْتَعْبَرَ[5] رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَكَى، ثُمَّ قَامَ.

---

(١) أي: نسب عقولنا إلى السفه، وهو خفة العقل.

(٢) أي: تسليم النبي ﷺ إلى قريش.

(٣) خَذَلْتُهُ وَخَذَلْتُ عَنْهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ، وَالِاسْمُ الْخِذْلَانُ إِذَا تَرَكْتَ نُصْرَتَهُ وَإِعَانَتَهُ وَتَأَخَّرْتَ عَنْهُ.

(٤) أسْلم فلانٌ فُلاناً إذا ألْقاه إلى الهلَكة ولم يَحْمه من عدُوِّه، وهو عامٌّ في كلِّ من أسْلمته إلى شيء، لكن دَخَلهُ التَّخْصِيصُ وغَلَبَ عليه الإلقاء في الهلَكة.

(٥) من العَبْرة، وهي تحلُّب الدمع.

فَلَمَّـا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ؛ فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ؛ فَقَالَ: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ، فَوَالله لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا [1].

١٠- أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الإِسْلامِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخْرُجُونَ بِعَمَّـارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَبِيهِ، وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ، إِذَا حَمِيَتْ الظَّهِيرَةُ يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ[2] مَكَّةَ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَيَقُول، فِيمَـا بَلَغَنِي: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الْـجَنَّة» فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا، وَهِيَ تَأْبَى إِلَّا الْإِسْلَامَ [3].

وَعَنْ أُمِّ هَانِيءٍ رضي الله عنها: أَنَّ عَمَّـارَ بنَ يَاسِرٍ وَأَبَاهُ وَأَخاهُ عَبْدَ الله، وَسُمَيَّةَ أُمَّ عَمَّـارٍ رضي الله عنهم كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي الله تَعَالَى، فَمَرَّ بِهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّة». وَفِي رِوَايَةٍ « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِآلِ يَاسِرٍ، وَقَدْ فَعَلْـتَ» فَمَـاتَ يَاسِرٌ فِي الْـعَذَابِ.

وَأُعْطِيَتْ سُمَيَّةُ لِأَبِي جَهْلٍ فَطَعَنَهَا فِي قُبُلِهَا فَمَـاتَتْ. بَعْدَ أَنْ قَالَ لَـهَا: مَا آمَنْتِ بِمُحَمَّدٍ إِلَّا لِأَنَّكِ عَشِقْتِهِ لِجَمـالِهِ. ثُمَّ طَعَنَها بِالْحَرْبَةِ فِي قُبُلِهَا[4] حَتَّى قَتَلَها، فَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ[5].

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١:٢٦٦). وقول أبي طالب هنا يؤكد ظنَّ النبيِّ ﷺ في أول الرواية.

(٢) الرَّمْضَاءُ الْحِجَارَةُ الْحَامِيَةُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ، وَرَمِضَ يَوْمُنَا رَمَضًا: اشْتَدَّ حَرُّهُ.

(٣) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص٢٢٩).

(٤) أي: في فرجها.

(٥) «السير الحلبية» (٢:١٤٨).

١١- أَحَدٌ أَحَدٌ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّهُمْ عَدَوْا[١] عَلَى مَنْ أَسْلَمَ، وَاتَّبَعَ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ؛ فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْـجُوعِ وَالْـعَطَشِ وَبِرَمْضَاءِ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الْـحَرُّ، مَنِ اسْتُضْعِفُوا مِنْهُمْ يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُفْتَنُ مِنْ شِدَّةِ الْـبَلَاءِ الَّذِي يُصِيبُهُ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَصْلُبُ لَـهُمْ، وَيَعْصِمُهُ اللهُ مِنْهُمْ.

وَكَانَ بَلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ لِبَعْضِ بَنِي جُمَحٍ مُوَلَّدًا[٢] مِنْ مُوَلَّدِيهِمْ وَهُوَ بَلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ حَمَامَةَ، وَكَانَ صَادِقَ الْإِسْلَامِ، طَاهِرَ الْقَلْـبِ، وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ، فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ[٣] مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعَ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا وَالله، لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَـمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. فَيَقُول وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِهِ وَهُوَ يُعَذَّبُ بِذَلِكَ، وَهُوَ يَقُول: أَحَدٌ أَحَدٌ ؛ فَيَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، وَالله يَا بِلَالُ. ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَمَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِهِ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَيَقُولُ: أَحْلِفُ بِالله لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لَأَتَّـخِذَنَّهُ حَنَانًا[٤]»[٥].

---

(١) عَدَا عَلَيْهِ يَعْدُو عَدْوًا وَعُدُوًّا وَعُدْوَانًا وَعَدَاءً -بِالْفَتْحِ وَالْـمَدِّ-: ظَلَمَ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ.

(٢) المولد من الرجال: العربي غير المحض، ومَنْ وُلِدَ عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم.

(٣) البَطِيحةُ والبَطْحاءُ والأَبْطَحُ، وهذه الثَّلاثةُ: مَسِيلٌ وَاسِعٌ فيه دقاقُ الحَصَى. وعن ابن سِيْدَه: قيل: بَطْحاءُ الوادي : تُرابٌ لَيِّنٌ ممّا جَرَّتْه السُّيولُ. وقال ابن الأَثير : بَطْحاءُ الوَادِي وأَبْطَحُه: حَصَاهُ اللَّيِّنُ في بَطْنِ المَسيلِ. ومنه الحديث «أَنَّه صَلَّى بالأَبْطَحِ» يَعنِي: أَبطحَ مَكَّة . قال: هو مَسيلُ وَادِيها .

(٤) لأتخذنه حنانا: أي: لأتخذنَّ قبره منسكاً ومُسْترحَماً.

(٥) «سيرة ابن هشام» (١:٣١٧). قال الحافظ ابن حجر: وهذا مرسل جيد.

١٢- عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ ﷺ يَقْتَرِبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: «كُنْتُ -وَأَنَا فِي الْـجَاهِلِيَّةِ- أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِياً، جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ[1]، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ؛ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ[2]؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ» فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ» فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»[3] قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِـمَّنْ آمَنَ بِهِ. فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»[4].

---

(١) قال الإمام النووي: قَوْله: (جُرَءاء عَلَيْهِ قَوْمه) هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيع الْأُصُول جُرَءاء -بِالْجِيمِ الْـمَضْمُومَة- جَمْع جَرِيء- بِالْهَمْزِ- مِنَ الْجُرْأَة، وَهِيَ الْإِقْدَام وَالتَّسَلُّط، وَذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي «الْجَمْع بَيْن الصَّحِيحَيْنِ» (حِرَءاء) بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَة الْـمَكْسُورَة، وَمَعْنَاهُ : غِضَاب ذُو غَمٍّ، قَدْ عِيلَ صَبْرهمْ بِهِ حَتَّى أَثَّرَ فِي أَجْسَامهمْ، مِنْ قَوْلهمْ : حَرَى جِسْمه يَحْرِي كَضَرَبَ يَضْرِب إِذَا نَقَصَ مِنْ أَلَمٍ وَغَيْره، وَالصَّحِيح أَنَّهُ بِالْجِيمِ.

(٢) قال الإمام النووي: قَوْله : (فَقُلْت لَهُ: مَا أَنْتَ) هَكَذَا هُوَ فِي الْأُصُول (مَا أَنْتَ ؟) وَإِنَّمَا قَالَ: (مَا أَنْتَ) وَلَمْ يَقُلْ : (مَنْ أَنْتَ ؟) لِأَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ صِفَته لَا عَنْ ذَاته، وَالصِّفَات مِمَّا لَا يُعْقَلُ.

(٣) قال الحافظ ابن كثير: ويقال: إن معنى قوله ﷺ: «حر وعبد» اسم جنس، وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً، فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثيراً أحدٌ من قراباتهم، دع الأجانب، دع أهل البادية من الأعراب. «السيرة النبوية» (١:٤٤٣).

(٤) «صحيح مسلم» (١:٥٦٩) رقم (٨٣٢)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٦:٣٦٩) رقم (١٢٨٧٤).

١٣- الْـهِجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْـحَبَشَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّـا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ. وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَافِيَةِ ؛ بِمَكَانِهِ مِنَ الله وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّـهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِـمَّـا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ. قَالَ لَـهُمْ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِـمَّـا أَنْتُمْ فِيهِ» فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَى الله بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ[1].

١٤- إِسْلَامُ عُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ رضي الله عنه

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فِيمَـا بَلَغَنِي: أَنَّ أُخْتَه فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ، وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ بَعْلُهَا[2] سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَـا مِنْ عُمَرَ، وَكَانَ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ الله النَّحَّامُ -رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ- قَدْ أَسْلَمَ، وَكَانَ أَيْضًا يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ فَرَقًا[3] مِنْ قَوْمِهِ.

وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ، فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا[4] سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ وَرَهْطًا[5] مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدِ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَمُّهُ

---

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص٢١٤)، «الروض الأنف» (٢:٨٩).

(٢) زوجها.

(٣) خوفاً.

(٤) تَوشَّحَ الرَّجلُ بسَيْفِهِ إذا تَقلَّدَه، أي: عَلَّقَهُ عَلَيْهِ.

(٥) الرَّهْطُ: مَا دُونَ عَشْرَةٍ مِنَ الرِّجَالِ لَيْسَ فِيهِمْ امْرَأَةٌ، وَسُكُونُ الْهَاءِ أَفْصَحُ مِنْ فَتْحِهَا، وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ ﷺ مِـمَّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِمَكَّةَ، وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ. فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ الله؛ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصّابِئَ[1] الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهَا، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ آلِهَتَهَا، فَأَقْتُلَهُ.

فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ: وَالله، لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُك مِنْ نَفْسِكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَـمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا، أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِك فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟ قَالَ: خَتَنُكَ[2] وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، فَقَدْ وَالله أَسْلَمَـا، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ فَعَلَيْكَ بِهِمَـا.

قَالَ: فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا[3] إِلَى أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ وَعِنْدَهُمَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا: ﴿طه﴾ يُقْرِئُهُمَـا إِيَّاهَا، فَلَمَّـا سَمِعُوا حِسَّ[4] عُمَرَ تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فِي مِخْدَعٍ[5] لَهُمْ، أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا.

وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَـا، فَلَمَّـا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ[6] الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالَا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا ؛ قَالَ: بَلَى وَالله، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَـا تَابَعْتُمَـا

---

(١) صَبَأَ: خَرَج من دِين إِلى دِينٍ آخَرَ، كَمَا تَصْبَأُ النجومُ، أَي: تخرجُ من مَطالِعِها، وكانت العربُ تُسمِّي النبيَّ ﷺ الصابِئَ؛ لأَنه خرج من دِين قريش إِلى الإِسلام.

(٢) الْخَتَنُ -بِفَتْحَتَيْنِ- عِنْدَ الْعَرَبِ: كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ كَالْأَبِ وَالْأَخِ وَالْجَمْعُ أَخْتَانٌ، وَخَتَنُ الرَّجُلِ عِنْدَ الْعَامَّةِ زَوْجُ ابْنَتِهِ.

(٣) عَمَدْتُ إِلَيْهِ قَصَدْتُ. أَي: رَجَعَ عُمَرُ قَاصِداً بَيْتَ أُخْتِهِ.

(٤) الْحِسُّ وَالْحَسِيسُ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ.

(٥) المخدع: الحُجْرَةُ فِي البَيْتِ.

(٦) هي الكلامُ الخَفيُّ لا يُفْهَمُ.

مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ. وَبَطَشَ[1] بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ؛ فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا[2]؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ: نَعَمْ، قَدْ أَسْلَمْنَا، وَآمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ.

فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَارْعَوى[3]، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَؤُونَ آنِفًا أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ -وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا- فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ؛ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا ؛ قَالَ: لَا تَخَافِي. وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا ؛ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الطَّاهِرُ. فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ وَفِيهَا ﴿ طه ﴾ فَقَرَأَهَا ؛ فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» فَاللهَ اللهَ يَا عُمَرُ.

فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ؛ فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ[4] الْبَابِ فَرَآهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فَزِعٌ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ

---

(١) الْبَطْشُ هُوَ الْأَخْذُ بِعُنْفٍ.

(٢) شَجَّهُ شَجًّا، إِذَا شَقَّ جِلْدَهُ.

(٣) الارْعِواءُ: النُّزوعُ عن الجَهْلِ وحُسْنُ الرُّجوع عنه.

(٤) الْخَلَلُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الْفُرْجَةُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْجَمْعُ خِلَالٌ.

الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ؟ فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ: فَأْذَنْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ائْذَنْ لَهُ» فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ حُجْزَتَهُ[1] أَوْ بِمِجْمَعِ رِدَائِهِ ثُمَّ جَبَذَهُ جَبْذَةً[2] شَدِيدَةً، وَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ فَوَالله مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً؟» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، جِئْتُكَ لِأُومِنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَـا جَاءَ مِنْ عِنْدِ الله.

قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ الله ﷺ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ؛ فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ وَقَدْ عَزُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمَـا سَيَمْنَعَانِ[3] رَسُولَ الله ﷺ وَيَنْتَصِفُونَ[4] بِهِمَـا مِنْ عَدُوِّهِمْ[5].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَـمَّـا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَرَدَّهُمَا النَّجَاشِيُّ بِمَـا يَكْرَهُونَ، وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ

---

(١) احْتَجَزَ الرَّجُلُ بِإِزَارِهِ شَدَّهُ فِي وَسَطِهِ، وَحُجْزَةُ الْإِزَارِ مَعْقِدُهُ، وَحُجْزَةُ السَّرَاوِيلِ مَجْمَعُ شَدِّهِ، وَالْجَمْعُ حُجَزٌ، مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ.

(٢) الجَبْذُ: الجَذْبُ، لغة فيه.

(٣) أي: قُوَّةٌ تَمْنَعُ منْ يُرِيدُه بسُوءٍ.

(٤) انْتَصَفَ منْه: إذا اسْتَوْفَى حَقَّه مِنْهُ كامِلاً.

(٥) «سيرة ابن هشام» (١: ٣٤٤).

الْخَطَّابِ، وَكَانَ رَجُلًا ذَا شَكِيمَةٍ[1] لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، امْتَنَعَ بِهِ[2] أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وَبِحَمْزَةِ حَتَّى عَازُّوا[3] قُرَيْشًا.

وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ.

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً، وَلَقَدْ كُنَّا مَا نُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ[4].

وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْحَبَشَةِ.

١٥- إِسْلامُ أَبي ذَرٍّ وَقَوْمِهِ رضي الله عنهم

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي.

فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ؛ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ؛ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً[5] لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ،

---

(١) يقال: فلانٌ شديدُ الشَّكيمةِ إذا كان عزيز النفس أبيًّا قَوِيًّا، وأصله من شكيمة اللِّجام فإن قُوَّتها تدُلُّ على قُوَّةِ الفَرس.

(٢) امْتَنَعَ بِقَوْمِهِ: تَقَوَّى بِهِمْ، وَهُوَ فِي مَنَعَةٍ -بِفَتْحِ النُّونِ- أَيْ: فِي عِزِّ قَوْمِهِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُهُ.

(٣) أي: غلبوهم.

(٤) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص٢٢٠). « سيرة ابن هشام» (١: ٣٤١).

(٥) الشَّنَّةُ: القِربة الخَلَق (والخلق: البالي من الثياب والجلد) يَكُونُ الماءُ فِيهَا أَبْرَدَ مِنْ غَيرِهَا.

حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ؛ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ؛ فَقَالَ: أَمَا آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ، فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْداً وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ؛ فَأَخْبَرَهُ.

قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ الله ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ؛ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي. فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ[1] حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ[2].

فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله. ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ[3]، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ

---

(١) يَتْبَعُهُ.

(٢) بَيْن ظَهْرَانَيهِمْ، وَهُوَ بِفَتْحِ النُّون، وَيُقَال : بَيْن ظَهْرَيْهِمْ. أي: بَيْنَهُم.

(٣) رَمَوهُ عَلَى الأَرْض.

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ[1]. فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِـمِثْلِهَا؛ فَضَرَبُوهُ، وَثَارُوا إِلَيْهِ؛ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ»[2].

١٦- ضِمَـادٌ ﷺ يَرْقِي النَّبيَّ ﷺ

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ ضِمَـاداً قَدِمَ مَكَّةَ -وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ[3]- وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ[4]، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّداً مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ. قَالَ: فَلَقِيَهُ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الْـحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ».

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث ما يدلُّ على حُسْنِ تَأَتِّي العباسِ وجودة فطنته حيث توصل إلى تخليصه منهم بتخويفهم من قومه أن يقاصوهم، بأن يقطعوا طرق متجرهم، وكان عيشهم من التجارة، فلذلك بادروا إلى الكف عنه. «فتح الباري» (٧:١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣:١٤٠١) رقم (٣٦٤٨)، ومسلم (٤:١٩٣٢) رقم (٢٤٧٤).

(٣) قال الإمام النووي: وَهِيَ قَبِيلَة مَعْرُوفَة . قَالَ اِبْن قُتَيْبَة فِي «أَدَب الْكَاتِب»: سُمُّوا بِذَلِكَ مِنْ قَوْلك: رَجُل فِيهِ شَنُوءَة، أَيْ: تَقَزُّز. قَالَ: وَيُقَال: سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَشَانَئُوا وَتَبَاعَدُوا. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الشَّنُوءَة: التَّقَزُّز، وَهُوَ التَّبَاعُد مِنَ الْأَدْنَاس، وَمِنْهُ أَزْد شَنُوءَة، وَهُمْ حَيٌّ مِنَ الْيَمَن يُنْسَب إِلَيْهِمْ (شَنْئِيٌّ).

(٤) الْـمُرَاد بِالرِّيحِ هُنَا الْجُنُونُ وَمَسُّ الْجِنِّ. وفِي غَيْر رِوَايَة مُسْلِم «يَرْقِي مِنَ الْأَزْوَاح» أَيْ: الْجِنّ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُبْصِرهُم النَّاسُ، فَهُمْ كَالرُّوحِ وَالرِّيح.

فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَـاتِكَ هَؤُلَاءِ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْـكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَـا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَـاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْـبَحْرِ[1].

فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ: فَبَايَعَهُ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ» قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي»[2].

١٧- مُـحَاوَلَةُ إِحْبَاطِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَبي لَـهَبٍ (عَمِّ النَّبيِّ ﷺ)

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِـيِّ قَالَ: «إِنِّي لَـمَعَ أَبِي -رَجُلٌ شَابٌّ- أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَتْبَعُ الْـقَبَائِلَ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ[3] وَضِيءٌ[4] ذُو جُمَّةٍ[5]، يَقِفُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْـقَبِيلَةِ، وَيَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي حَتَّى أُنْفِذَ[6] عَنِ الله مَا بَعَثَنِي بِهِ.

---

(١) قال الإمام النووي: «ضَبَطْنَاهُ بِوَجْهَيْنِ أَشْهَرهمَا: (نَاعُوس) بِالنُّونِ وَالْـعَيْن هَذَا هُوَ الْـمَوْجُود فِي أَكْثَر نُسَخ بِلَادنَا، وَالثَّانِي: (قَامُوس) بِالْـقَافِ وَالْـمِيم، وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الْـمَشْهُور فِي رِوَايَات الْـحَدِيث فِي غَيْر «صَحِيح مُسْلِم». قَالَ أَبُو عُبَيْد: قَامُوس الْـبَحْر وَسَطُه. وَقَالَ اِبْن دُرَيْدٍ: لُجَّته. وَقَالَ صَاحِب كِتَاب «الْـعَيْن»: قَعْره الْأَقْصَى، وَقَالَ الْـحَرْبِيُّ: قَامُوس الْـبَحْر قَعْرُهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢:٥٩٣) رقم (٨٦٨)، وأحمد (١:٣٠٢) رقم (٢٧٤٩)، وابن حبان (١٤:٥٢٧) رقم (٦٥٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣:٢١٤) رقم (٥٥٩٢).

(٣) الحَوَل : ارتفاع الحدقتين إلى الحاجبين أو عيب في العين يتسبب في تقارب القرنيتين أو تباعدهما.

(٤) الوضاءة : الحُسْن والجمـال.

(٥) الجمة : وهي ما سقط على المنكبين من شعر الرأس.

(٦) أوصل وأبلغ ما أمرني الله بتبليغه.

فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ مَقَالَتِهِ، قَالَ الْآخَرُ مِنْ خَلْفِهِ: يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنَّ هَذَا يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا[1] اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَحُلَفَاءَكُمْ مِنَ الْحَيِّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أُقَيْشٍ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ البِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَلَا تَسْمَعُوا لَهُ وَلَا تَتَّبِعُوهُ. فَقُلْتُ لِأَبِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ»[2].

١٨- أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨][3].

١٩- دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ

قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: إِنَّ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلا جَزُورِ[4] بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ. فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ[5]، فَجَاءَ بِهِ فَنَظَرَ[6] حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئاً لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ[7].

---

(١) أي: تتركوا.

(٢) أخرجه أحمد (٣:٤٩٢) رقم (١٦٠٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٥:٦٣) رقم (٤٥٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣:١٣٤٥) رقم (٣٤٧٥).

(٤) هو الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم كالمشيمة للآدميات.

(٥) أكثرهم خبثا، وهُوَ: عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط.

(٦) فنظر، أي: فانتظر.

(٧) أي: لو كان مَعي من يَمنَعُني -أي يحميني- لَكَفَيْتُ شَرَّهم وصَرَفْتُهم.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ[1]، وَرَسُولُ الله ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ. فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ[2]» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

فَشَقَّ[3] عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: «اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ[4]، قَلِيبِ بَدْرٍ»[5].

٢٠- إِكْرَامُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْفُقَرَاءِ

قَالَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ؛ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ فَإِنَّهم وَإِنَّهم. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيلٍ وَبِلَالٍ وَرَجُلَانِ نَسِيتُ أَسْمَاءَهُمَا. قَالَ: فَوَقَعَ -يَعْنِي فِي نَفْسِهِ- مَا شَاءَ اللهُ وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ

---

(١) أي: يميل بعضهم على بعض ويقبل عليه من كثرة الضحك. وقال ابن بطال: يعني: ينسب ذلك بعضهم إلى بعض، من قولك: أحلت الغريم، إذا جعلت له أن يتقاضى ماله عليك من غيرك.

(٢) أهلك كفارهم ومن فعل ذلك منهم.

(٣) أي: اشتدَّ عليهم، وضاقوا من هذا الدعاء.

(٤) القَلِيب: البِئر التي لم تُطْوَ. وإنما وضعوا في القليب تحقيرا لهم، ولئلا يتأذى الناس برائحتهم وليس هو دفنا لأن الحربي لا يجب دفنه.

(٥) أخرجه البخاري (١:٩٤) رقم (٢٣٧)، ومسلم (٣:١٤١٨) رقم (١٧٩٤).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: وفي هذا الحديث أنواع من معجزات النبي ﷺ: إجابة دعوته، وتعجيل عقوبة من آذاه، وأنَّ العقوبة من جنس الذنب، بأن هؤلاء تواطؤوا على وضع فرث الجزور على ظهره في السجود، فما مضى إلا يسير حتى قتلوا وسحبوا إلى القليب في يوم شديد الحرِّ، وخرج فرث كلٍّ منهم وحشوته من بطنه، وكان ذلك جزاءً وفاقاً. «فتح الباري» (٢:٧٣٢).

وَجَلَّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢] (١).

٢١- مَثَلٌ لِدِيْنِ الله

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الْعِشَاءَ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى خَرَجَ بِهِ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ؛ فَأَجْلَسَهُ، ثُمَّ خَطَّ عَلَيْهِ خَطّاً(٢)، ثُمَّ قَالَ: «لَا تَبْرَحَنَّ خَطَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِي إِلَيْكَ(٣) رِجَالٌ فَلَا تُكَلِّمْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَلِّمُونَكَ».

قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَيْثُ أَرَادَ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي خَطِّي إِذْ أَتَانِي رِجَالٌ كَأَنَّهُمْ الزُّطُّ(٤)، أَشْعَارُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ، لَا أَرَى عَوْرَةً، وَلَا أَرَى قِشْراً (٥)، وَيَنْتَهُونَ إِلَيَّ وَلَا يُجَاوِزُونَ الْخَطَّ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ(٦) إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ جَاءَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ؛ فَقَالَ: «لَقَدْ أُرَانِي مُنْذُ اللَّيْلَةَ»(٧) ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فِي خَطِّي، فَتَوَسَّدَ فَخِذِي فَرَقَدَ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَقَدَ نَفَخَ.

فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ وَرَسُولُ الله ﷺ مُتَوَسِّدٌ فَخِذِي إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ، اللهُ أَعْلَمُ مَا بِهِمْ مِنَ الْجَمَالِ، فَانْتَهَوْا إِلَيَّ، فَجَلَسَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ الله ﷺ، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٤:١٨٧٨) رقم (٢٤١٣).

(٢) أَيْ خَطَّ حَوْلَهُ خَطًّا مُسْتَدِيرًا مُحِيطًا بِهِ.

(٣) أَيْ سَيَصِلُ إِلَيْك.

(٤) قال الفيروزآبادي: الزُّطُّ -بِالضَّمِّ- جِيلٌ مِنَ الْهِنْدِ مُعَرَّبُ (جَتَّ) بِالْفَتْحِ، وَالْقِيَاسُ يَقْتَضِي فَتْحَ مُعَرَّبِهِ أَيْضًا، وَالْوَاحِدَةُ زُطِّيٌّ. وَقَالَ ابن الأثير فِي «النِّهَايَةِ»: الزُّطُّ: هُمْ جِنْسٌ مِنَ السُّودَانِ وَالْهُنُودِ.

(٥) أَيْ: لَا أَرَى مِنْهُمْ عَوْرَةً مُنْكَشِفَةً وَلَا أَرَى عَلَيْهِمْ ثِيَابًا.

(٦) أَيْ: يَرْجِعُونَ.

(٧) أَيْ: لَمْ أَنَمْ.

عِنْدَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا بَيْنَهُمْ: مَا رَأَيْنَا عَبْداً قَطُّ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا النَّبِيُّ، إِنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ[1]. اضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً: مَثَلُ سَيِّدٍ بَنَى قَصْراً، ثُمَّ جَعَلَ مَأْدُبَةً فَدَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَمَنْ أَجَابَهُ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ، أَوْ قَالَ: عَذَّبَهُ. ثُمَّ ارْتَفَعُوا.

وَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: «سَمِعْتَ مَا قَالَ هَؤُلَاءِ، وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَؤُلَاءِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هُمُ الْـمَلَائِكَةُ، فَتَدْرِي مَا الْـمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا؟» قُلْـتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «الْـمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا: الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَى الْجَنَّةَ، وَدَعَا إِلَيْهَا عِبَادَهُ، فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ أَوْ عَذَّبَهُ»[2].

٢٢- الشَّاعِرُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ ﷺ يُقَـدِّمُ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «كَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ الله ﷺ بِهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلاً شَرِيفاً شَاعِراً لَبِيباً، قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ -وَهُوَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا- فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَـا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الْـمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْـمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَإِنَّمَـا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ حَلَّ عَلَيْنَا؛ فَلَا تُكَلِّمْهُ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُ.

قَالَ: فَوَالله، مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا أُكَلِّمَهُ حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْـمَسْجِدِ كُرْسُفًا[3]؛ فَرَقاً[4] مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ.

---

(١) يَعْنِي: فَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا تَقُولُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٥:١٤٥) رقم (٢٨٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) الكرسف: القطن.

(٤) أي: خوفاً.

قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَى الْـمَسْجِدِ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْـكَعْبَةِ، فَقُمْتُ قَرِيباً مِنْهُ، فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، فَسَمِعْتُ كَلَاماً حَسَناً؛ فَقُلْـتُ فِي نَفْسِي: وَا ثُكْلَ أُمِّي[1]، وَالله إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَـا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ؟ فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ حَسَناً قَبِلْـتُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً تَرَكْتُ.

قَالَ: فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَيْتِهِ؛ فَتَبِعْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْـتُ عَلَيْهِ؛ فَقُلْـتُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَك قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، فَوَالله مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنِيَّ بِكُرْسُفٍ؛ لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَك، ثُمَّ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيهِ، فَسَمِعْتُ قَوْلاً حَسَناً، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَك. فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْـقُرْآنَ، فَلَا وَالله، مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْراً أَعْدَلَ مِنْهُ؛ فَأَسْلَمْتُ، وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْـحَقِّ»[2].

٢٣- الصُّحْبَـةَ الصُّحْبَـةَ

جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ نِصْفَ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ فِيهَا مُتَقَنِّعًا[3]، فَقَالَ لَهُ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَك» فَقَالَ: إِنَّمَـا هُمْ أَهْلُكَ[4] يَا رَسُولَ الله؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْـخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ، يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ -بِأَبِي وَأُمِّي[5]- إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بِالثَّمَنِ»[6].

---

(١) الثُّكْل: فَقْدُ الوَلَد.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤:٢٣٨)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص٢١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥:١١).

(٣) مغطياً رأسه، ليخفى شخصه؛ لئلا يُعرف.

(٤) أي: لا يوجد أحد يُشك فيه، إنما هي زوجتك عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما.

(٥) أي: أفديك بهمـا.

(٦) أخرجه البخاري (٢٠٣١)، وابن خزيمة (٢٥١٨)، وابن حبان (٦٨٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٢٤- نَوْمُ عَلِيٍّ ﷺ فِي مَضْجَعِهِ ﷺ

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا أَنْ يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَطَلَّعُونَ مِنْ صَيْرِ الْبَابِ(١) وَيَرْصُدُونَهُ، وَيُرِيدُونَ بَيَاتَهُ، وَيَأْتَمِرُونَ أَيُّهُمْ يَكُونُ أَشْقَاهَا، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ الْبَطْحَاءِ فَجَعَلَ يَذَرُّهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَهُمْ لَا يَرَوْنَهُ، وَهُوَ يَتْلُو ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩]. وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْر، فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ(٢) فِي دَارِ أَبِي بَكْرٍ لَيْلًا.

وَجَاءَ رَجُلٌ وَرَأَى الْقَوْمَ بِبَابِهِ؛ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ؟ قَالُوا: مُحَمَّدًا. قَالَ خِبْتُمْ وَخَسِرْتُمْ، قَدْ وَالله مَرَّ بِكُمْ وَذَرَّ عَلَى رُؤُوسِكُمُ التُّرَابَ. قَالُوا: وَالله، مَا أَبْصَرْنَاهُ. وَقَامُوا يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ، وَهُمْ: أَبُو جَهْلٍ ، وَالْحَكَمُ بْنُ الْعَاصِ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَنُبَيْهُ وَمُنَبِّهُ ابْنَا الْحَجَّاجِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَامَ عَلِيٌّ عَنِ الْفِرَاشِ؛ فَسَأَلُوهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهِ.

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ فَدَخَلَاهُ، وَضَرَبَ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى بَابِهِ. وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا عَبْدَ الله بْنَ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيَّ، وَكَانَ هَادِيًا مَاهِرًا بِالطَّرِيقِ، وَكَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَمِنَاهُ عَلَى ذَلِكَ وَسَلَّمَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَجَدَّتْ(٣) قُرَيْشٌ فِي طَلَبِهِمَا، وَأَخَذُوا مَعَهُمْ الْقَافَةَ(٤) حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ فَوَقَفُوا عَلَيْهِ.

---

(١) صير الباب: من شَقِّهِ.

(٢) قال الخطابي : الخوخة : بويب صغير.

(٣) جَدَّ فيه وأجَدَّ: إذا اجتهد.

(٤) القائِف: الذي يَتَتَبَّع الآثارَ ويَعْرِفُها ويَعْرِف شَبَه الرجُل بأخيه وأبيه، والجمع : القافَة.

فَفِي «الصّحِيحَيْنِ»: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا، لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ اللهَ مَعَنَا»[1].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يَسْمَعَانِ كَلَامَهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمَا، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ عَمَّى عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمَا، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَرْعَى عَلَيْهِمَا غَنَماً لِأَبِي بَكْرٍ، وَيَتَسَمَّعُ مَا يُقَالُ بِمَكَّةَ ثُمَّ يَأْتِيهِمَا بِالْخَبَرِ، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ سَرَحَ مَعَ النَّاسِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْسَنَ الْجَهَازِ، وَوَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[2] فِي جِرَابٍ[3]، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا[4] فَأَوْكَتْ[5] بِهِ الْجِرَابَ، وَقَطَعَتْ الْأُخْرَى فَصَيَّرَتْهَا عِصَامًا[6] لِفَمِ الْقِرْبَةِ؛ فَلِذَلِكَ لُقِّبَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[7].

وَذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» عَنْ عُمَرَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَاعَةً خَلْفَهُ، حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَسَأَلَهُ؛ فَقَالَ لَهُ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤:١٧١٢) رقم (٤٣٨٦)، ومسلم (٤:١٨٥٤) رقم (٢٣٨١).

(٢) السُّفْرَةُ: طَعَامٌ يُصْنَعُ لِلْمُسَافِرِ، وَالْجَمْعُ سُفَرٌ، وَسُمِّيَتِ الْجِلْدَةُ الَّتِي يُوعَى فِيهَا الطَّعَامُ سُفْرَةً مَجَازًا.

(٣) الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه.

(٤) النِطاق وجمعُه : مَناطِقُ وهو أن تَلْبَسَ المرأةُ ثوبَها ثم تَشُدّ وَسَطها بشيء وتَرْفَع وسَط ثوبها وتُرْسِله على الأسفل عند مُعاناة الأشغال لئلا تَعْثُرَ في ذَيْلها .

(٥) الوِكاءُ الخَيْط الذي تُشَدُّ به الصُّرَّة والكِيسُ وغيرهما. أي: شَدَّت رُؤوسَها بالوِكاء، لِئلا يَدْخُلَها حيوانٌ أويَسْقُطَ فيها شَيء.

(٦) العصام: حبل تشد به القِربة وتحمل، وعروة الوعاء التي يعلق بها.

(٧) أخرجه البخاري (٣:١٤١٧) رقم (٣٦٩٢).

يَا رَسُولَ الله، أَذْكُرُ الطَّلَبَ[1] فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكُرُ الرّصَدَ[2] فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ[3].

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَكَانَكَ -يَا رَسُولَ الله- حَتَّى أَسْتَبْرِئَ لَكَ الْغَارَ؛ فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئْ الْجِحَرَةَ؛ فَقَالَ: مَكَانَك يَا رَسُولَ الله حَتَّى أَسْتَبْرِئَ الْجِحَرَةَ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ يَا رَسُولَ الله، فَنَزَلَ فَمَكَثَا فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لِيَالٍ حَتَّى خَمَدَتْ عَنْهُمَا نَارُ الطَّلَبِ، فَجَاءَهُمَا عَبْدُ الله بْنُ أُرَيْقِط بِالرَّاحِلَتَيْنِ فَارْتَحَلَا وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، وَسَارَ الدَّلِيلُ أَمَامَهُمَا، وَعَيْنُ الله تَكْلَؤُهُمَا، وَتَأْيِيدُهُ يَصْحَبُهُمَا، وَإِسْعَادُهُ يُرَحِّلُهُمَا وَيُنْزِلُهُمَا[4].

٢٥- سُرَاقَةُ يَطْمَحُ لِنَيلِ الجَائِزَةِ

وَلَمَّا يَئِسَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الظَّفَرِ بِهِمَا جَعَلُوا لِمَنْ جَاءَ بِهِمَا دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَجَدَّ النَّاسُ فِي الطَّلَبِ، وَالله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، فَلَمَّا مَرُّوا بِحَيِّ بَنِي مُدْلِجٍ مُصْعِدِينَ مِنْ قُدَيْدٍ، بَصُرَ بِهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْحَيِّ، فَوَقَفَ عَلَى الْحَيِّ؛ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ آنِفًا بِالسَّاحِلِ أَسْوِدَةً[5] مَا أُرَاهَا إِلَّا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

---

(١) الطَّلَبَ: هو جمعُ طَالب، أو مَصْدَر أُقيم مُقَامه، أو على حَذْف المضاف: أي أهْل الطَّلَب. وهم فرسان قريش الذين كانوا يريدون اللحاق والظفر بهما.

(٢) الرَّاصِدُ للشيء: الراقب له، والرَّصَدُ أيضاً -بفتحتين-: القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث.

(٣) أخرجه الحاكم (٣:٧) رقم (٤٢٦٨).

(٤) ذكره بهذا السياق الحافظ ابن القيم في «زاد المعاد» (٣:٤٥)، ومصادر الرواية: «سيرة ابن هشام» (١:٤٨٥) ومابعدها، «السيرة» لابن حبان (ص١٢٧)، وكتب الحديث المذكورة في الهوامش السابقة.

(٥) أي: أشخاصاً.

فَفَطِنَ بِالْأَمْرِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَهُ خَاصَّةً، وَقَدْ سَبَقَ لَهُ مِنَ الظَّفَرِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ؛ فَقَالَ: بَلْ هُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، خَرَجَا فِي طَلَبِ حَاجَةٍ لَهُمَا. ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ خِبَاءَهُ[1]، وَقَالَ لِخَادِمِهِ: اُخْرُجْ بِالْفَرَسِ مِنْ وَرَاءِ الْخِبَاءِ، وَمَوْعِدُكَ وَرَاءَ الْأَكَمَةِ[2]. ثُمَّ أَخَذَ رُمْحَهُ وَخَفَضَ عَالِيَهُ يَخُطُّ بِهِ الْأَرْضَ[3] حَتَّى رَكِبَ فَرَسَهُ.

فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ، وَسَمِعَ قِرَاءَةَ رَسُولِ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، وَرَسُولُ الله ﷺ لَا يَلْتَفِتُ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ قَدْ رَهِقَنَا[4]؛ فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَسَاخَتْ[5] يَدَا فَرَسِهِ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَصَابَنِي بِدُعَائِكُمَا؛ فَادْعُوَا اللهَ لِي، وَلَكُمَا عَلَيَّ أَنْ أَرُدَّ النَّاسَ عَنْكُمَا.

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَخَلُصَتْ يَدَا فَرَسِهِ . فَانْطَلَقَ، وَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا، فَكَتَبَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَمْرِهِ فِي أَدِيمٍ[6]، وَكَانَ الْكِتَابُ مَعَهُ إِلَى يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ، فَجَاءَهُ بِالْكِتَابِ فَوَفَّاهُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَقَالَ: «يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ»[7].

---

(١) خيمة تكون من وبر أو صوف وهي على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك، مشتق من خبأت خبيئاً.

(٢) الْأَكَمَةُ: تَلٌّ، وَقِيلَ: شُرْفَةٌ كَالرَّابِيَةِ: وَهُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنَ الْحِجَارَةِ فِي مَكَان وَاحِدٍ، وَرُبَّمَا غَلُظَ وَرُبَّمَا لَمْ يَغْلُظْ، وَالْجَمْعُ أَكَمٌ وَأَكَمَاتٌ.

(٣) فعل هذا ليواري خروجه في طلب النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ.

(٤) أي: دنا وقرب منا، يُقال : رَهِقَ شُخُوصُ فُلانٍ، أي : دنا وأزِفَ، وطلَبْتُ فُلاناً حَتَّى رَهِقْتُه، أَي: حَتّى دَنَوْتُ منه. «تاج العروس من جواهر القاموس» (٢٥: ٣٨٠).

(٥) أي: غاصَت في الأرض.

(٦) الأديم: الجلد.

(٧) هذا اللفظ أخرجه الحميدي في «مسنده» (٢: ٤٠١) رقم (٩٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٦٦٠٢).

وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الزَّادَ وَالْحِمْلَانِ فَقَالَا: لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ، وَلَكِنْ عَمِّ عَنَّا الطَّلَبَ[1]. فَقَالَ: قَدْ كُفِيتُمْ، وَرَجَعَ فَوَجَدَ النَّاسَ فِي الطَّلَبِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: قَدْ اسْتَبْرَأْتُ لَكُمُ الْخَبَرَ، وَقَدْ كُفِيتُمْ مَا هَاهُنَا، وَكَانَ أَوَّلُ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَيْهِمَا، وَآخِرُهُ حَارِسًا لَهُمَا[2].

٢٦- أَضْوَأُ أَيَّامِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنِّي لَأَسْعَى فِي الْغِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، قَالَ: حَتَّى جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ، فَكُنَّا فِي بَعْضِ حِرَارِ[3] الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِيُؤْذِنَ[4] بِهِمَا الْأَنْصَارَ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا زُهَاءَ[5] خَمْسِ مِائَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِمَا.

فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: انْطَلِقَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَصَاحِبُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِنَّ الْعَوَاتِقَ[6] لَفَوْقَ الْبُيُوتِ يَتَرَاءَيْنَهُ يَقُلْنَ: أَيُّهُمْ هُوَ، أَيُّهُمْ هُوَ؟

---

(١) التَّعْمِيةُ : أن تُعَمِّيَ على إنْسانٍ شيئاً فتُلَبِّسَه عليه تَلْبيساً. أي: أخفِ أمرنا عن فرسان قريش وغيرهم، الذين يريدون الإمساك بنا.

(٢) ذكره بهذا السياق الحافظ ابن القيم في «زاد المعاد» (٣:٤٥)، ومصادر الرواية: «صحيح البخاري» (٣:١٤٢٠) رقم (٣٦٩٣)، ومسلم (٤:٢٣٠٨) رقم (٢٠٠٩)، و «سيرة ابن هشام» (١:٤٨٩)، و «دلائل النبوة» (١:١٠٥).

(٣) الحَرَّة –بِالْفَتْحِ– أَرْض ذَات حِجَارَةٍ سُودٍ، وَالْجَمْع حِرَار، مِثْل كَلْبَة وَكِلَاب.

(٤) أَذِنْت بِالشَّيْءِ: عَلِمْتُ بِهِ، وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ؛ فَيُقَالُ: آذَنْتُهُ إِيذَانًا وَتَأَذَّنْتُ: أَعْلَمْتُ.

(٥) زُهَاءٌ فِي الْعَدَدِ وِزَانُ غُرَابٍ، يُقَالُ: هُمْ زُهَاءُ أَلْفٍ. أَيْ: قَدْرُ أَلْفٍ.

(٦) العاتِقُ : الشَّابَّة أوَّل ما تُدْرِكُ. وقيل: هي التي لم تَبِنْ مِنْ وَالِدَيها ولم تُزَوَّج، وقد أدْرَكَت وشَبَّت. وتُجْمَعُ على العُتَّق والعَواتِق.

قَالَ: فَمَـا رَأَيْنَا مَنْظَرًا مُشْبِهًا بِهِ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا، وَيَوْمَ قُبِضَ، فَلَمْ أَرَ يَوْمَيْنِ مُشْبِهًا بِهِمَـا[1].

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ رَدِيفَ[2] رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْـمَدِينَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْتَلِفُ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يُعْرَفُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُعْرَفُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا هَذَا الْغُلَامُ بَيْنَ يَدَيْكَ؟ قَالَ: هَذَا يَهْدِينِي السَّبِيلَ. فَلَمَّـا دَنَوْا مِنَ الْـمَدِينَةِ نَزَلَا الْحَرَّةَ، وَبَعَثَا إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا؛ فَقَالُوا: قُومَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ.

قَالَ: فَشَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْـمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَاتَ فَمَـا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ ﷺ[3].

٢٧- مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ﷻ خَيْراً مِنْهَا

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْماً؛ فَقُلْـتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ[4]، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ ﷻ بِهَا خَيْراً مِنْهَا. قَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد (٣:٢٢٢) رقم (١٣٣٤٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (ص٣٧٨) رقم (١٢٦٩). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) الرَّدِيفُ: الَّذِي تَحْمِلُهُ خَلْفَكَ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ.

(٣) أخرجه أحمد (٣:٢٨٧) رقم (١٤٠٩٥)، والدرامي في «سننه» (١:٥٤) رقم (٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦:٣٢٩) رقم (٣١٨١٢). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(٤) حمراء الشدق، معناه: عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيه حمرة لثاتها.

«مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ﷻ خَيْراً مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»[1].

٢٨- إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ[2] قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي؛ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا[3] مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ[4].

وَعَنْهَا ﵂ قَالَتْ: «جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ، كَيْفَ حَالُكُمْ، كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟».

قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله. فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَانَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»[5].

---

(١) أخرجه أحمد (٦:١١٧) رقم (٢٤٩٠٨) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات.

(٢) هلكت: أي ماتت. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾[غافر:٣٤].

(٣) (خلائلها) صديقاتها جمع خليلة. وهذا يشعر باستمرار حبه لها فهو مما يزيدها غيرة عليها.

(٤) ما يسعهن: ما يشبعهن ويسد حاجتهن.

أخرجه البخاري (٣:١٣٨٨) رقم (٣٦٠٥)، ومسلم (٤:١٨٨٨) رقم (٢٤٣٥).

(٥) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١:٦٢) (٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦:٥١٧) (٩١٢٢).

وَعَنْها ﵂ قَالَتْ: كَانَتْ عَجُوزٌ تَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فَيَهُشُّ[1] بِها وَيُكْرِمُها، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! إِنَّكَ لَتَصْنَعُ بِهَذِهِ الْعَجُوزِ شَيْئاً لَا تَصْنَعُهُ بِأَحَدٍ؟ قَالَ: إِنَّها كَانَتْ تَأْتِينَا عِنْدَ خَدِيجَةَ، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ كَرَمَ الْوُدِّ مِنَ الْإِيْمَانِ[2].

وعَنْها ﵂ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ». قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[3].

٢٩- زَوَاجُ النَّبيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ ﵂

عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ[4] مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا. فَإِذَا هِيَ أَنْتِ. فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله يُمْضِهِ[5]»[6].

---

(١) قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْهَشَاشَة وَالْبَشَاشَة بِمَعْنَى طَلَاقَةُ الْوَجْه وَحُسْنُ اللِّقَاء.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦:٥١٧) رقم (٩١٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٤:١٨٨٨) رقم (٢٤٣٥).

(٤) سرقة: هي الشقق البيض من الحرير. قاله أبو عبيد.

(٥) يمضه: ينفذه ويأمر به.

(٦) أخرجه البخاري (٣:١٤١٥) رقم (٣٦٨٢)، ومسلم (٤:١٨٨٩) رقم (٢٤٣٨).

٣٠- دُعَاءُ النَّبيِّ ﷺ لِبَنِي ثَقِيفٍ بَعْدَ إِسَاءَتِهِمْ إِلَيهِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: لـمَّـا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِياً عَلَى قَدَمَيهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَانْصَرَفَ فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَينِ، ثُمَّ قَالَ:

«اللهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي(١)، وَقِلَّةَ حِيلَتِي(٢)، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ(٣)، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ(٤).

أَنْتَ رَبُّ الْـمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي(٥)؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي(٦)؟ أَمْ إِلَى قَرِيبٍ(٧) مَلَّكْتَهُ أَمْرِي(٨)؟

إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي(٩)، وَلَكِنْ عَافِيَتُك هِيَ أَوْسَعُ لِي(١٠).

أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ(١١) عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ.

---

(١) قَدَّمَ (إليك) ليفيد الاختصاص، أي: أشكو إليك لا إلى غيرك؛ فإن الشكوى إلى الغير لا تنفع.

(٢) الْحِيلَةُ: الْحِذْقُ فِي تَدْبِيرِ الْأُمُورِ، وَهُوَ تَقْلِيبُ الْفِكْرِ حَتَّى يَهْتَدِيَ إِلَى الْـمَقْصُودِ.

(٣) أي: احتقارهم إيَّايَ واستهانتهم واستخفافهم بشأني واستهزاؤهم بي.

(٤) أي: يا موصوفاً بكمال الإحسان بجلائل النعم ودقائقها، والشكوى إليه تعالى لا تنافي أمره بالصبر في النصوص القرآنية.

(٥) أي: تفوّض أمري.

(٦) أي: يلقاني بغلظة ووجه كريه.

(٧) مِنَ النَّسَبِ.

(٨) أي: جعلته متسلطاً على إيذائي، ولا أستطيع دفعه.

(٩) فلا أبالي: بما تصنع بي أعدائي. ما دمتَ عني راضٍ.

(١٠) التي هي السلامة من البلايا والمحن والمصائب.

(١١) استقام وانتظم.

لَك الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى[1]، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ[2]»[3].

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْـعَقَبَةِ[4]، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ؛ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[5]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي؛ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَـا شِئْتَ فِيهِمْ.

فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَـا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ

---

(١) أي: أسترضيك حتى ترضى.

(٢) استعاذ بهذا بعد استعاذته بذاته تعالى رمزاً إلى أنه لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون في خير وشر إلا بأمره التابع لمشيئته، وفي هذا من كمال خوف المصطفى ﷺ من ربه ما لا يخفى، وكلما ارتفعت منزلة العبد عظم خوفه.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١١١:٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٥:٦) رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

(٤) قَالَ الطِّيبِيُّ: (أَشَدَّ مَا لَقِيتُ) خَبَرُ كَانَ، وَاسْمُهُ عَائِدٌ إِلَى مُقَدَّرٍ، وَهُوَ مَفْعُولُ قَوْلِهِ: لَقَدْ لَقِيتُ، وَيَوْمَ الْعَقَبَةِ ظَرْفٌ، فَالْمَعْنَى: كَانَ مَا لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ. «مرقاة المفاتيح» (٩:٣٧٤٠).

(٥) قرن الثعالب: جبل مشرف على أسفل مِنى، بينه وبين مسجد منى ألف وخمسمائة ذراع، وقيل له: قرن الثعالب؛ لكثرة ما كان يأوي إليه من الثعالب. وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.

الْأَخْشَبَيْنِ[1]. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[2].

٣١- بَيْعَةُ الأَنْصَارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ بِمَكَّةَ وَتَصْدِيقُهُمْ إِيَّاهُ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ[3] وَبِمَجَنَّةٍ[4] وَبِعُكَاظٍ[5]، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى، يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي ﷻ وَلَهُ الْـجَنَّةُ» فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ أَوْ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى ذِي رَحِمِهِ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنْكَ.

وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله ﷻ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ ﷻ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ فَيُؤْمِنُ بِهِ، فَيُقْرِئُهُ الْـقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إِلَّا فِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ.

---

(١) هما جبلا مكة : أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.

(٢) أخرجه البخاري (٣:١١٨٠) رقم (٣٠٥٩)، ومسلم (٣:١٤٢٠) رقم (١٧٩٥)، وابن حبان (١٤:٥١٦) رقم (٦٥٦١).

(٣) أي: موسم الحج.

(٤) مِـجَنَّة: موضع بأسفل مكة على أميال . وكان يقام بها للعرب سُوق.

(٥) عُكَاظُ: سُوقٌ مِنْ أَعْظَمِ أَسْوَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ وَرَاءَ قَرْنِ الْـمَنَازِلِ بِمَرْحَلَةٍ مِنْ عَمَلِ الطَّائِفِ عَلَى طَرِيقِ الْيَمَنِ، وَكَانَ يُقَامُ فِيهَا السُّوقُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ نَحْوًا مِنْ نِصْفِ شَهْرٍ، ثُمَّ يَأْتُونَ سُوقُ مِـجَنَّةَ فَيُقَامُ فِيهِ السُّوقُ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ، ثُمَّ يَأْتُونَ مَوْضِعًا قَرِيبًا مِنْهُ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْـمَجَازِ فَيُقَامُ فِيهِ السُّوقُ إِلَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ إِلَى مِنًى.

ثُمَّ بَعَثَنَا اللهُ ﷻ فَأْتَمَرْنَا[1] وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ الله ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ، فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي المَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ؛ فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاؤُوكَ، إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ ﷺ فِي وُجُوهِنَا؛ قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ[2]، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي الله لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي[3] مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ؛ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ».

فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ؛ فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ المَطِيِّ[4] إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ[5]، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً؛ فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى الله ﷻ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ الله.

---

(١) شاور بعضنا بعضا في ذلك وعزم عليه.

(٢) أي: عهدنا بالتزام السمع والطاعة في حالتي الشدة والرخاء، والضراء والسراء.

(٣) من المنعة والحماية، أي: تحمونني مما تحمون أنفسكم وأزواجكم وآباءكم.

(٤) أَيْ: الْمُحَاذِيَ لِأَكْبَادِهَا، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ إِسْرَاعِ الْإِبِلِ وَإِجْهَادِهَا فِي السَّيْرِ . قَالَ الطِّيبِيُّ : ضَرْبُ أَكْبَادِ الْإِبِلِ كِنَايَةٌ عَنِ السَّيْرِ السَّرِيعِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ يَرْكَبُ الْإِبِلَ وَيَضْرِبُ عَلَى أَكْبَادِهَا بِالرِّجْلِ.

(٥) أي: تجرحكم.

قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ، أَمِطْ[1] عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقِيلُهَا[2]. فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ[3]، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الجَنَّةَ[4].

٣٢- ضِيَافَةُ أَبي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الـمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ، فَأُنْزِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السُّفْلَ[5]، وَنَزَلَ أَبُو أَيُّوبَ العُلُوَّ[6]، فَلَمَّا أَمْسَى وَبَاتَ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُّوبَ يَذْكُرُ أَنَّهُ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَهُوَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الوَحْيِ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُّوبَ لا يَنَامُ يُحَاذِرُ أَنْ يَتَنَاثَرَ عَلَيْهِ الغُبَارُ، ويَتَحَرَّكُ فَيُؤْذِيَهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا جَعَلْتُ اللَّيْلَةَ فِيهَا غَمْضًا أَنَا وَلا أُمُّ أَيُّوبَ[7]، قَالَ: «وَمِمَّ ذَاكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟» قَالَ: ذَكَرْتُ أَنِّي عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ أَنْتَ أَسْفَلَ مِنِّي، فَأَتَحَرَّكُ فَيَتَنَاثَرُ عَلَيْكَ الغُبَارُ، ويُؤْذِيكَ تَحْرِيكِي، وَأَنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الوَحْيِ.

قَالَ: «فَلا تَفْعَلْ يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ بِالغَدَاةِ[8] عَشْرَ مَرَّاتٍ، وبِالْعَشِيِّ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ أُعْطِيتَ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَكُفِّرَ لَكَ بِهِنَّ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَكَ بِهِنَّ

---

(١) نَحِّ وأَبْعِدْ.

(٢) أي: لا نطلب الإقالة منها، استعارة من إقالة البيع وهو إبطاله.

(٣) (بشرطة العباس): يعني المواثيق التي أخذها العباس عليهم بالوفاء لرسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد (٣:٣٢٢) رقم (١٤٤٩٦)، وابن حبان (١٤:١٧٢) رقم (٦٢٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨:١٤٦) رقم (١٦٣٣٣). وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٥) أي: أسفل البيت.

(٦) أي: أعلى البيت.

(٧) أي: ما نمت أنا وزوجتي.

(٨) ما بين الفجر وطلوع الشمس.

عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَعِدْلِ عَشْرٍ مُحَرَّرِينَ[1]، تَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، لا شَرِيكَ لَهُ»[2].

٣٣- دُسْتُورُ الْـمَدِيْنَةِ

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ: الْـمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ[3] يَتَعَاقَلُونَ[4] بَيْنَهُمْ، وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيهِمْ[5] بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ[6] الْأُولَى، كُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْـقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ.

وبنو الْـحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو النَّجَّارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ.

---

(١) أي: كعتق عشر رقاب.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤: ١٥٤) رقم (٣٩٨٦).

(٣) الحال التي هم عليها.

(٤) يدفعون ديّاتهم بعضهم مع بعض.

(٥) أسيرهم.

(٦) ديَّاتهم.

وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو النَّبِيتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيهَا بِالْـمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ الْـمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا[1] بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْـمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ.

وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ[2]، وَأَنَّ الْـمُؤْمِنِينَ الْـمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوِ ابْتَغَى دَسِيعَةَ[3] ظُلْـمٍ أَوْ إِثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ، وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ[4]، وَإِنَّ ذِمَّةَ الله وَاحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَإِنَّ الْـمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ سِلْـمَ الْـمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ الله إِلّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ[5].

---

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْـمُفْرَحُ: الْـمُثْقَلُ بِالدَّيْنِ وَالْـكَثِيرُ الْـعِيَالِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

إذا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْـوَدَائِعُ

(٢) يقرُّ النبيُّ ﷺ مبدأ التحالف، ولكن على أن يحدث بدون تجاوز على حقوق الولاء، فلا يجوز التحالف مع المعتقين دون إذن سيدهم.

(٣) أي: طَلَب دَفْعاً على سبيل الظُّلم. ويجوز أن يُراد بالدَّسِيعةِ العَطِية، أي: ابْتَغَى منهم أن يدفَعوا إليه عَطِيَّة على وجه ظُلمِهم.

(٤) هذا دليل على أن دم الكافر لا يكافئ دم المؤمن، وتأكيد الترابط المتين بين المؤمنين.

(٥) أي: أن مسؤولية السلام مشتركة بين الجميع، فلا يتفرد آحاد المسلمين باتخاذ قرار الحرب أو المصالحة والمهادنة مع من يقاتله المسلمون، بل مرجع الأمر كله للنبي ﷺ؛ لأنه مرتبط بالسياسة العامة للدولة.

وَإِنَّ كُلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يَعْقُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا[1]، وَإِنَّ الْـمُؤْمِنِينَ يُبِيءُ[2] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَـا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ الله، وَإِنَّ الْـمُؤْمِنِينَ الْـمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هَدْيٍ وَأَقْوَمِهِ، وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ[3].

وَإِنَّهُ مَنِ اعْتَبَطَ[4] مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوَدٌ[5] بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ الْـمَقْتُولِ، وَإِنَّ الْـمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةً، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلّ لِـمُؤْمِنٍ أَقَرَّ بِمَـا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَآمَنَ بِالله وَالْـيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا[6]، وَلَا يُؤْوِيهِ، وَأَنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ الله وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ[7]، وَإِنَّكُمْ مَهْمَـا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى الله ﷻ وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْـمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْـمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّـهُ لَا يُوتِغُ[8] إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي

---

(١) بمعنى: أن أعباء الحرب لا تقع على عشيرة دون أخرى، بل إن الجهاد فرض على جميع المؤمنين، يتناوبون الخروج في السرايا والغزوات.

(٢) قَوْلِهِ: (يُبِيءُ) هُوَ مِنَ الْبَوَاءِ، أَيْ: الْـمُسَاوَاةُ.

(٣) أي: أن من بقي على الشرك من الأوس والخزرج لا يحق له إجارة قريش وتجارتها، ولا يقف حاجزاً بينها وبين المؤمنين إذا تصدوا لها ولتجارتها.

(٤) أي: قتله دون جناية أو سبب يوجب قتله.

(٥) القَوَدُ : القِصاص وقَتْل القاتِل بَدل القَتيل.

(٦) المحدث: كل من أتى حداً من حدود الله ﷻ، فليس لأحد حمايته من إقامة الحد عليه.

(٧) الصَّرْف التَّوْبَة، وَالْعَدْل الْفِدْيَة . أي لا يقبل منه التوبة عن فعلته في نصرة المجرمين، ولا يقبل منه فدية لذلك.

(٨) لا يوتغ: أي لا يهلك إلا نفسه .

الْـحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ لِبَنِي الشَّطَيْبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ الْـبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِنَّهُ لَا يَنْحَجِزُ عَلَى ثَأْرِ جُرْحٍ، وَإِنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى أَبَرِّ هَذَا، وَإِنَّ عَلَى الْـيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْـمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ الْـيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْـمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ[1].

---

(١) أي أن جوف يثرب حرم لا يحل انتهاكه، فلا يقتل صيده، ولا يقطع شجره، وحدود حرم المدينة كما ذكره الشيخ محمد محمد حسن شراب، فقال:

حرم المدينة: وردت في الأحاديث التي حددت حرم المدينة، معالم سأذكرها، و أكتب ما اهتديت إليه من تحديد أماكنها، مع الترجمة لكل واحد في حرفه الأول.

١- اللابتان: ما بين لابتيها حرام: اللابة: الحرّة: و هما حرتان، الشرقية شرق المدينة، و الغربية في غرب المدينة و تسمى الأولى واقم، و الثانية حرة الوبرة. وتنعطف الشرقية و الغربية من جهة الشمال والجنوب، مما يجعل المدينة بين حرات أربع.

٢- جبل عير (مرادف الحمار): جبل في قبلة المدينة، بقرب ذي الحليفة ميقات أهل المدينة.

٣- جبل ثور: جبل صغير خلف جبل أحد.

٤- ذات الجيش: تكون في طريق المدينة إلى مكة بعد ذي الحليفة.

٥- مشيرب: جبل في شامي ذات الجيش.

وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرُ مُضَارٍ وَلَا آثِمٌ، وَإِنَّهُ لَا يُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللهِ ﷻ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ، وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ[1]، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصْلِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ، وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ، عَلَى كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قِبَلَهُمْ، وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مَعَ الْبِرِّ الْمَحْضِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: مَعَ الْبِرِّ الْمُحْسِنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ، وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ، وَإِنَّ اللهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ. كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْيَهُودِ[2].

٦- أشراف مخيض: جبال في طريق الشام.

٧- الحفياء: مكان في الغابة، شامي المدينة.

٨- ثيب، و يصحف إلى تيم، و يثيب: جبل شرقي المدينة.

٩- وعيرة: جبل شرقي ثور، أكبر من ثور و أصغر من أحد. «المعالم الأثيرة فى السنة والسيرة» (ص٨٩).

وبهذا حفظ النبي ﷺ الأمن الداخلي للمدينة المنورة.

(١) أي: أن من تشمله بنود الصحيفة من يهود وغيرهم عليهم النصر في حال تعرض المدينة إلى هجوم خارجي.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٢٦٩)، وابن هشام (٣١:٣)، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٦:٨) بعضه.

٣٤- فَضِيلَةُ أَهْلِ بَدْرٍ

رَوَى عُبَيْدُ الله بْنُ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْـمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[١]، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً[٢] وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا».

فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى[٣] بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ؛ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا[٤].

فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ الله ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْـمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا[٥] فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ لَـهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَـهُمْ؛ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا[٦] يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ».

---

(١) رَوْضَةُ خَاخٍ: بَيْن مَكَّة وَالْـمَدِينَة بِقُرْبِ الْـمَدِينَة.

(٢) الظَّعِينَة هُنَا الْجَارِيَة، وَأَصْلُهَا الْهَوْدَجُ، وَسُمِّيَتْ بِهَا الْجَارِيَة؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ فِيهِ . وَاسْم هَذِهِ الظَّعِينَة سَارَة مَوْلَاة لِعِمْرَان بْن أَبِي صَيْفِيٍّ الْقُرَشِيِّ.

(٣) تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا: هُوَ بِفَتْحِ التَّاء، أَيْ: تَجْرِي .

(٤) عِقَاصهَا: هُوَ بِكَسْرِ الْعَيْن، أَيْ: شَعْرِهَا الْـمَضْفُور، وَهُوَ جَمْع عَقِيصَة .

(٥) مُلْصَقًا: كَانَ حَلِيفا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسهَا.

(٦) يَداً: نِعْمَةً وَمِنَّةً عَلَيْهِم.

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمُنَافِقِ. قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ[1] عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ؛ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2].

٣٥- لا تَقْتُـلُوا شَيْـخـاً

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «انْطَلِقُوا بِاسْمِ الله، وَبِالله[3]، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ الله[4]، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا[5]، وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا[6] وَلَا امْرَأَةً[7]، وَلَا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ[8]، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْـمُحْسِنِينَ»[9].

وعَنْ حَنْظَلَةَ الكَاتِبِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَيها النَّاسُ، قَالَ: فَأَفْرَجُوا لَهُ[10]؛ فَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ فِيمَنْ يُقَاتِلُ».

---

(١) اطَّلَعَ: نَظَرَ إِلَيهِمْ وَعَلِمَ حَالَـهَمْ وَمَا سَيَكُونُ مِنْهُمْ.

(٢) أخرجه البخاري (٣:١٠٩٥) رقم (٢٨٤٥)، ومسلم (٤:١٩٤١) رقم (٢٤٩٤).

(٣) يعني: معتمدين على الله متوكلين عليه مستعينين به.

(٤) يعني: على سنته وطريقته ومنهجه ودينه.

(٥) يعني: ليس من أهل القتال، إلا إن كان ذا رأي وخبرة في الحرب بحيث يستفيدون منه فيقتل وإن كان كبيراً؛ للتخلص من شَرِّهِ.

(٦) الصغير: هو الذي لم يبلغ الحلم، ولكن الحكم (لا يقتل) هو الذي لا يقاتل، أما من يكون من المقاتلة ولو لم يبلغ فهو يقتل لقتاله.

(٧) المرأة كذلك لا تقتل إلا أن تكون من المقاتلة؛ فإنها تقتل.

(٨) يعني: اجمعوها وضموا بعضها إلى بعض، حتى لا يؤخذ منها من غير حق.

(٩) أخرجه أبو داود (٢:٤٤) رقم (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦:٤٨٣) رقم (٣٣١١٨).

(١٠) أَي: تَفَرَّقُوا لِأَجْلِهِ.

ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ: «اِنْطَلَقْ إِلَى خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ، يَقُولُ: لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً(١) وَلَا عَسِيفاً(٢)»(٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: «اخْرُجُوا، بِسْمِ الله تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله مَنْ كَفَرَ بِالله، لَا تَغْدِرُوا(٤) وَلَا تَغُلُّوا(٥) وَلَا تُمَثِّلُوا(٦)، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ(٧)»(٨).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ الله ﷺ فَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّساءِ وَالصِّبْيانِ(٩).

---

(١) الذُّرِّيةُ: اسمٌ يَجْمعُ نَسل الإنسان من ذَكَرٍ وأنثَى، والمرادُ بها في هذا الحديث النِّساء؛ لأجل المرأة المقتولةِ.

(٢) أَيْ: أَجِيرًا، وَكَأَنَّ الْمُرَادَ الْأَجِير عَلَى حِفْظ الدَّوَابِّ وَنَحْوِهِ، لَا الْأَجِير عَلَى الْقِتَال.

(٣) أخرجه أحمد (٤:١٧٨) رقم (١٧٦٤٧)، وابن ماجه (٢:٩٤٨) رقم (٢٨٤٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥:٢٠١) رقم (٩٣٨٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦:٤٨٢) رقم (٣٣١١٧).

(٤) الْغَدْر : نقض العهد، وترك الوفاء به.

(٥) الغلول : الأخذ من الغنيمة من غير قسمها.

(٦) والتمثيل هنا : التشويه بالقتيل ؛ كجدع أنفه، وأذنه، والعبث به.

(٧) فيه دليل على أنه لا يجوز قتل من كان متخلياً للعبادة من الكفار كالرهبان؛ لإعراضه عن ضُرِّ المسلمين، ويقاس على ذلك من كان مقعداً أو أعمى أو نحوهما ممن كان لا يرجى نفعه ولا ضره.

(٨) أخرجه أحمد (١:٣٠٠) رقم (٢٧٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١١:٢٢٤) رقم (١١٥٦٢)، وأبو يعلى (٤:٤٢٢) رقم (٢٥٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩:٩٠) رقم (١٧٩٣٣).

(٩) أخرجه البخاري (٣:١٠٩٨) رقم (٢٨٥٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦:٤٨٢) رقم (٣٣١١٢).

٣٦- مَكِيْدَةُ صَفْوَانَ وَعُمَيرٍ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ

جَلَسَ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ -بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ- فِي الْحِجْرِ بِيَسِيرٍ، وَكَانَ مِـمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ الله ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْـقَوْنَ مِنْهُمْ عَنَتًا، إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبُ بن عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى أَصْحَابِ بَدْرٍ.

قَالَ: فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْـقَلِيبِ بِمَصَائِبِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَالله إِنْ[1] فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيرٌ. وَقَالَ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ: صَدَقْتَ وَالله، لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي قَضَاؤُهُ، وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ[2] بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً[3]، ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ.

فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ، فَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ، أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُسْوَتُهُمْ[4] مَا بَقُوا، لا يَسَعُهُمْ شَيْءٌ نَعْجَزُ عَنْهُمْ، قَالَ عُمَيْرٌ: اكْتُمْ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنَكَ، قَالَ: أَفْعَلُ.

قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ، فَشُحِذَ[5] وَسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْـمَدِينَةِ، فَبَيْنَا[6] عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ بِالْـمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ يَتَذَاكَرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرِ بن وَهْبٍ قَدْ أَنَاخَ بِبَابِ الْـمَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ، فَقَالَ: هَذَا

---

(١) إنْ مخففة من الثقيلة، ومعناها هنا النفي، أي: ما في العيش بعدهم خير.

(٢) الضيعة: الضياع والتشتت.

(٣) العلة: السبب.

(٤) من المواساة، وهي المشاركة والمسَاهَمَة في المعَاش والرزق.

(٥) أَحَدَّ سِنانه.

(٦) أَصْلُ بَيْنَا : بَيْن، فأُشْبِعَت الفتحة فصارت أَلِفاً، يقال: بَيْنَا وبَيْنَمـا.

الْكَلْبُ عَدُوُّ الله عُمَيْرُ بن وَهْبٍ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ، هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرَنَا[1] لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا عَدُوُّ الله عُمَيْرُ بن وَهْبٍ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ قَالَ: فَأَدْخِلْهُ. فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ، فَلَبَّبَهُ[2] بِهَا، وَقَالَ عُمَرُ لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا هَذَا الْكَلْبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ، فَقَالَ: «أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ ، ادْنُ يَا عُمَيْرُ». فَدَنَا.

فَقَالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا، وَكَانِتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَقَالَ: أَمَا وَالله يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ الْعَهْدِ بِهَا، قَالَ:«فَمَا جَاءَ بِكَ؟».

قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ، قَالَ: «فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟». قَالَ: قَبَّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ، فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا؟ قَالَ: «اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟». قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِهَذَا، قَالَ:«بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَتَذَاكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتَ: لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالِي؛ لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ صَفْوَانُ لَكَ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي، وَالله حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ».

قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ الله نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلا أَنَا وَصَفْوَانُ، فَوَالله إِنِّي لأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلَّا اللهُ، فَالْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانِي لِلإِسْلامِ، وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ، ثُمَّ شَهِدَ

---

(١) حزرنا: خمَّنَ وقَدَّرَ أعدادَنا لقريش .

(٢) لبَّبَه وأخذ بتَلْبيبه وتلابيبه: إذا جمعْتَ ثيابه عند صدره ونَحْرِه، ثم جَرَرْتَه .

شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ»[1].

٣٧- مُشَاوَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي الْخُرُوجِ أَوْ الْبَقَاءِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ

خَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِحَدِّهَا وَحَدِيدِهَا وَأَحَابِيشِهَا[2]، وَمَنْ تَابَعَهَا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِالظُّعُنِ[3] الْتِمَاسَ الْحَفِيظَةِ[4] وَأَلَّا يَفِرُّوا .

فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَهُوَ قَائِدُ النَّاسِ بِهِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ، وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بِأُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِبَرْزَةَ بِنْتِ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفِيِّ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ الله بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ .قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ: رُقَيَّةُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِرَيْطَةَ بِنْتِ مُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَأَبُو طَلْحَةَ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بِسُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدٍ الْأَنْصَارِيَّةِ، وَهِيَ أُمُّ بَنِي طَلْحَةَ: مُسَافِعٌ وَالْجُلَاسُ وَكِلَابٌ، قُتِلُوا يَوْمئِذٍ هُمْ وَأَبُوهُمْ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» رقم (١٣٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٧:٨٥) رقم (١١٨).

(٢) الْأَحَابِيشُ: بَنُو الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ وَالْهُونُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : تَحَالَفُوا جَمِيعًا، فَسُمُّوا الْأَحَابِيشَ لِلْحِلْفِ. والتَّحَبُّش : التَّجمُّع . وقيل حالفوا قُريشاً تحت جبل يُسَمَّى حُبْشِيًّا فسُمُّوا بذلك.

(٣) الظُّعُن: النِّساء واحِدَتها: ظَعِينة. وأصلُ الظَّعِينة: الرَّاحلَةُ التي يُرْحَل ويُظْعَن عليها: أي يُسار . وقيل للمرأة ظَعينة؛ لأنها تَظْعَن مع الزَّوج حَيثُما ظَعَن، أو لأنَّها تُحْمَل على الرَّاحِلَة إذا ظَعَنت.

(٤) الحفيظة: الغضب والحمية.

وَخَرَجَتْ خِنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ الْـمُضْرِبِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِسْلٍ مَعَ ابْنِهَا أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَهِيَ أُمُّ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَخَرَجَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ.

وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا، قَالَتْ: وَيْهًا أَبَا دَسْمَةَ، اشْفِ وَاسْتَشْفِ. وَكَانَ وَحْشِيٌّ يُكَنَّى بِأَبِي دَسْمَةَ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَلٍ بِبَطْنِ السَّبْخَةِ مِنْ قَنَاةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي، مُقَابِلَ الْـمَدِينَةِ .

لَـمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ الله ﷺ وَالْـمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَالله خَيْرًا، رَأَيْتُ بَقَرًا، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي[1] ثَلْمًا، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الْـمَدِينَةَ».

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «رَأَيْت بَقَرًا لِي تُذْبَحُ؟ قَالَ: فَأَمَّا الْبَقَرُ فَهِيَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ، وَأَمَّا الثَّلْمُ الَّذِي رَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي، فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ -يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ-: «فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْـمَدِينَةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا».

وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ الله ﷺ يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَلَّا يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ؛ فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ مِـمَّنْ أَكْرَمَ اللهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِ مِـمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ: يَا رَسُولَ الله، اُخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا.

(١) ذُبابُ السيف: طَرَفُه الذي يُضرَبُ به.

فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: يَا رَسُولَ الله، أَقِمْ بِالـمَدِينَةِ لَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَوَالله مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوٍّ قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ الله، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبِسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمْ الرَّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاؤُوا.

فَلَمْ يَزَلْ النَّاسُ بِرَسُولِ الله ﷺ الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَهُ فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ[1]، وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ.

وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ -يُقَال لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ- فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ الله ﷺ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اسْتَكْرَهْنَاك وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْك؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ». فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ[2].

٣٨- مَصَائِبُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ[3] عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ[4]. قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

---

(١) اللأمة مَهْموزة : الدِّرْع . وقيل : السِّلاح . ولأمَةُ الحَرب : أداتُه.

(٢) ذكره بهذا السياق السهيلي في «الروض الأنف» (٣:٢٤٣)، وأخرجه أحمد (٣:٣٥١) رقم (١٤٨٢٩)، والدارمي (٢:١٧٣) رقم (٢١٥٩)، والواقدي في «المغازي» (ص٢١٤) وابن هشام في «سيرته» (٢:٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣:٢٣٩).

(٣) مترس عليه بنفسه، يقيه من ضربات المشركين ونبالهم.

(٤) ترس من الجلد ليس فيها خشب.

قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجَعْبَةُ[1] مِنَ النَّبْلِ؛ فَيَقُولُ: «انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ».

قَالَ: وَيُشْرِفُ نَبِيُّ الله ﷺ يَنْظُرُ إِلَى القَوْمِ؛ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ[2]، لَا يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ[3].[4].

وَمِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُفَدِّي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ سَعْدٌ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»[5].

وَمِنْهُمْ سَهْلُ بْنُ حُنَيفٍ وَكَانَ مِنْ مَشَاهِيرِ الرُّماةِ، نَضَحَ[6] عَنْ رَسُولِ الله بِالنَّبْلِ حَتَّى انْفَرَجَ عَنْهُ النَّاسُ. وَمِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ الأَنْصَارِيُّ تَتَرَّسَ عَلَى رَسُولِ الله، فَصَارَ النَّبْلُ يَقَعُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ. وَكَانَ يُقاتِلُ عَنِ الرَّسُولِ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ[7] فِي خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ -وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ- فَقَاتَلُوا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ ثُمَّ رَجُلٌ يُقْتَلُونَ دُونَهُ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادًا، أَوْ عُمَارَةَ بْنَ زِيَادٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الجِرَاحَةُ[8].

---

(١) الجَعْبَة : الكِنَانة الَّتي تُجْعل فيها السّهام.

(٢) لا تشرف: أي: لا تتشرف من أعلى موضع، أي: لا تتطلع.

(٣) نحري دون نحرك: أقف بين يديك بحيث إذا جاء السهم يصيب نحري ولا يصيب نحرك، والنحر الصدر وأسفل العنق.

(٤) أخرجه البخاري (٤:١٤٩٠) رقم (٣٨٣٧)، ومسلم (٣:١٤٤٣) رقم (١٨١١).

(٥) أخرجه أحمد (١:١٢٤)، وابن ماجه (١:٤٧) رقم (١٢٩)، والطيالسي في «مسنده» رقم (١٠٢).

(٦) نضح القومَ بالنبل: رماهم ففرقهم، وفلان ينضح عن نفسه يدفع عنها.

(٧) في كتاب «نور اليقين»: زِيَادَةُ بْنُ الحَارِثِ. وهو خطأ، وما أثبتناه من كتب السيرة، والتراجم.

(٨) أي منعته من الحركة.

ثُمَّ فَاءَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيْئَةٌ فَأَجْهَضُوهُمْ عَنْهُ[1]؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَدْنُوهُ مِنِّي» فَأَدْنَوْهُ مِنْهُ، فَوَسَّدَهُ قَدَمَهُ فَمَـاتَ وَخَدُّهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ الله ﷺ.

وَقَدْ أَصَابَهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ شَدَائِدُ عَظِيمَةٌ تَحَمَّلَها بِمَـا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الثَّبَاتِ، فَقَدْ أَقْبَلَ أُبيُّ بْنُ خَلَفٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، فَأَخَذَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الحَرْبَةَ مِـمَّنْ كَانُوا مَعَهُ، وَقَالَ: «خَلُّوا طَرِيْقَهُ»، فَلَمَّـا قَرُبَ مِنْهُ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَانَتْ سَبَبَ هَلَاكِهِ وَهُوَ رَاجِعٌ، وَلَمْ يَقْتُلْ رَسُولُ الله ﷺ غَيْرَهُ، لَا فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا.

وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ قَدْ حَفَرَ حُفَراً وَغَطَّاهَا لِيقَعَ فِيْها الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الرَّسُولُ فِي حُفْرَةٍ مِنْهَا، فَأُغْمِيَ عَلَيهِ، وَخُدِشَتْ رُكْبَتَاهُ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ، وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيدِ الله - وَهُمَا مِـمَّنْ ثَبَتَ- حَتَّى اسْتَوى قَائِمـاً، فَرَمَاهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِحَجَرٍ كَسَرَ رَبَاعِيَتِهِ[2]؛ فَتَبِعَهُ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ فَقَتَلَهُ، وَشَجَّ وَجْهَهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَبْدُ الله بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، وَجُرِحتْ وَجْنَتَاهُ بِسَبَبِ دُخولِ حَلَقَتي الـمِغْفَرِ[3] فِيهمـا مِن ضَرْبَةٍ ضَرَبَهُ بِها ابنُ قَمِئَةَ غَضِبَ اللهُ عَليه[4]، فَجَاءَ أبو عُبيدةَ وَعالجَ الحَلَقتينِ حَتى نَزَعَهُمـا، فَكُسِرت فِي ذلكَ ثَنِيَّتَاهُ[5].

---

(١) أي: أزالوهم وغلبوهم.

(٢) والرباعية، مخففة الياء: السن التي بعد كلِّ ثنية، وهى أربع رباعيات .

(٣) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. والزَّرَد حِلَقُ المِغْفَر.

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨: ١٣٠) رقم (٧٥٩٦).

(٥) الثَّنِيَّتَانِ: السِّنَّانِ الْـمُتَقَدِّمَتَانِ، وَالْجَمْعُ الثَّنَايَا، وَهِيَ الْأَسْنَانُ الْـمُتَقَدِّمَةُ: اِثْنَتَانِ فَوْقُ وَاثْنَتَانِ تَحْتُ.

وَقَال حِينئذٍ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». فَأُنْزِلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٢٨][1].

وَعَنْ قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَـانِ، قَالَ: «أُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَوْسٌ فَدَفَعَهَا إِلَيَّ يَوْمَ أُحُدٍ، فَرَمَيْتُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى انْدَقَّتْ[2] عَنْ سِيَتِهَا[3]، وَلَمْ أَزَلْ عَنْ مَقَامِي نَصْبَ وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ أَلْقَى السِّهَامَ بِوَجْهِي، كُلَّمَـا مَالَ سَهْمٌ مِنْهَا إِلَى وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ مَيَّلْتُ رَأْسِي لأَقِيَ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ بِلا رَمْيٍ أَرْمِيهِ، فَكَانَ آخِرُهَا سَهْمًـا بَدَرَتْ مِنْهُ حَدَقَتِي عَلَى خَدِّي، وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ، فَأَخَذْتُ حَدَقَتِي بِكَفِّي، فَسَعَيْتُ بِهَا فِي كَفِّي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّـا رَآهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي كَفِّي دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ:«اللهُمَّ إِنَّ قَتَادَةَ قَدْ أَوْجَهَ نَبِيَّكَ بِوَجْهِهِ، فَاجْعَلْهَا أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ، وَأَحَدَّهُمَا نَظَرًا». فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَّهُمَا نَظَرًا»[4].

٣٩- صَبْرُ امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ

كَانَتْ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَـارَةَ، وَهِيَ امْرَأَةُ غَزِيَّةَ بْنِ عَمْرٍو، وَشَهِدَتْ أُحُدًا هِيَ وَزَوْجُهَا وَابْنَاهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَاتَلَتْ أُمُّ عُمَـارَةَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الْـمَـازِنِيَّةُ يَوْمَ أُحُدٍ. فَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَّ أُمَّ سَعْدٍ بِنْتَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ عُمَـارَةَ فَقُلْت لَهَا: يَا خَالَةُ، أَخْبِرِينِي خَبَرَك؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣:١٧٨) رقم (١٢٨٥٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦:٣١٤) رقم (١١٠٧٧). وسياق الخبر كاملاً من كتاب « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» (ص١٢٠).

(٢) أي: انكسرت.

(٣) سِيَةُ القَوْسِ: ما عُطِف من طَرَفَيها ولها سِيَتَان والجمعُ سِياتٌ.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩:٨) رقم (١٢).

فَقَالَتْ: خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيحُ[1] لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُمْتُ أُبَاشِرُ الْقِتَالَ وَأَذُبُّ عَنْهُ بِالسَّيْفِ، وَأَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ حَتَّى خَلَصَتِ[2] الْجِرَاحُ إِلَيَّ.

قَالَتْ: فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ[3]، فَقُلْت: مَنْ أَصَابَك بِهَذَا؟ قَالَتْ: ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللهُ، لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ: دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأُنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ الله كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ[4].

٤٠- مُعالجَةُ النَّبيِّ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ

عَنْ أَبِي حَازِمٍ: أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَسَأَلَهُ النَّاسُ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ: بِأَيِّ شَيْءٍ دُوِوِيَ جُرْحُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِتُرْسِهِ فِيهِ مَاءٌ، وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، فَأُخِذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ فَحُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ»[5].

وحَدَّثَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلٍ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ؛ فَقَالَ: «جُرِحَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ[6] عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ

---

(١) أي: الظَّفَرُ والنُّصْرَةُ.

(٢) أي: وصلت.

(٣) أي: جرحاً مجوفاً عميقاً.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢:٨١).

(٥) أخرجه البخاري (١:٩٦) رقم (٢٤٠)، والترمذي (٤:٤١١) رقم (٢٠٨٥).

(٦) الهَشْم: الكَسْر. والبَيْضَة: الخُوذَة.

فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام تَغْسِلُ الدَّمَ، وَعَلِيٌّ يُمْسِكُ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الدَّمَ لَا يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ حَصِيرًا فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْزَقَتْهُ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ»[1].

٤١- اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ

وَلَمَّا صَاحَ إِبْلِيسُ: «إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ» تَفَرَّقَ النَّاسُ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَرَدَ الْمَدِينَةَ؛ فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ يُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ قُتِلَ سَعْدُ بْنُ عُثْمَانَ أَبُو عُبَادَةَ. ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَهُ رِجَالٌ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى نِسَائِهِمْ، حَتَّى جَعَلَ النِّسَاءُ يَقُلْنَ: أَعَنْ رَسُولِ الله تَفِرُّونَ؟!

قَالَ: يَقُولُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: أَعَنْ رَسُولِ الله تَفِرُّونَ؟ ثُمَّ جَعَلَ يُؤَفِّفُ بِهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ خَلَّفَهُ بِالْمَدِينَةِ، يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: اعْدِلُونِي عَلَى الطَّرِيقِ -يَعْنِي طَرِيقَ أُحُدٍ- فَعَدَلُوهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ يَسْتَخْبِرُ كُلَّ مَنْ لَقِيَ عَنْ طَرِيقِ أُحُدٍ حَتَّى لَحِقَ الْقَوْمَ، فَعَلِمَ بِسَلَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ.

وَكَانَ مِمَّنْ وَلَّى: فُلَانٌ وَالْحَارِثُ بْنُ حَاطِبٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ، وَسَوَّادُ بْنُ غَزِيَّةَ، وَسَعْدُ بْنُ عُثْمَانَ، وَعُقْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ، وَخَارِجَةُ بْنُ عَامِرٍ بَلَغَ مَلَلَ[2]، وَأَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بَلَغُوا الشَّقْرَةَ[3]، وَلَقِيَتْهُمْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْثِي فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ، وَتَقُولُ لِبَعْضِهِمْ: هَاكَ الْمِغْزَلَ فَاغْزِلْ بِهِ، وَهَلُمَّ سَيْفَكَ[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣:١٠٦٦) رقم (٢٧٥٢)، ومسلم (٣:١٤١٦) رقم (١٧٩٠).

(٢) موضع في طريق مكة بين الحرمين. قال ابن السكيت: هو منزل على طريق المدينة إلى مكة عن ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة.

(٣) الشقرة: موضع بطريق فيد بين جبال حُمر على نحو ثمانية عشر ميلاً من النخيل، وعلى يوم من بئر السائب، ويومين من المدينة.

(٤) «مغازي الواقدي» (ص٢٧٨).

قال الواقديُّ: «وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الـمُشْرِكِينَ قَدْ أَذْلَقُوا[1] الـمُسْلِمِينَ بِالرَّمْيِ، مِنْهُمْ حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ، وَأَبُو أُسَامَةَ الجُشَمِيُّ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ: «ارْمِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

وَرَمَى حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَنَ -وَجَاءَتْ يَوْمَئِذٍ تَسْقِي الجَرْحَى- فَعَقَلَهَا وَانْكَشَفَ عَنْهَا[2]، فَاسْتَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ[3]؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَدَفَعَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَهْمًا لَا نَصْلَ لَهُ؛ فَقَالَ: «ارْمِ» فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي ثُغْرَةِ[4] نَحْرِ حِبَّانَ، فَوَقَعَ مُسْتَلْقِيًا وَبَدَتْ عَوْرَتُهُ.

قَالَ سَعْدٌ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. ثُمَّ قَالَ: «اسْتَقَادَ[5] لَهَا سَعْدٌ، أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَك، وَسَدَّدَ رَمْيَتَكَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «اللهُمَّ اِسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ» فَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ[6].

٤٢- وَحْشِيٌّ يُحَدِّثُ عَنْ قَتْلِهِ حَمْزَةَ

قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا لِجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَكَانَ عَمُّهُ طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ قَالَ لِي جُبَيْرٌ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْذِفُ بِالْحَرْبَةِ قَذْفَ الْحَبَشَةِ قَلَّمَا أُخْطِئُ بِهَا شَيْئًا، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزَةَ وَأَتَبَصَّرُهُ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عَرْضِ النَّاسِ

---

(١) أي: أوجعوهم.

(٢) عقلها: صرعها، وانكشف ذيلها عنها.

(٣) أي: بالَغ فيه، وقيل: هو القَهْقَهة.

(٤) الثغرة: وهي نُقْرة النَّحْر فَوْق الصدر.

(٥) انتقم منه بمثل فعله.

(٦) «مغازي الواقدي» (ص٢٤١). وأخرج الرواية الأخيرة الترمذي (٣٧٥١).

كَأَنَّهُ الْجَمَلُ الْأَوْرَقُ[1] يَهُدُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَدًّا مَا يقوم لَهُ شيء، فوَالله إِنِّي لَأَتَهَيَّأُ لَهُ أُرِيدُهُ وَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ بِحَجَرٍ لِيَدْنُوَ مِنِّي، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَلَمَّا رَآهُ حَمْزَةُ قَالَ: هَلُمَّ إِلَى يَابْنَ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ[2].

قَالَ: فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ[3]، قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ[4]، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، وَذَهَبَ لِينُوءَ[5] نَحْوِي فَغُلِبَ، وَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَقَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حَاجَةٌ، إِنَّمَا قَتَلْتُهُ لَأُعْتَقَ.

فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ عُتِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ، حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفْدُ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيُسْلِمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَلْحَقُ بِالشَّامِ أَوْ بِالْيَمَنِ أَوْ بِبَعْضِ الْبِلَادِ، فَوَالله، إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَالله لَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ.

قَالَ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهُ ﷺ الْمَدِينَةَ فَلَمْ يَرُعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي: «أوحشي أَنْت؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ الله.

قَالَ: «اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟».

قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ: «وَيْحَكَ غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أُرَيَنَّكَ».

---

(١) الْجمل الأورق: الّذي لَونه بَين الغبرة والسواد، سَمَّاهُ كَذَلِك لما عَلَيْهِ من الْغُبَار.

(٢) لأن أمه كانت ختانة.

(٣) يقال هذا: عند المبالغة في الإصابة.

(٤) الثنة: ما بين السرة والعانة من أسفل البطن.

(٥) ينوء: ينْهض متثاقلاً.

قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ الله ﷺ حَيْثُ كَانَ؛ لِئَلَّا يَرَانِي، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ[1].

٤٣- بِلالٌ فِي وَرْطَةٍ

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ لُـحَيٍّ الْـهَوْزَنِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ بِلَالاً، مُؤَذِّنَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: يَا بِلاَلُ، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ الله ﷺ؟

قَالَ: مَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ، وَكُنْتُ أَنَا الَّذِي أَلِي[2] ذَلِكَ مُنْذُ بَعَثَهُ اللهُ حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ، فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الإِنْسَانُ الـمُسْلِمُ، فَرَآهُ عَارِيًا، يَأْمُرُنِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَقْرِضُ، فَأَشْتَرِي الْبُرْدَةَ، أَوِ النَّمِرَةَ[3]، فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ، حَتَّى اعْتَرَضَنِي رَجُلٌ مِنَ الـمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: يَا بِلاَلُ، إِنَّ عِنْدِي سَعَةً، فَلَا تَسْتَقْرِضْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مِنِّي، فَفَعَلْتُ.

فَلَمَّـا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، تَوَضَّأْتُ، ثُمَّ قُمْتُ أُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا الـمُشْرِكُ فِي عِصَابَةٍ[4] مِنَ التُّجَّارِ، فَلَمَّـا رَآنِي، قَالَ: يَا حَبَشِيُّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا لَبَّيْه[5]، فَتَجَهَّمَنِي[6]، وَقَالَ لِي قَوْلاً غَلِيظًا، وَقَالَ: أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ؟

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢ : ٧٢). وأخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٤١٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٨٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٩٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨١٨٨).

(٢) بِصِيغَةِ الْـمُتَكَلِّم مِنَ الْوِلَايَة، أَيْ: أَتَوَلَّى.

(٣) بُرْدَةٌ مُخَطَّطة . قال الجَوْهَرِيّ : وهي من صوف تَلْبَسها الأَعْرابُ . وقال ابنُ الأثير: كلُّ شَمْلَةٍ مخطّطة من مآزر الأعراب.

(٤) أَيْ: جَمَاعَة.

(٥) أَيْ: لَبَّيْكَ.

(٦) أَيْ: تَلَقَّانِي بِوَجْهٍ كَرِيه.

قَالَ: قُلْتُ: قَرِيبٌ، قَالَ لِي: إِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعٌ، فَآخُذُكَ بِالَّذِي عَلَيْكَ[1]، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِكَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ مِنْ كَرَامَتِكَ عَلَيَّ، وَلاَ كَرَامَةِ صَاحِبِكَ، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أَعْطَيْتُكَ لِتَجِبَ لِي عَبْدًا، فَأَرُدُّكَ تَرْعَى الْغَنَمَ، كَمَا كُنْتَ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَأَخَذَ فِي نَفْسِي[2] مَا يَأْخُذُ النَّاسُ، فَانْطَلَقْتُ، ثُمَّ أَذَّنْتُ بِالصَّلاَةِ، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ[3]، رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، بِأَبِي أَنْتَ، إِنَّ الـمُشْرِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنِّي كُنْتُ أَتَدَيَّنُ مِنْهُ، قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تَقْضِي عَنِّي، وَلاَ عِنْدِي، وَهُوَ فَاضِحِي[4]، فَأْذَنْ لِي أَنْ آبَقَ[5] إِلَى بَعْضِ هَؤُلاَءِ الأَحْيَاءِ[6] الَّذِينَ أَسْلَمُوا، حَتَّى يَرْزُقَ اللهُ رَسُولَهُ مَا يَقْضِي عَنِّي. فَقَالَ ﷺ: «إِذَا شِئْتَ اعْتَمَدْتَ».

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ مَنْزِلِي، فَجَعَلْتُ سَيْفِي وَجِرَابِي وَنَعْلِي وَمِجَنِّي عِنْدَ رَأْسِي[7]، وَاسْتَقْبَلْتُ بِوَجْهِي الأُفُقَ، فَكُلَّمَا نِمْتُ سَاعَةً اسْتَنْبَهْتُ، فَإِذَا رَأَيْتُ عَلَيَّ لَيْلاً نِمْتُ، حَتَّى أَسْفَرَ الصُّبْحُ الأَوَّلُ[8]، أَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يَسْعَى يَدْعُو: يَا بِلاَلُ، أَجِبْ رَسُولَ

---

(١) أَيْ: آخُذك عَلَى رَأْس الشَّهْر فِي مُقَابَلَة مَا عَلَيْك مِنَ المال، وَأَتَّخِذك عَبْدًا فِي مُقَابَلَة ذَلِكَ المال.

(٢) أَيْ: مِنَ الْهَمِّ.

(٣) أَيْ: الْعِشَاء.

(٤) اِسْم فَاعِل مُضَاف إِلَى يَاء الْـمُتَكَلِّم . قَالَ فِي «الْقَامُوس» : فَضَحَهُ كَمَنَعَهُ: كَشَفَ مَسَاوِيَهُ.

(٥) أَيْ: أَذْهَب وَأَفِرّ. وفي رواية ابن حبان «أن أنوء». وناء: نهض.

(٦) جَمْع حَيٍّ، بِمَعْنَى قَبِيلَة.

(٧) الجراب: هو الوعاء من جلد، يكون فيه المتاع، والقراب: قراب السيف، وهو وعاء كالجراب مستطيل يجعل فيه السيف بغمده، والمجن هو الترس الذي يتقى به السلاح في الحرب، وهو مأخوذ من الجُنَّة وهي السترة والوقاية.

(٨) أسفَر الصبحُ: إذا انكَشَف وأضاءَ، الصُّبْح الْأَوَّل: وَهُوَ الصُّبْح الْكَاذِب دُون الْفَجْر.

الله ﷺ فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَإِذَا أَرْبَعُ رَكَائِبَ[1] مُنَاخَاتٌ[2]، عَلَيْهِنَّ أَحْمَالُهُنَّ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «أَبْشِرْ، فَقَدْ جَاءَ اللهُ بِقَضَائِكَ[3]» فَحَمِدْتُ اللهَ، وَقَالَ: «أَلَمْ تَمُرَّ عَلَى الرَّكَائِبِ الْمُنَاخَاتِ الأَرْبَعِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «إِنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ، كِسْوَةٌ وَطَعَامٌ أَهْدَاهُنَّ إِلَيَّ عَظِيمُ فَدَكَ، فَاقْبِضْهُنَّ، ثُمَّ اقْضِ دَيْنَكَ».

قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَحَطَطْتُ[4] عَنْهُنَّ أَحْمَالَهُنَّ، ثُمَّ عَقَلْتُهُنَّ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى تَأْذِينِ صَلاَةِ الصُّبْحِ، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، خَرَجْتُ لِلْبَقِيعِ، فَجَعَلْتُ إِصْبَعَيَّ فِي أُذُنَيَّ، فَنَادَيْتُ: مَنْ كَانَ يَطْلُبُ رَسُولَ الله ﷺ دَيْنًا فَلْيَحْضُرْ، فَمَا زِلْتُ أَبِيعُ وَأَقْضِي، وَأَعْرِضُ فَأَقْضِي.

حَتَّى إِذَا فَضَلَ فِي يَدِي أُوقِيَّتَانِ، أَوْ أُوقِيَّةٌ وَنِصْفٌ، انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامَّةُ النَّهَارِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ مَا قِبَلَكَ؟»[5] فَقُلْتُ: قَدْ قَضَى اللهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفَضَلَ شَيْءٌ؟»[6] قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «انْظُرْ[7] أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهَا[8]، فَلَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْهَا». فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الْعَتَمَةَ دَعَانِي،

---

(١) جَمْع رُكُوبة وَهُوَ مَا يُرْكَب عَلَيْهِ مِنْ كُلّ دَابَّة.

(٢) أي: باركات، ملازمات لموضع بروكهن.

(٣) أَيْ: مَا تَقْضِي بِهِ الدَّيْن.

(٤) أي: أنزلت ما عليهن من الأحمال.

(٥) أَيْ: مَا حَال مَا عِنْدك مِنَ الْمَال، هَلْ قُضِيَ الدَّيْن أَمْ لَا؟

(٦) أبقي شيء مما جاء من الأحمال.

(٧) أَيْ: اِسْعَ فِي إِرَاحَتِي مِنْهُ وَانْظُرْ فِي أَسْبَابه.

(٨) أَيْ: تُفْرِغ قَلْبِي مِنْهُ بِأَنْ تُنْفِقَه عَلَى مَصَارِفه.

فَقَالَ: «مَا فَعَلَ مَا قِبَلَكَ؟». قَالَ: قُلْتُ: هُوَ مَعي لَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ، فَبَاتَ فِي الـمَسْجِدِ حَتَّى أَصْبَحَ، فَظَلَّ فِي الـمَسْجِدِ الْيَوْمَ الثَّانِي، حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ، جَاءَ رَاكِبَانِ، فَانْطَلَقْتُ بِهِمَـا، فَكَسَوْتُهُمَـا وَأَطْعَمْتُهُمَـا، حَتَّى إِذَا صَلَّى العَتَمَةَ دَعَانِي، فَقَالَ ﷺ: «مَا فَعَلَ الَّذِي قِبَلَكَ؟» فَقُلْتُ: قَدْ أَرَاحَكَ اللهُ مِنْهُ يَا رَسُولَ الله، فَكَبَّرَ، وَحَمِدَ اللهَ، شَفَقًا[1] أَنْ يُدْرِكَهُ الـمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَاءَ أَزْوَاجُهُ، فَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ امْرَأَةٍ، حَتَّى أَتَى مَبِيتَهُ، فَهَذَا الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ[2].[3].

٤٤- خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللهَ لَهُ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا، وَأُمِّي، وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي، فَقَالَ: «قُومُوا فَلِأُصَلِّيَ بِكُمْ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ[4]». فَصَلَّى بِنَا -فَقَالَ رَجُلٌ لِثَابِتٍ: أَيْنَ جَعَلَ أَنَسًا مِنْهُ؟ قَالَ: جَعَلَهُ عَلَى يَمِينِهِ- ثُمَّ دَعَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ الله، خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللهَ لَهُ، قَالَ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ» أَنْ قَالَ: «اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيه».

قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللهِ، إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ[5].

---

(١) أي: خوفاً.

(٢) الـمُخَاطَب هُوَ عَبْد الله الْهَوْزَنِيُّ الَّذِي سَأَلَ بِلَالًا عَنْ نَفَقَته ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٢:١٨٧) رقم (٣٠٥٥)، وابن حبان (١٤:٢٦١) رقم (٦٣٥١)، والطبراني في «الكبير» (١:٣٦٣) رقم (١١١٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦:٨٠) رقم (١١٢١٧).

(٤) أي في غير وقت فريضة.

(٥) أخرجه مسلم (١:٤٧٥) و (٤:١٩٢٩).

٤٥- وَلَوْ بِشِقِّ تَـمْرَةٍ

عَنِ الْـمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي[1] النِّمَـارِ[2] أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَـرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ[3] وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ لِـمَـا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ[4]؛ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ؛ فَقَالَ: « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْـرِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَـنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:١٨]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَـمْرِهِ - حَتَّى قَالَ- وَلَوْ بِشِقِّ تَـمْرَةٍ ».

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ[5]، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا

---

(١) المجتاب: اللابس.

(٢) النمار: جمع نمرة وهى كساء فيه خطوط بيض وسود تلبسه الأعراب.

(٣) تمعر: تغير، والأصل في التَّمَعُّرِ قلةُ النضارة وعدم إشراق اللون.

(٤) الفاقة: الحاجَة والفَقْر.

(٥) يقول الإمام النووي: (مُذْهَبَة) ضَبَطُوهُ بِوَجْهَيْنِ: أَحَدهمَا، وَهُوَ الْمَشْهُور وَبِهِ جَزَمَ الْقَاضِي وَالْجُمْهُور: (مُذْهَبَة). وَالثَّانِي: (مُدْهُنَة). وَشَرَحَهُ الْحُمَيْدِيّ فِي كِتَابه «غَرِيب الْجَمْع بَيْن الصَّحِيحَيْنِ» فَقَالَ هُوَ وَغَيْره مِمَّنْ فَسَّرَ هَذِهِ الرِّوَايَة إِنْ صَحَّتْ: الْـمُدْهُن: الْإِنَاء الَّذِي يُدْهَن فِيهِ، وَهُوَ أَيْضًا اِسْم لِلنُّقْرَةِ فِي الْجَبَل الَّتِي يُسْتَجْمَع فِيهَا مَاء الْمَطَر ؛ فَشَبَّهَ صَفَاء وَجْهه الْكَرِيم بِصَفَاءِ هَذَا الْمَاء، وَبِصَفَاءِ الدُّهْن وَالْـمُدْهُن. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض فِي «الْـمَشَارِق» وَغَيْرُه مِنَ الْأَئِمَّة: هَذَا تَصْحِيف، وَهُوَ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَة وَالْبَاء الْمُوَحَّدَة، وَهُوَ الْمَعْرُوف فِي الرِّوَايَات، وَعَلَى هَذَا ذَكَرَ الْقَاضِي وَجْهَيْنِ فِي تَفْسِيره **أَحَدهمَا**: مَعْنَاهُ: فِضَّة مُذْهَبَة، فَهُوَ أَبْلَغ فِي حُسْنِ الْوَجْهِ

بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

٤٦- خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[2] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا؛ فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ» فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ[3] حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ، فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[4]»[5].

وَإِشْرَاقِهِ، **وَالثَّانِي**: شَبَّهَهُ فِي حُسْنِهِ وَنُورِهِ بِالْمُذْهَبَةِ مِنَ الْجُلُود، وَجَمْعُهَا مَذَاهِب، وَهِيَ شَيْء كَانَتْ الْعَرَب تَصْنَعهُ مِنْ جُلُود، وَتَجْعَل فِيهَا خُطُوطًا مُذْهَبَة يَرَى بَعْضهَا أَثَر الْبَعْض. «شرح النووي على مسلم» (٣:٤٦١).

(١) أخرجه مسلم (٢:٧٠٤) رقم (١٠١٧)،، والنسائي (٥:٧٥) رقم (٢٥٥٤).

(٢) أَيْ: يَخُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ فِي ذَلِكَ.

(٣) امضِ لوجهكَ مُترفقًا متثبِّتًا.

(٤) قال الإمام النووي: هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْر، وَهِيَ أَنْفُسُ أَمْوَال الْعَرَب، يَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَل فِي نَفَاسَةِ الشَّيْء، وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَعْظَم مِنْهُ. وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ تَشْبِيهَ أُمُور الْآخِرَة بِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ لِلتَّقْرِيبِ مِنَ الْأَفْهَام، وَإِلَّا فَذَرَّةٌ مِنَ الْآخِرَة الْبَاقِيَة خَيْرٌ مِنَ الْأَرْض بِأَسْرِهَا، وَأَمْثَالهَا مَعَهَا لَوْ تُصُوِّرَتْ. «شرح النووي على مسلم» (١٥:١٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٩٨)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأحمد (٥:٣٣٣).

٤٧- الشَّاةُ الْـمَسْمُومَةُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا؛ فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا» فَمَـا زِلْتُ أَعْرِفُهَا[١] فِي لَهَوَاتِ[٢] رَسُولِ الله ﷺ[٣].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ، أَنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً[٤]، ثُمَّ أَهْدَتْهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا الذِّرَاعَ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ الرَّهْطُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ[٥]».

وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا، فَقَالَ لَـهَا: «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟» فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِيَ» لِلذِّرَاعِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَـاذَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا[٦]، وَتُوُفِّيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ.

---

(١) أعرفها: أَيْ الْعَلَامَة، كَأَنَّهُ بَقِيَ لِلسُّمِّ عَلَامَةٌ وَأَثَرٌ مِنْ سَوَاد أَوْ غَيْره .

(٢) لهوات: جمع لهاة، وهي ما يبدو من الفم عند التبسم، وقيل: هي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

(٣) أخرجه البخاري (٢:٩٢٣) رقم (٢٤٧٤)، ومسلم (٤:١٧٢١) رقم (٢١٩٠).

(٤) أَيْ: مَشْوِيَّة.

(٥) لَا تَأْكُلُوا مِنْهَا.

(٦) قال شمس الحق العظيم آبادي: أَيْ لَمْ يُؤَاخِذِ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودِيَّة بِهَذَا الْفِعْل. قَالَ فِي «مِرْقَاة الصُّعُود»: وَفِي الْحَدِيث الَّذِي يَلِيه: فَأَمَرَ بِقَتْلِهَا فَقُتِلَتْ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : الثَّابِت عِنْدنَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَتَلَهَا، وَأَمَرَ بِلَحْمِ الشَّاةِ فَأُحْرِقَ .

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «سُنَنه»: اِخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِي قَتْلهَا، وَمَا رُوِيَ عَنْ أَنَس أَصَحُّ، قَالَ: وَيَحْتَمِل أَنَّهُ ﷺ فِي الِابْتِدَاء لَمْ يُعَاقِبْهَا حِين لَمْ يَمُتْ أَحَد مِنَ الصَّحَابَة مِمَّنْ أَكَلَ، فَلَمَّـا مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ أَمَرَ بِقَتْلِهَا، فَرَوَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّوَاة مَا شَاهَدَ. اِنْتَهَى .

وَاحْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى كَاهِلِهِ[1]، مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ، حَجَمَهُ أَبُو هِنْدٍ، مَوْلَى بَنِي بَيَاضَةَ، بِالْقَرْنِ وَالشَّفْرَةِ[2]، وَهُوَ مِنْ بَنِي ثُمَـامَةَ، وَهُمْ حَيٌّ مِنَ الأَنْصَارِ[3].

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْبَلُ الْـهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ. فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ؛ فَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» فَمَـاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ.

فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ: «مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟» قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ. فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ فَقُتِلَتْ.

ثُمَّ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «مَازِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي[4]»[5].

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَبِيبَةَ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أُتِيَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ مَصْلِيَّةٍ، أَهْدَتْهَا لَهُ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ، فَأَكَلَ مِنْهَا رَسُولُ الله ﷺ هُوَ وَبِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ؛ فَمَرِضَا مَرَضًا شَدِيدًا عَنْهَا.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْن هَذِهِ الرِّوَايَات وَالْأَقَاوِيلِ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهَا أَوَّلًا حِين اِطَّلَعَ عَلَى سُمِّهَا، وَقِيلَ لَهُ: أُقْتُلْهَا. فَقَالَ. «لَا»، فَلَمَّـا مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنْ ذَلِكَ سَلَّمَهَا لِأَوْلِيَائِهِ فَقَتَلُوهَا قِصَاصًا، فَيَصِحُّ قَوْلهمْ: لَمْ يَقْتُلْهَا، أَيْ: فِي الْحَال، وَيَصِحُّ قَوْلهمْ: قَتَلَهَا. أَيْ: بَعْد ذَلِكَ. وَاَللَّهُ أَعْلَم. اِنْتَهَى.«عون المعبود» (٩: ١٧٠٠).

(١) الْكَاهِل: مُقَدَّمُ أَعْلَى الظَّهْر، مِمَّا يَلِي الْعُنُق.

(٢) هُوَ قَرْن ثَوْر جُعِلَ كَالْمِحْجَمَةِ، والشَّفْرَة: السِّكِّين الْعَرِيضَة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥١٠)، والدارمي (٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٧٨٧).

(٤) الأَبْهَرُ: عِرْقٌ مُسْتَبْطِنُ الصُّلْبِ، والقَلْبِ مُتَّصِلٌ به، فإذا انْقَطَعَ لم تكن معه حَيَاةٌ.

(٥) أخرجه أبو داود (٢: ٥٨٢) رقم (٤٥١٢).

ثُمَّ إِنَّ بِشْرًا تُوُفِّيَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَأُتِيَ بِهَا؛ فَقَالَ: «وَيْحَكِ[1]، مَاذَا أَطْعَمْتِنَا؟».

قَالَتْ: أَطْعَمْتُكَ السُّمَّ، عَرَفْتُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا أَنَّ ذَلِكَ لاَ يَضُرُّكَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَبْلُغُ فِيكَ أَمْرَهُ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُرِيحَ النَّاسَ مِنْكَ. فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ فَصُلِبَتْ[2].

٤٨- حَدِيثُ إِسْلامِ سَلْمَانَ ﷺ

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: جَيّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ[3] قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ الله إِلَيْهِ، لَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ[4] الَّذِي يُوقِدُهَا، لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو[5] سَاعَةً.

قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ[6] عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ إِلَيْهَا، فَاطَّلِعْهَا -وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ- ثُمَّ قَالَ لِي: وَلَا تَحْتَبِسْ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عَنِّي كُنْتَ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ضَيْعَتِي، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي.

---

(١) وَيْح: لِمَنْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ مَعَ تَرَفُّق وَتَرَحُّم فِي حَال الشَّفَقَة، وَوَيْل: لِمَنْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ مَعَ غَضَب.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩:٢٢١)، والدارقطني في «سننه» (٣:١٢٠) رقم (١٣٠). والبيهقي من طريق الدارقطني في «السنن الكبرى» (٨:٤٦) رقم (١٦٤٣٤).

(٣) هُوَ زَعِيم فَلَّاحِي الْعَجَم، وَقِيلَ : زَعِيم الْقَرْيَة وَرَئِيسهَا.

(٤) أي: خازِنَها وخادِمَها: أراد أنه كان لازِماً لها ولا يُفارِقُها من قَطَن في المكان إذا لَزِمه .

(٥) خبت النار : إذا خمدت وسكنت وطفئت.

(٦) الضَّيْعَةُ : الأَرْضُ الْمُغِلَّةُ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ الَّتِي بَعَثَنِي إِلَيْهَا، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْت لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا رَأَيْتهمْ أَعْجَبَتْنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَالله خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَالله مَا بَرِحْتُهُمْ[1] حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي، فَلَمْ آتِهَا.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصِلُ هَذَا الدِّينَ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ. فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي، وَشَغَلَتْهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، فَلَمَّا جِئْتُهُ؛ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَوَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِأُنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَالله مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَلَّا وَالله، إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِيننَا.

قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ. قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ[2] مِنَ الشَّامِ فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ. قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي[3] بِهِمْ.

قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ عِلْمًا؟

---

(١) أي: ما زلت عندهم، ولم أغادرهم.

(٢) أصحاب إبل مسافرين، عشرة فما فوقها.

(٣) أعلموني.

قَالُوا: الْأُسْقُفُ[1] فِي الْكَنِيسَةِ. قَالَ فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، وَأَخْدُمَكَ فِي كَنِيسَتِكَ، فَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: اُدْخُلْ. فَدَخَلْتُ مَعَهُ.

قَالَ: وَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ؛ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الـمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ[2] مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ[3].

قَالَ: فَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا؛ لِـمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى؛ لِيَدْفِنُوهُ؛ فَقُلْتُ لَـهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الـمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا.

قَالَ: فَقَالُوا لِي: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُمْ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ. قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، فَاسْتَخْرَجُوا سَبْعَ قِلَالٍ مَـمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّـا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا. قَالَ: فَصَلَبُوهُ وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَجَاؤُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ مَكَانَهُ.

قَالَ: يَقُولُ سَلْمَـانُ: فَمَـا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ[4] وَأَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبَ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا مِنْهُ.

قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ. قَالَ: فَأَقَمْت مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ شَيْئًا قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ، وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلَانٌ، وَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ.

---

(١) الأسقف: رئيس من رؤساء النصارى، فوق القسيس ودون المطران.

(٢) القُلَّة : الحُبُّ، الجَرَّة أو الضخمة منها. والجمع : قِلال.

(٣) الورق: الفضة.

(٤) أي: لا أظن أحداً غير المسلمين أفضل منه.

قَالَ: فَلَمَّـا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الـمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ.

فَلَمَّـا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِنَصِيبِينَ[1] وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ.

فَلَمَّـا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْت بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ؛ فَأَخْبَرْته خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبَايَ؛ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْت عِنْدَهُ فَوَجَدْته عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ. فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الـمَوْتُ، فَلَمَّـا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ بَقِيَ أَحَدٌ عَلَى أَمْرِنَا، آمُرُك أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَةَ[2] مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا.

فَلَمَّـا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَةَ، فَأَخْبَرْته خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَ خَيْرِ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ. قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ[3] حَتَّى كَانَتْ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ.

---

(١) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان. «معجم البلدان» (٥:٢٨٨).

(٢) عَمُّورية -بفتح أوله وتشديد ثانيه- بلد في بلاد الروم. وهي التي فتحها المعتصم، وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية، وكانت من أعظم فتوح الإسلام.

(٣) أي: عمل وكسب مالاً اشترى به ما ذكره من البقر وغيره.

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ الله، فَلَمَّـا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ؟ وَبِمَ تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَالله مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ بِهِ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ نَبِيٍّ، وَهُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجَرُهُ إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَـا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، وَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارٌ؛ فَقُلْت لَهُمْ: احْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي. قَالُوا: نَعَمْ. فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا، وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا وَادِيَ الْقُرَى[1] ظَلَمُونِي، فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقَّ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الـمَدِينَةِ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الـمَدِينَةِ، فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا، فَعَرَفْتهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْت بِهَا.

وَبُعِثَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الـمَدِينَةِ، فَوَالله إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ[2] لِسَيِّدِي أَعْمَلُ لَهُ فِي بَعْضِ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ تَحْتِي، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: يَا فُلَانُ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ[3]، وَالله إِنَّهُمُ الْآنَ لَـمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ[4] عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

---

(١) وَادِي الْقُرَى: وَادٍ بَيْن الْـمَدِينَة وَالشَّام مِنْ أَعْمَال الْـمَدِينَة كَثِير الْقُرَى.

(٢) العَذْق بالفتح : النخلةُ.

(٣) بني قيلة: وهو بفتح القاف وسكون الياء، وهي الجدة الكبرى للأنصار، والدة الأوس والخزرج، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة.

(٤) مَوْضِعٌ بِمِيلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْـمَدِينَةِ.

فَلَمَّـا سَمِعْتُهَا أَخَذَنِي الْفَرَحُ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا يَقُولُ؟ فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَطَمَنِي لَطْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِـهَذَا؟ أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قُلْتُ: لا شَيْءَ، إِنَّمَـا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَفْتِيَهُ عَمَّـا قَالَ.

وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّـا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي صَدَقَةٌ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، وقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَأَمْسَكَ هُوَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَجَمَعْتُ شَيْئًا، فَتَحَوَّلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الـمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: رَأَيْتُكَ لا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا.

وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ ثِنْتَانِ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ[1] قَدِ اتَّبَعَ جِنَازَةَ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ جَالِسٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ: هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّـا رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ اسْتَدَرْتُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «تَحَوَّلْ» فَتَحَوَّلْتُ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَـا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَأَعْجَبَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ.

ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَـانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَدْرًا، وأُحُدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَاتِبْ يَا سَلْمَـانُ»، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: «أَعِينُوا أَخَاكُمْ». فَأَعَانُونِي فِي النَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ، وَالرَّجُلُ

(١) وَهُوَ مَوْضِعٌ بِظَاهِرِ الْـمَدِينَةِ، فِيهِ قُبُورُ أَهْلِهَا، سُمِّيَ بَقِيعَ الْغَرْقَدِ؛ لِغَرْقَدٍ كَانَ فِيهِ، فَذَهَبَ وَبَقِيَ اِسْمُهُ.

بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، وَالرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مِائَةِ نَخْلَةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ، فَفَقِّرْ[1] لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَآذِنِّي حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي»، فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ.

فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مَعِي إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ[2] وَيَضَعُهُ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ حَتَّى فَرَغْنَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَ مِنْهُ وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتَى رَسُولُ الله ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ، مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟» فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ؛ فأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ» فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ الله مِمَّا عَلَيَّ؟

فَقَالَ: «خُذْهَا، فَإِنَّ اللهَ ﷻ سَيُؤَدِّيهَا عَنْكَ» فَوَزَنْتُ لَهُ مِنْهَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعُتِقَ سَلْمَانُ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْهُ مَشْهَدٌ»[3].

٤٩- غَوْرَثُ بْنُ الحَارِثِ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مُحَارِب -يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ- قَالَ لِقَوْمِهِ مِنْ غَطَفَانَ وَمُحَارِبٍ: أَلَا أَقْتُلُ لَكُمْ مُحَمَّدًا؟ قَالُوا: بَلَى، وَكَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ: أَفْتِكُ بِهِ[4].

قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ، وَسَيْفُ رَسُولِ الله ﷺ فِي حِجْرِهِ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظُرُ إِلَى سَيْفِك هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَأَخَذَهُ فَاسْتَلَّهُ ثُمَّ جَعَلَ يَهُزُّهُ وَيَهُمُّ فَيَكْبِتُهُ اللهُ،

---

(١) أي: احْفِرْ لها موضعاً تُغْرَس فيه، واسم تلك الحُفْرة: فُقْرَة وفَقِير.

(٢) الوَديُّ بتشديد الياء: صِغَارُ النَّخْل، الواحدة: وَدِيَّة.

(٣) أخرجه أحمد (٥:٤٤١) رقم (٢٣٧٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٦:٢٢٢) رقم (٦٠٦٥)، والبزار في «مسنده» (٦:٤٦٢) رقم (٢٥٠٠)، «سيرة ابن هشام» (١:٢١٥).

(٤) الفتك: هُوَ أَنْ يَأْتِي صَاحِبه وَهُوَ غَافِل فَيَشُدَّ عَلَيْهِ فَيَقْتُلهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا، وَمَا أَخَافُ مِنْك؟» قَالَ: أَمَا تَخَافُنِي وَفِي يَدِي السَّيْفُ؟ قَالَ: «لَا، يَمْنَعُنِي (اللهُ) مِنْكَ». ثُمَّ عَمَدَ إِلَى سَيْفِ رَسُولِ الله ﷺ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١][1].

وزادَ الإمامُ أحمدُ في «مسنده»: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ؛ فَأَخَذَهُ رَسُولُ الله ﷺ؛ فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ. قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ؛ قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ[2].

٥٠- الطَّيرُ يَفْرَقُ لِفَقْدِ فِرَاخِهِ

عَنْ عَمِّ أَبِي مَنْظُورٍ ، عَنْ عَامِرٍ الرَّامِ أَخِي الْخُضْرِ قَالَ: «إِنِّي لَبِبَلَادِنَا إِذْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتٌ وَأَلْوِيَةٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا لِوَاءُ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةٍ قَدْ بُسِطَ لَهُ كِسَاءٌ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الْأَسْقَامَ؛ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللهُ مِنْهُ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ. وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرِضَ ثُمَّ أُعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ». فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَوْلَهُ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْأَسْقَامُ؟ وَالله مَا مَرِضْتُ قَطُّ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُمْ عَنَّا فَلَسْتَ مِنَّا».

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢:٢٠٥).

(٢) «مسند أحمد» (٣:٣٦٤) رقم (١٤٩٧١) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن قيس اليشكري فقد روى له الترمذي وابن ماجه، وهو ثقة.

فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ كِسَاءٌ، وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ قَدِ الْتَفَّ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لَـمَّـا رَأَيْتُكَ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَمَرَرْتُ بِغَيْضَةِ شَجَرٍ[1] فَسَمِعْتُ فِيهَا أَصْوَاتَ فِرَاخِ طَائِرٍ فَأَخَذْتُهُنَّ فَوَضَعْتُهُنَّ فِي كِسَائِي، فَجَاءَتْ أُمُّهُنَّ فَاسْتَدَارَتْ عَلَى رَأْسِي فَكَشَفْتُ لَهَا عَنْهُنَّ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ مَعَهُنَّ؛ فَلَفَفْتُهُنَّ بِكِسَائِي، فَهُنَّ أُولَاءِ مَعِي.

قَالَ: «ضَعْهُنَّ عَنْكَ» فَوَضَعْتُهُنَّ، وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَتَعْجَبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الْأَفْرَاخِ فِرَاخَهَا؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَـلّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الْأَفْرَاخِ بِفِرَاخِهَا، ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ». فَرَجَعَ بِهِنَّ[2].

٥١-خَبرُ ولادَةِ إبراهيمَ ابنِ النَّبيِّ ﷺ ووفاتِهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ». ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةِ قَيْنٍ[3] -يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ[4]- فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ، وَاتَّبَعْتُهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ قَدِ امْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الـمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ، أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ. فَأَمْسَكَ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ.

---

(١) غَيْضة وهي الشجر الملتَفُّ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢:١٩٩) رقم (٣٠٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥:٤٢١) رقم (٧١٣٠).

(٣) القين: الحدَّاد.

(٤) هو البراء بن أوس، وهو زوج أمِّ سيف مرضعة إبراهيم.

فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ[1] بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ ؛ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ؛ فَقَالَ «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَالله يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» [2].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي المَدِينَةِ[3]، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ، وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ[4] قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ[5]، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلاَنِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ » [6].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ -وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام- فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ[7]؛ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ[8].

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله[9]!

---

(١) وَهُوَ يَكِيد بِنَفْسِهِ: أَيْ يَجُود بِهَا، وَمَعْنَاهُ : وَهُوَ فِي النَّزْع.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٥)، وأحمد (٣:١٩٤)، وابن أبي شيبة (١٢١٢٦).

(٣) الْقُرَى الَّتِي عِنْدَ الْمَدِينَة.

(٤) الظئر: من ظأرت الناقة، إذا عطفت على غير ولدها، وَهِيَ الْمُرْضِعَة وَلَد غَيْرهَا، وَزَوْجهَا ظِئْر لِذَلِكَ الرَّضِيع . فَلَفْظَة (الظِّئْر) تَقَعُ عَلَى الْأُنْثَى وَالذَّكَر.

(٥) مَعْنَاهُ: مَاتَ وَهُوَ فِي سِنِّ رَضَاع الثَّدْي، أَوْ فِي حَالِ تَغَذِّيه بِلَبَنِ الثَّدْي.

(٦) أخرجه مسلم (٤:١٨٠٨) رقم (٢٣١٦)، وأبو يعلى (٧:٢٠٥) رقم (٤١٩٥).

(٧) أي: يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله يجود به، والمعنى أنه كان في النزع وسياق الموت.

(٨) يجري دمعهما.

(٩) وأنت: أي: تفعل كما يفعل الناس عند المصائب.

فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى[1]؛ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا[2]، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[3].

٥٢- أَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ[4]، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ[5]»[6].

٥٣- بِشَارَةٌ عَظِيْمَةٌ لِمَن يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ[7]، فَدَخَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا؛ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَجَلَسْتُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ؛ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟».

---

(١) بأخرى: أتبع الدمعة بأخرى، أو بالكلمة التي قالها بأخرى.

(٢) قال القاضي عياض: ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا: بنصب ربنا وضم ياء يرضي، ورويناه أيضاً بفتحها ورفع ربنا على الفاعل. «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» (٢:٣٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (١:٤٣٩) رقم (١٢٤١).

(٤) أي: بالأبواء بين مكة والمدينة، وذلك كان عام الفتح. قال القاضي عياض: سبب زيارته ﷺ قبرها أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها. ويؤيده قوله ﷺ في آخر الحديث: «فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت». «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٥: ٥١٢).

(٥) (تُذَكِّرُ المَوْتَ) يَعْنِي: وَذِكْرَ المَوْتِ يُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَيُرَغِّبُ فِي الْعُقْبَى. «مرقاة المفاتيح» (٤ : ١٢٥٦).

(٦) أخرجه مسلم (٢:٦٧١) رقم (٩٧٦).

(٧) أي: مكان للصدقة.

قُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ. قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، سَجَدْتَ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ قَدْ قَبَضَ نَفْسَكَ فِيهَا. فَقَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَانِي فَبَشَّرَنِي؛ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ[1] صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ؛ فَسَجَدْتُ لله ﷻ شُكْرًا»[2].

٥٤- أَعْجَبُ مَا رَأَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها مِنْ رَسُولِ الله ﷺ

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ وعُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائشَةَ، فقالَ ابنُ عُمَرَ: حَدِّثِينِي بِأَعْجَبِ مَا رَأَيتِ مِنْ رَسولِ الله ﷺ. فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: «كُلُّ أَمْرِهِ كَانَ عَجَباً، لَـمَّـا كَانَ لَيْلةً مِنَ اللَّيالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَتَأْذَنِينَ فِي عِبَادَةِ رَبِّي؟» فقلتُ: إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَهَواكَ.

قَالَتْ: «فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ[3] في البيتِ، فَلَمْ يُكْثِرْ صَبَّ الـمَـاءِ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ الْقُرْآنَ، قَالَتْ: ثمَّ بَكَى حَتَّى رَأَيتُ دُمُوعَهُ بَلَّتْ حُجْزَتَهُ[4]، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى رَأْيتُ دُمُوعَهُ قَدْ بَلَّتِ الْأَرْضَ.

فَجَاءَهُ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ[5] بالصَّلَاةِ فَرَآهُ يَبْكِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَتَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُورًا؟». ثُمَّ قَالَ: «وَمَالِي لَا أَبْكِي، وَقَدْ

---

(١) أي: طلب لك من الله دوام التشريف ومزيد التعظيم.

(٢) أخرجه أحمد (١:١٩١) رقم (١٦٦٤)، وأبو يعلى (٢:١٧٣) رقم (٨٦٩)، والحاكم (١:٣٤٤) رقم (٨١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢:٣٧٠) رقم (٣٧٥٢).

(٣) القربة: وعاء من جلد يوضع فيه الماء.

(٤) الحجزة: معقد الإزار والسراويل.

(٥) يخبره.

أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، الآياتِ. ثُمَّ قَالَ: «وَيْلٌ[١] لِمَنْ قَرَأَهَا ولَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا»[٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]. قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[٣].

٥٥- رَسُولُ اللهِ ﷺ تُسْهِرُه تَمْرَةٌ

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَحْتَ جَنْبِهِ تَمْرَةً مِنَ اللَّيْلِ فَأَكَلَهَا، فَلَمْ يَنَمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ؛ فَقَالَ بَعْضُ نِسَائِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرِقْتَ[٤] الْبَارِحَةَ. قَالَ: «إِنِّي وَجَدْتُ تَحْتَ جَنْبِي تَمْرَةً فَأَكَلْتُهَا، وَكَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ؛ فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ»[٥].

---

(١) ويل: كلمة عذاب، وقيل: وادٍ في جهنم.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢:٣٨٦) رقم (٦٢٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٠:٢٣٦) رقم ٤٠٠٩)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٢:٦٩) رقم (٥١٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٤:١٩٢٥) رقم (٤٧٦٣) واللفظ له، ومسلم (١:٥٥١) رقم (٨٠٠).

(٤) الْأَرَقُ: هُوَ مُفَارَقَةُ الرَّجُلِ النَّوْمَ مِنْ وَسْوَاسٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

(٥) أخرجه أحمد (٢:١٩٣) رقم (٦٨٢٠)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن.

٥٦-النَّبيُّ ﷺ يُحَذِّرُ أَصْحَابَهُ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ[١]

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: دَخَلَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَلَى عَائِشَةَ، وَهِيَ بَاذَّةُ الْهَيْئَةِ[٢]، فَسَأَلَتْهَا: مَا شَأْنُكِ؟

فَقَالَتْ: زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ. فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ لَهُ؛ فَلَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ عُثْمَانَ؛ فَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَفَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ[٣]، فَوَالله إِنِّي أَخْشَاكُمْ لله، وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ»[٤].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ قَالَ: دَخَلَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَأَيْنَهَا سَيِّئَةَ الْهَيْئَةِ، فَقُلْنَ : مَا لَكِ، مَا فِي قُرَيْشٍ رَجُلٌ أَغْنَى مِنْ بَعْلِكِ؟ قَالَتْ : مَا لَنَا مِنْهُ شَيْءٌ، أَمَّا نَهَارُهُ فَصَائِمٌ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَقَائِمٌ.

قَالَ: فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرْنَ ذَلِكَ لَهُ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فقَالَ : «يَا عُثْمَانُ، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٍ؟» قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: «أَمَّا أَنْتَ فَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، صَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ»

قَالَ: فَأَتَتْهُمُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَطِرَةً كَأَنَّهَا عَرُوسٌ، فَقُلْنَ لَهَا: مَهْ[٥]؟ قَالَتْ: أَصَابَنَا مَا أَصَابَ النَّاسُ[٦].

---

(١) الرهبانية: التخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها.

(٢) ساءت حالها، ورثت هيئتها.

(٣) اقتداء بي.

(٤) أخرجه أحمد (٦:٢٢٦) رقم (٢٥٩٣٥)، وابن حبان (١:١٨٥) رقم (٩)، والطبراني في «الكبير» (٩:٣٨) رقم (٨٣١٩). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٥) استفهام، ما هذا الذي أنت فيه.

(٦) أخرجه ابن حبان (٢:١٩) رقم (٣١٦)، وأبو يعلى (١٣:١٧٤) رقم (٧٢٤٢).

٥٧- تَخَلِّي النَّبيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الدُّنْيَا

قالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ: حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، كَانَ يَقُولُ: «اللهِ [١] الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ[٢]، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ[٣]، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ[٤]، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي[٥]، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ[٦].

---

(١) كَذَا لِلْأَكْثَرِ بِحَذْفِ حَرْف الْجَرّ مِنْ الْقَسَم.

(٢) (لَأَعْتَمِد بِكَبِدِي) أَيْ: أُلْصِق بَطْنِي بِالْأَرْضِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَفِيد بِذَلِكَ مَا يَسْتَفِيدهُ مِنْ شَدِّ الْحَجَر عَلَى بَطْنه، أَوْ هُوَ كِنَايَة عَنْ سُقُوطه إِلَى الْأَرْض مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. «فتح الباري» (١١:٢٨٤).

(٣) (وَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ) قَالَ الْعُلَمَاء فَائِدَة شَدِّ الْحَجَر الْمُسَاعَدَة عَلَى الِاعْتِدَال وَالِانْتِصَاب، أَو الْمَنْع مِنْ كَثْرَة التَّحَلُّل مِنَ الْغِذَاء الَّذِي فِي الْبَطْن؛ لِكَوْنِ الْحَجَر بِقَدْرِ الْبَطْن فَيَكُون الضَّعْف أَقَلّ، أَوْ لِتَقْلِيلِ حَرَارَة الْجُوع بِبَرْدِ الْحَجَر، أَوْ لِأَنَّ فِيهِ الْإِشَارَة إِلَى كَسْر النَّفْس .

(٤) (وَلَقَدْ قَعَدْت يَوْمًا عَلَى طَرِيقهمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ) الضَّمِير لِلنَّبِيِّ ﷺ وَبَعْض أَصْحَابه مِمَّنْ كَانَ طَرِيق مَنَازِلهمْ إِلَى الْمَسْجِد مُتَّحِدَة. «فتح الباري» (١١:٢٨٥).

(٥) فيه أن كتمان الحاجة أحرى بإظهارها وأشبه بأخلاق الصابرين، وإن كان جائزًا له الإخبار بباطن أمره وحاجته لمن يرجوه لكشف فاقته. «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠: ١٧٦).

(٦) وَلَعَلَّ الْعُذْر لِكُلٍّ مِنْ أَبِي بَكْر وَعُمَر حَمْل سُؤَال أَبِي هُرَيْرَة عَلَى ظَاهِره أَوْ فَهِمَا مَا أَرَادَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدهمَا إِذْ ذَاكَ مَا يُطْعِمَانِهِ. «فتح الباري» (١١:٢٨٥).

ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي[1]، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ[2]» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ.

قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي».

قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ[3] أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا[4]، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا

---

(١) اِسْتَدَلَّ أَبُو هُرَيْرَة بِتَبَسُّمِهِ ﷺ عَلَى أَنَّهُ عَرَفَ مَا بِهِ؛ لِأَنَّ التَّبَسُّم تَارَة يَكُون لِمَا يُعْجِب وَتَارَة يَكُون لِإِينَاسِ مَنْ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْحَال مُعْجِبَة فَقَوِيَ الْحَمْل عَلَى الثَّانِي . كَأَنَّهُ عَرَفَ مِنْ حَال وَجْهه مَا فِي نَفْسه مِنِ احْتِيَاجه إِلَى مَا يَسُدّ رَمَقَهُ.

قال ابن بطال: وهذا الحديث عَلَمٌ عظيمٌ من أعلام النبوة، وذلك أن النبيَّ ﷺعرف ما في نفس أبي هريرة، ولم يعلم ذلك أبو بكر ولا عمر. «شرح صحيح البخاري» (١٠ : ١٧٧).

(٢) قَوْله: (هِرّ) فَهُوَ بِتَشْدِيدِ الرَّاء، وَهُوَ مِنْ رَدِّ الِاسْم الْمُؤَنَّث إِلَى الْمُذَكَّر، وَالْمُصَغَّر إِلَى الْمُكَبَّر، فَإِنَّ كُنْيَته فِي الْأَصْل أَبُو هُرَيْرَة تَصْغِير هِرَّة مُؤَنَّثًا، وَأَبُو هِرّ مُذَكَّر مُكَبَّر، وَذَكَرَ بَعْضهمْ أَنَّهُ يَجُوز فِيهِ تَخْفِيف الرَّاء مُطْلَقًا فَعَلَى هَذَا يُسَكَّن. «فتح الباري» (١١:٢٨٥).

(٣) أَهْلُ الصُّفَّةِ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَأْوُونَ إِلَى مَوْضِعٍ مُظَلَّلٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَفِي «الْقَامُوسِ»: أَهْلُ الصُّفَّةِ كَانُوا أَضْيَافَ الْإِسْلَامِ يَبِيتُونَ فِي صُفَّةِ مَسْجِدِهِ ﷺ. وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَكَانَتْ هِيَ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، مُعَدَّةٌ لِفُقَرَاءِ أَصْحَابِهِ الْغَيْرِ الْمُتَأَهِّلِينَ، وَكَانُوا يَكْثُرُونَ تَارَةً حَتَّى يَبْلُغُوا نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ وَيَقِلُّونَ أُخْرَى؛ لِإِرْسَالِهِمْ فِي الْجِهَادِ وَتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ. «مرقاة المفاتيح» (٤: ١٤٥٣).

(٤) أي: لنفسه؛ لحرمة الصدقة عليه؛ لعلو مقامه.

وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا[1]، فَسَاءَنِي ذَلِكَ[2]، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ[3]، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا[4]، فَإِذَا جَاءَ[5] أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ[6]، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ[7]، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ[8]، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ.

قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ».

قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ

---

(١) (وإذا أتته هدية أرسل إليهم) أي: ببعضها، كما يدل عليه قوله: (وأصاب منها وأشركهم فيها) وما ذكر من بعث الصدقة وبعث الهدية لأهل الصفة هو أحد أحواله معهم، وتارة كان إذا أتاه شيء وقيل له إنه صدقة أمر من عنده بأكله ولم يأكل منه، وإن قيل: إنه هدية ضرب بيده وأكل منه. «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٤: ٤٥٣).

(٢) أي: أحزنني قوله: (ادعهم لي). لمزيد ضرورتي، وشدة فاقتي، ظن أن ذلك اللبن لا يزيد عن حاجته كما هو مقتضى العادة فيه.

(٣) وهم عدد كثير، وفي رواية: «وأين يقع هذا اللبن في أهل الصفة؟»

(٤) أي: أصير ذا قوة من ضعف الجوع بسببها، يقال: تحجر الطين: أي صار حجراً، ويجوز أن يكون بمعنى المجرد: أي أقوى بها بعد الضعف.

(٥) (فَإِذَا جَاءَ) كَذَا فِيهِ بِالْإِفْرَادِ، أَيْ: مَنْ أَمَرَنِي بِطَلَبِهِ، وَلِلْأَكْثَرِ «فَإِذَا جَاءُوا» بِصِيغَةِ الْجَمْعِ .

(٦) كَأَنَّهُ عَرَفَ بِالْعَادَةِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُلَازِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَخْدُمُهُ.

(٧) (وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ) أَيْ: يَصِلُ إِلَيَّ بَعْدَ أَنْ يَكْتَفُوا مِنْهُ.

(٨) يُشِير إِلَى قَوْله تَعَالَى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ[1] وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ[2]، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ[3].

فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا.

قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى[4] وَشَرِبَ الفَضْلَةَ[5]».

٥٨- فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ؛ فَأَتَيْتُهُ؛ فَقَالَ لِي: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ الله، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

---

(١) يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ وَاحِدًا بَعْد وَاحِد إِلَى أَنْ كَانَ آخِرهمْ النَّبِيّ ﷺ.

(٢) قال ابن بطال: هذا الحديث عَلم عظيم من أعلام النبوة، ففيه شرب العدد الكثير من اللبن القليل حتى شبعوا ببركة النبوة. «شرح صحيح البخاري» (١٠ : ١٧٧).

(٣) (فَتَبَسَّمَ) كَأَنَّهُ ﷺ كَانَ تَفَرَّسَ فِي أَبِي هُرَيْرَة مَا كَانَ وَقَعَ فِي تَوَهُّمه أَنْ لَا يَفْضُلَ لَهُ مِنَ اللَّبَن شَيْء، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيره، فَلِذَلِكَ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَفُتْهُ شَيْء . «فتح الباري» (١١:٢٨٧).

(٤) (فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى) أَيْ: حَمِدَ اللهَ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ الْبَرَكَة الَّتِي وَقَعَتْ فِي اللَّبَن الْمَذْكُور مَعَ قِلَّته حَتَّى رَوِيَ الْقَوْم كُلّهمْ وَأَفْضَلُوا، وَسَمَّى فِي اِبْتِدَاء الشُّرْب.

(٥) أخرجه البخاري (٥:٢٣٧٠) (٦٠٨٧).

قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ الله ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: «كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا». قَالَ: «وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ». قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ». قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ[1] عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا». قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ.

قَالَ: وَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ». قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ الله ﷺ[2].

٥٩- النَّبيُّ ﷺ مَعَ بَدوِيٍّ مُزْعِجٍ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَعْطِنِي؛ فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، وَأَغْلظَ لِلنَّبِيِّ[3]، فَوَثَبَ أَصْحَابُهُ؛ فَقَالُوا: يَا عَدوَّ الله، تَقُولُ هَذَا لِرَسُولِ الله! فَقَالَ ﷺ: «عَزَمْتُ عَلَيكُمْ[4] لَمَا أَمْسَكْتُمْ».

فَدَعَاهُ فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: «أَرَضِيتَ؟» قَالَ: لَا. ثُمَّ أَعْطَاهُ أَيْضاً؛ فَقَالَ: «أَرَضِيتَ؟» قَالَ: لَا. ثُمَّ أَعْطَاهُ الثَّالِثَةَ؛ فَقَالَ: «أَرَضِيتَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاخْرُجْ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ؛ فَإِنَّ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَيكَ شَيْئاً».

---

(١) (ولزورك) قال في «النهاية»: «الزائر، هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم، وقد يكون الزور جمعاً لزائر كركب في جمع راكب». أي: لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك وأنت تعجز بسبب توالي الصيام والقيام عن القيام بحسن معاشرتهم.

(٢) أخرجه البخاري (٥:٢٢٧٢) رقم (٥٧٨٣)، ومسلم (٢:٨١٢) رقم (١١٥٩).

(٣) اشتدَّ عليه في الكلام.

(٤) عزم عليه: أقسمَ عليه. أو أمره أمراً بجدٍّ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله: «أَتَدْرُوْنَ مَا مَثَلِي وَمَثَل هَذَا الأَعْرَابِيِّ، مَثَلُ رَجُلٍ فِي فَلَاةٍ[1] مِنَ الْأَرْضِ مَعَهُ زَادُهُ وَرَاحِلَتُهُ فَنَفَرَتْ[2] رَاحِلَتُهُ؛ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَمَا زَادُوهَا إِلَّا نُفُوراً؛ فَقَالَ: دَعُوْنِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَاقَتِي مِنْكُمْ، فَعَمِدَ إِلَى قُمَامِ الأَرْضِ -يَعْنِي الحَشِيشَ- فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: هُوِيٌّ هُوِيٌّ[3]، حَتَّى رَجَعَتْ، فَأَنَاخَهَا[4] فَحَمَلَ عَلَيهَا زَادَهُ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى مَتْنِهَا[5]، فَلَو تَرَكْتُكُمْ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوْهُ دَخَلَ النَّارَ، فَمَا زِلْتُ حَتَّى فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، وَقَالَ مَا قَالَ»[6].

٦٠- شَيْخٌ كَادَ يَطِيْرُ مِنَ الْفَرَحِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: جَاءَ أَعْرابِيٌّ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يُحاسِبُ الْخَلقَ يومَ الْقِيامةِ، يا رَسُولَ الله؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُ ﷻ». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَجَونَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! فَقالَ: «وَكَيفَ يا أَعْرَابِيُّ؟» فَقالَ: إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَدَرَ عَفَا[7].

---

(١) الفلاة: الصحراء.

(٢) شردت ناقته.

(٣) صَوْتٌ، لنداء الناقة.

(٤) أبركها.

(٥) أي: ظهرها.

(٦) «الأمثال في الحديث» لأبي الشيخ الأصبهاني (ص٣٠١) رقم (٢٥٦).

(٧) أخرجه ابن النجار كما ذكر صاحب «كنز العمال» (١٤:٦٢٨) رقم (٣٩٧٤٩)، قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً.

وَعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: «جَاءَ شَيْخٌ كَبِيرٌ هَرِمٌ[1] قَدْ سَقَطَتْ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ غَدَرَ[2] وَفَجَرَ[3]، لَمْ يَدَعْ حَاجَةً وَلا دَاجَةً[4] إِلا اقْتَطَعَهَا بِيَمِينِهِ[5]، لَوْ قُسِّمَتْ خَطِيئَتُهُ بَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ لأَوْبَقَتْهُمْ[6]، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «أَسْلَمْتَ؟» فَقَالَ: أَمَا أَنا، فَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ غَافِرٌ لَكَ مَا كُنْتَ كَذَلِكَ، وَمُبَدِّلٌ سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ» قَالَ: يَا رَسُولَ الله: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي، قَالَ: «وَغَدَرَاتُكَ وَفَجْرَاتُكَ» قَالَ: فَوَلَّى الرَّجُلُ يُكَبِّرُ وَيُهَلِّلُ»[7].

٦١- أَلَيْسَ اللهُ بِأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ؟

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَمَرَّ بِقَوْمٍ؛ فَقَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟» فَقَالُوا: نَحْنُ الْـمُسْلِمُونَ. وَامْرَأَةٌ تَحْصِبُ[8] تَنُّورَهَا وَمَعَهَا ابْنٌ لَـهَا؛ فَإِذَا ارْتَفَعَ وَهَجُ التَّنُّورِ تَنَحَّتْ بِهِ.

فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَلَيْسَ اللهُ بِأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ؟ قَالَ: «بَلَى».

---

(١) بلغ أقصى الكبر وضعف.

(٢) الغدر ضد الوفاء.

(٣) الفجور: معاصي الذنوب.

(٤) دَاجَةٌ إِتباعٌ لحاجَة.

(٥) المعنى: ما تركتُ شيئاً دعتني إليه نفسي إلَّا ركِبْتُهُ من الذنوبِ.

(٦) أي: لأهلكتهم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠: ٣٧٤). وقد وصله الإمام أحمد في «مسنده» (٤: ٣٨٤) من طريق نوح بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَشْعَثَ الْحُدَّانِيِّ عن مكحول عن عمرو بن عبسة به مرفوعاً باختصار في أوله وآخره.

(٨) (تحصب) أي: ترمي فيه ما يوقد النار به.

قَالَتْ: أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَرْحَمَ بِعِبَادِهِ مِنَ الْأُمِّ بِوَلَدِهَا؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَتْ: فَإِنَّ الْأُمَّ لَا تُلْقِي وَلَدَهَا فِي النَّارِ.

فَأَكَبَّ رَسُولُ الله ﷺ يَبْكِي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الْـمَـارِدَ الْـمُتَمَرِّدَ[1] الَّذِي يَتَمَرَّدُ عَلَى الله، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[2].

٦٢- لَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّـا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ؛ فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ.

فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّـا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ.

قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّـا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ؛ فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي[3] عَنْهَا لله عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا

---

(١) أي: العاتي الشديد المفرط في الاعتداء أو العناد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٧) قال البوصيري: ضعيف، لضعف إسماعيل بن يحيى، متفق على تضعيفه. قال أبو الحسن المباركفوري بعد أن ذكر أقوال الأئمة في تضعيف الحديث: ويشهد له ما روى أحمد (٥:٢٨٥) برجال ثقات من حديث أبي أمامة بلفظ : «كلكم في الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله». ورواه أيضًا الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن كما في «مجمع الزوائد». «مرعاة المفاتيح» (٨:١٠٨).

(٣) أي: يسكت.

فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ[1] يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً[2] إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً[3]»[4].

٦٣- أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ الله

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ[5]، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ[6]، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ[7]، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله[8]؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ».

فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ الله، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي[9] وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ؟

---

(١) أي: طلب من الناس.

(٢) في معاشه.

(٣) بأن يمحق البركة منه ويحوجه حقيقة.

(٤) أخرجه أحمد (٢:٤٣٦) رقم (٩٦٢٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره.

(٥) قَالَ الْقَسْطَلَانِيُّ: هُنَّ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَغَيْرُهُنَّ.

(٦) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا قَبْلَ النَّهْيِ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ ﷺ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ عُلُوَّ أَصْوَاتِهِنَّ إِنَّمَا كَانَ لِاجْتِمَاعِهِنَّ فِي الصَّوْتِ، لَا أَنَّ كَلَامَ كُلِّ وَاحِدٍ بِانْفِرَادِهِ أَعْلَى مِنْ صَوْتِهِ ﷺ.

(٧) (فَبَادَرْنَ بِالْحِجَابِ)، أَيْ سَارَعْنَ إِلَى حِجَابِهِنَّ عَلَى مُقْتَضَى آدَابِهِنَّ.

(٨) أَيْ: أَدَامَ اللهُ فَرَحَكَ المُوجِبَ لِبُرُوزِ سِنِّكَ وَظُهُورِ نُورِكَ، لَكِنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ وَظُهُورِ أَمْرٍ عَجِيبٍ، فَأَطْلِعْنِي عَلَيْهِ وَشَرِّفْنِي بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ. «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩: ٣٨٩٣).

قال الحافظ ابن حجر: لَمْ يُرِدْ بِهِ الدُّعَاءَ بِكَثْرَةِ الضَّحِكِ بَلْ لَازِمُهُ وَهُوَ السرُور أَو نفي ضد لَازِمِهِ وَهُوَ الْحُزْنُ. «فتح الباري» (٧ : ٤٧). وقال أيضاً: وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ مَا يُقَالُ لِلْكَبِيرِ إِذَا ضَحِكَ. «فتح الباري» (١٠ : ٥٠٥).

(٩) (أَتَهَبْنَنِي) مِنَ الْهَيْبَةِ، أَيْ: تُوَقِّرْنَنِي.

فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ[1] مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيهًا يَا ابْنَ الخَطَّابِ[2]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ[3]، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ[4]»[5].

٦٤- وَصَايَا ذَهَبِيَّةٌ

عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ ذَاتَ يَومٍ، فَسَارَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ، لَمْ يَتقدَّمْ مِنْهُمْ أَحدٌ بَينَ يَديهِ[6]، فَقالَ مُعاذُ بنُ جَبلٍ: يَا نَبِيَّ الله، أَتَأْذَنُ لِي فِي أَنْ أَتَقدَّمَ إِلَيْكَ عَلَى طِيبَةِ نَفْسٍ؟ قَالَ : «نَعَمْ».

فَاقْتَرَبَ مُعَاذٌ إِلَيْهِ فَسَارَا جَمِيعًا، فَقَالَ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَنَا قَبْلَ يَوْمِكَ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ شَيْءٌ -وَلاَ نَرَى شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- فَأَيُّ الأَعْمَالِ نَعْمَلَهَا بَعْدَكَ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نِعْمَ الشَّيْءُ الْجِهَادُ وَالَّذِي بِالنَّاسِ أَمْلَكُ مِنْ ذَلِكَ».

---

(١) الفظُّ الغليظُ بمعنى واحد، وهو عبارة عن شدة الخلق وخشونة الجانب. قال العلماء : وليست لفظة أفعل هنا للمفاضلة، بل هي بمعنى فظ غليظ . قال القاضي : وقد يصح حملها على المفاضلة ، وأن القدر الذي منها في النبي ﷺ هو ما كان من إغلاظه على الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التحريم:٩]. وكان يغضب ويغلظ عند انتهاك حرمات الله تعالى . والله أعلم .

(٢) (إيها) اسم، بمعنى زد، والمراد إظهار رضاه عن قول عمر ﷺ وفعله الذي يدل على توقيره ﷺ وتعظيم جانبه واستزادة منه لهذا التصرف ليزداد عمر ﷺ منزلة ورفعة عند الله عز وجل.

(٣) (فَجًّا) أَيْ: طَرِيقًا وَاسِعًا، وَقَوْلُهُ: (قَطُّ) تَأْكِيدٌ لِلنَّفْيِ.

(٤) قَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَهْرُبُ إِذَا رَآهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٣: ١٣٤٧) رقم (٣٤٨٠)، ومسلم (٤: ١٨٦٣) رقم (٢٣٩٦).

(٦) وهذا من كمال أدبهم معه ﷺ.

قال: فَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ؟ قَالَ: «نِعْمَ الشَّيْءُ الصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَعَادِ بِالنَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ».

فَذَكَرَ مُعَاذٌ كُلَّ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ ابْنُ آدَمَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَعَادِ بِالنَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ : فَمَـاذَا بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي عَادِ بِالنَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : فَأَشَارَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى فِيهِ، قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ». قَالَ: وَهَلْ نُؤَاخَذُ بِمَـا تَكَلَّمَتْ بِهِ أَلْسِنَتُنَا؟

قَالَ : فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ فَخِذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ- وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلاَّ مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا، وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا»[1].

٦٥- حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ، وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ[2]. قَالَ: «أَعْتِقْ رَقَبَةً». قَالَ: لَيْسَ لِي. قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قَالَ: لَا أَجِدُ. فَأُتِيَ بِعَرَقٍ[3] فِيهِ تَـمْرٌ فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟ تَصَدَّقْ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤:٣١٩) رقم (٧٧٧٤)، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠:٥٣٦) إلى الطبراني. وقال: وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ.

فائدة: قال الإمام الحاكم عقب تخريجه الحديث: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَالْغَرَضُ فِي إِخْرَاجِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِبَاحَةُ دُعَاءِ الْمُتَعَلِّمِ لِعَالِمِهِ الَّذِي يَقْتَبِسُ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ مَنِيَّتَهُ قَبْلَ عَالِمِهِ، فَإِنِّي قَدَّمْتُ قَبْلَ هَذَا أَخْبَارًا صَحِيحَةً فِي إِبَاحَةِ قَوْلِ النَّاسِ: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ.

(٢) أي جامع زوجته نهار رمضان.

(٣) قَالَ إِبْرَاهِيمُ: الْعَرَقُ الْمِكْتَلُ. وهو زِنْبِيلٌ مَنْسُوجٌ مِنْ خُوصٍ.

بِهَا» قَالَ: عَلَى أَفْقَرَ مِنِّي، وَالله مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا[1] أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا؛ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[2]، قَالَ: «فَأَنْتُمْ إِذًا»[3].

٦٦- النَّبِيُّ ﷺ يُدَارِي فَاحِشاً

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ هَشَّ[4] لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ. فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ آخَرُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ لَمْ يَنْبَسِطْ إِلَيْهِ كَمَا انْبَسَطَ إِلَى الْآخَرِ، وَلَمْ يَهَشَّ لَهُ كَمَا هَشَّ.

فَلَمَّا خَرَجَ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَأْذَنَ فُلَانٌ فَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ، ثُمَّ هَشَشْتَ لَهُ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ، وَقُلْتَ لِفُلَانٍ مَا قُلْتَ، وَلَمْ أَرَكَ صَنَعْتَ بِهِ مَا صَنَعْتَ لِلْآخَرِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنِ اتُّقِيَ لِفُحْشِهِ»[5].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ.

---

(١) اللَّابَتَانِ: الْحَرَّتَانِ، وَاحِدَتُهُمَا لَابَةٌ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْـمُلْبِسَةُ حِجَارَةً سُودًا، وَلِلْمَدِينَةِ لَابَتَانِ: شَرْقِيَّةٌ، وَغَرْبِيَّةٌ. وَهِيَ بَيْنَهُمَا.

(٢) جَمْعُ نَاجِذٍ: وَهُوَ مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الضَّحِكِ مِنَ الْأَسْنَانِ، وَقِيلَ: هِيَ الْأَنْيَابُ، وَقِيلَ: الْأَضْرَاسُ، وَقِيلَ: الدَّوَاخِلُ مِنَ الْأَضْرَاسِ الَّتِي فِي أَقْصَى الْحَلْقِ.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥:٢٢٦٠) رقم (٥٧٣٧). وأبو عوانة في «مستخرجه» رقم (٢٢٩٠).
قال الحافظ أبو عوانة: فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ مِنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فَضْلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلِعِيَالِهِ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ أَنْ يُكَفِّرَ مِنْ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ، وَعَلَى إِجَازَةِ إِطْعَامِ عِيَالِهِ مِنْ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ.

(٤) هَشَّ الرَّجُلُ هَشَاشَةً: إِذَا تَبَسَّمَ وَارْتَاحَ.

(٥) أخرجه أحمد (٦:١٥٨) رقم (٢٥٢٩٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص١٢٣) رقم (٣٣٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢:١٧٢) رقم (١١٢٤).

فَقَالَ ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ[1]، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ[2] عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[3].

٦٧- مُسَاعَدَةُ زَوْجٍ غَيْرِ مَرْغُوْبٍ فِيْهِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : كَانَ زَوْجُ بَرِيرَةَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي (وفي رواية: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتْبَعُهَا فِي سِكَكِ الْمَدِينَة)، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْعَبَّاسِ ﷺ :«أَلاَ تَعْجَبَ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا». فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ رَاجَعْتِهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ ». قَالَتْ : يَا رَسُولَ الله، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ :«لَا، إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ». قَالَتْ : فَلاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ[4].

---

(١) تسفهم: أي : تجعلهم يسفونه من السفِّ، وهو شرب كل دواء يؤخذ غير ملتوت. والملّ: الرماد الحار. ومعنى ذلك: أن إحسانك إليهم مع إساءتهم لك، يتنزل في قلوبهم منزلة النار المحرقة، لما يجدون من ألم الخزي، والفضيحة، والعار الناشئ في قلب من قابل الإحسان بالإساءة.

(٢) الظهير: المعين، ومعناه : أن الله تعالى يؤيدك بالصبر على جفائهم، وحسن الخلق معهم، ويُعْلِيكَ عليهم في الدنيا والآخرة مُذْ دوامك على معاملتك لهم بما ذكرت.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٨٢:٤) رقم (٢٥٥٨)، وأحمد (٣٠٠:٢) ، وابن حبان (١٩٥:٢) رقم (٤٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٢٣:٥) رقم (٤٩٧٩)، وأبو داود (٢٣٧:٢) رقم (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٦٧١:١) رقم (٢٠٧٥)، والنسائي (٢٤٥:٨) رقم (٥٤١٧)، وابن حبان (٩٦:١٠) رقم (٤٢٧٣).

هذه بعض الفوائد من الحديث، ذكرها أهل العلم:

١- فيه من الفقه جواز استشفاع العالم والخليفة في الحوائج والرغبة إلى أهلها في الإسعاف لسائلها، وأن ذلك من مكارم الأخلاق.

٢- أن الشافع يؤجر ولو لم تحصل إجابته، وأن المشفوع عنده إذا كان دون قدر الشافع لم تمتنع الشفاعة.

٣- فيه تنبيه الصاحب صاحبه على الاعتبار بآيات الله وأحكامه؛ لتعجيب النبي ع العباسَ من حبِّ مغيث بريرة.

٦٨- أَنْفَقُ ثَيِّبٍ فِي المَدِينَةِ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جُلَيْبِيبٍ[١] امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا».

قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَاهَا الله[٢] إِذًا، مَا وَجَدَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَّا جُلَيْبِيبًا، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟

قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ؛ فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَمْرَهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ، فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا[٣]، وَقَالَا: صَدَقْتِ.

٤- فيه حسن أدب بريرة؛ لأنها لم تفصح برد الشفاعة، وإنما قالت: لا حاجة لي فيه.

٥- فيه أن فرط الحبِّ يذهب الحياء؛ لما ذكر من حال مغيث وغلبة الوجد عليه حتى لم يستطع كتمان حبها.

٦- في ترك النكير عليه بيان جواز قبول عذر من كان في مثل حاله ممن يقع منه ما لا يليق بمنصبه إذا وقع بغير اختياره.

٧- فيه استحباب الإصلاح بين المتنافرين سواء كانا زوجين أم لا وتأكيد الحرمة بين الزوجين إذا كان بينهما ولد لقوله ﷺ: «إنه أبو ولدك».

٨- أن بغض الرجل للرجل المسلم على وجه كراهة قربه والدنو منه على غير وجه العداوة له، ولكن اختيار التبعد منه لسوء خلقه وخبث عشرته وثقل ظله، أو لغير ذلك مما يكره الناس بعضهم من بعض جائز.

(١) عَلى وزن قُنَيْدِيْل، وهو تصغير جلباب، وهو أنصاري، وكان قصيرًا دميمًا.

(٢) بِالْجَرِّ أَيْ: لَا وَالله.

(٣) لفظ البزَّار: «فَكَأَنَّمَا حَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا عِقَالًا».

فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ» فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فُزِّعَ أَهْلُ المَدِينَةِ، فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ[1]، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ.

قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا، وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ ثَيِّبٍ فِي المَدِينَةِ[2].

٦٩- تَصَدُّقُ الْمَرْأَةِ الْمَيْسُورَةِ عَلَى زَوْجِهَا

عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَتْ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: «تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ».

وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللهِ وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا. فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللهِ: سَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟

فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٌ؛ فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ وَقُلْنَا: لَا تُخْبِرْ بِنَا.

---

(١) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ فِي مَغْزًى لَهُ، فَأَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ» فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ». أخرجه مسلم رقم (٢٤٧٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٦:٦)، ومن طريقه أحمد (١٣٦:٣)، والبزار (٣٢٠:١٣). قال الهيثمي: وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ. «مجمع الزوائد» (٣٦٨:٩).

فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ؛ فَقَالَ: «مَنْ هُمَا؟» قَالَ: زَيْنَبُ. قَالَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟» قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ الله. قَالَ: «نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»[1].

٧٠- حِرْصُ الأَنْصَارِ عَلَى الْعِلْمِ

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ[2]؛ فَهَلْ عَلَى الْـمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتِ الْـمَـاءَ[3]». فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ - تَعْنِي وَجْهَهَا - وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، وَتَحْتَلِمُ الْـمَرْأَةُ؟! قَالَ: «نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ[4]، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا»[5].

٧١- اللهُ أَقْدَرُ عَلَيكَ

قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ ﵁: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّـا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي؛

---

(١) أخرجه البخاري (٢:٥٣٣) رقم (١٣٩٧)، ومسلم (٢:٦٩٤) رقم (١٠٠٠).

(٢) أي: لا يمتنع من بيان الحق، ولا يتركه ترك الحيي منا، فكذا لا أمتنع أنا من سؤالي عمـا أنا محتاجة إليه. وقيل: المعنى: إن الله لا يأمر بالحياء في الحق ولا يبيحه، وإنما قالت هذا اعتذاراً بين يدي سؤالها عما دعت الحاجة إليه مما تستحي النساء في العادة عن السؤال عنه، وذكره بحضرة الرجال.

(٣) أي: المني بعد الاستيقاظ. وفيه دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال في الاحتلام.

(٤) أصلها: لصقت بالتراب، أي: افتقرت، ولكنها جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر بها، بل يقصدون الإنكار والزجر واللوم ونحوه، أي: إن أم سليم فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها فلم تستحق الإنكار واللوم، واستحققت أنت الإنكار؛ لإنكارك ما لا إنكار فيه.

(٥) أخرجه مسلم (١:٢٥١) رقم (٣١٣).

فَقَالَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ». قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَـمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا[1].

وفي لفظ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله؛ فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ[2]، أَوْ لَـمَسَّتْكَ النَّارُ».

٧٢- إِنَّمَـا أَنَا بَشَرٌ

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ قَالَتْ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَخْتَصِمَـانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَـا قَدْ دُرِسَتْ[3] لَيْسَ بَيْنَهُمَـا بَيِّنَةٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَـا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ[4] مِنْ بَعْضٍ، فَإِنِّي أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَـا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا إِسْطَامًا[5] فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

---

(١) أخرجه مسلم (٣:١٢٨٠) رقم (١٦٥٩)، والترمذي (٤:٢٣٥) رقم (١٩٤٨).

(٢) لَفْحُ النار: حَرُّها ووَهَجُها.

(٣) خَفِيتْ آثارها.

(٤) (أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ) أَفْعَلُ تَفْضِيل مِنْ لَحِنَ بِمَعْنَى فَطِنَ وَوَزْنه، أَيْ: أَفْطَنَ بِهَا. قَالَ فِي «النَّيْل»: وَيَجُوز أَنْ يَكُون مَعْنَاهُ: أَفْصَحَ تَعْبِيرًا عَنْهَا وَأَظْهَرَ اِحْتِجَاجًا، حَتَّى يُخَيَّل أَنَّهُ مُحِقٌّ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَة مُبْطِل. وَالْأَظْهَر أَنَّ مَعْنَاهُ (أَبْلَغُ) كَمَـا وَقَعَ فِي رِوَايَة فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَيْ أَحْسَنَ إِيرَادًا لِلْكَلَامِ. «عون المعبود» (٩:٤٤٢).

(٥) الحَدِيدة التي تُحَرَّك بها النارُ وتُسْعَر: أي: أقطَع له ما يُسْعِر به النار على نفْسه ويُشْعِلها، أو أقطَع له ناراً مُسعَرة.

فَبَكَى الرَّجُلَانِ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لِأَخِي؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَا إِذْ قُلْتُمَا فَاذْهَبَا فَاقْتَسِمَا، ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ[1]، ثُمَّ اسْتَهِمَا[2]، ثُمَّ لِيُحَلِّلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ[3]»[4].

٧٣- جِئتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ الله ﷺ؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي[5]، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ[6]، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ[7]، فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ[8]. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا.

---

(١) أَيْ: اِقْصِدَا الْحَقَّ فِيمَا تَصْنَعَانِهِ مِنْ الْقِسْمَة.

(٢) أي: اقْتَرِعا . يعني: ليَظهرَ سَهْمُ كل واحدٍ منْكُما.

(٣) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَفِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّ الصُّلْحَ لَا يَصِحُّ إِلَّا فِي الشَّيْء الْمَعْلُوم، وَلِذَلِكَ أَمَرَهُمَا بِالتَّوَخِّي فِي مِقْدَار الْحَقِّ، ثُمَّ لَمْ يَقْنَع عَلَيْهِ السَّلَام بِالتَّوَخِّي حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ الْقُرْعَة، وَذَلِكَ أَنَّ التَّوَخِّيَ إِنَّمَا هُوَ أَكْثَرُ الرَّأْي وَغَالِبُ الظَّنِّ، وَالْقُرْعَةُ نَوْعٌ مِنَ الْبَيِّنَة، فَهِيَ أَقْوَى مِنَ التَّوَخِّي، ثُمَّ أَمَرَهُمَا عَلَيْهِ السَّلَام بَعْد ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ؛ لِيَكُونَ اِفْتِرَاقهمَا عَنْ تَعَيُّنِ بَرَاءَةٍ وَطِيبِ نَفْس وَرِضًى.

(٤) أخرجه أحمد (٦:٣٢٠) رقم (٢٦٧٦٠)، وابن أبي شيبة (٤:٥٤١) رقم (٢٢٩٧٤).

(٥) أي: لأعرض عليك نفسي بدون مهر.

(٦) أي: فرفع إليها بصره، وشخص فيها بعينيه، وتفحصها جيداً، ثم خفض بصره عنها. دلَّ على أنه يجوز للرجل النظر لمن يريد أن يتزوج بها، ولو بلا إذنها، قال في «تكملة المنهل العذب المورود»: ولا نعلم في ذلك خلافاً. والحكمة فيه أنّه أدعى لحسن العشرة، وبقاء الزوجية.

(٧) أي: أرخى رأسه ولم يرد عليها بشيء لم تعجبه.

(٨) أي: فلما لم يجاوبها بشيء «جلست» تنتظر ما يقول لها، أو ما يتصرف في شأنها.

فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ[1]؟» فَقَالَ: لَا -وَالله- يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا[2]؟» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا -وَالله- يَا رَسُولَ الله، مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، قَالَ: «انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لَا -وَالله- يَا رَسُولَ الله، وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي، فَلَهَا نِصْفُهُ -قَالَ سَهْلٌ: ومَا لَهُ رِدَاءٌ؟!- فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ، إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ[3]».

فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ، ثُمَّ قَامَ، فَرَآهُ رَسُولُ الله ﷺ مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟» قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا عَدَّهَا، قَالَ: «أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ[4]»[5].

---

(١) أي: هل يوجد لديك ما تقدمه صداقاً لها كما في رواية «الموطأ» رقم (١٦٥٧) حيث جاء فيها: «هل عندك شيء تصدقه إياها».

(٢) أي: لعلهم يعينونك فيعطونك شيئاً من المال تقدمه صداقاً.

(٣) أي: فلا يجوز لك أن تسلم إزارك لها لما يؤدي إليه ذلك من كشف العورة وهو محرم شرعاً.

(٤) أي زوجتك إياها بتعليمك لها بعض ما تحفظه من القرآن، لما جاء في رواية أبي هريرة أن النبي ﷺ قال له: «فقم فعلمها عشرين آية، وهي امرأتك» أخرجه أبو داود (٢١١٢) والنسائي في «الكبرى» (٥٤٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (٤: ١٩٢٠) رقم (٥٠٣٠)، ومسلم (٢: ١٠١٤) رقم (١٤٢٥).

٧٤- آمَنَ شِعْرُ أُمَيَّةَ بْنِ أبي الصَّلْتِ وَكَفَرَ قَلْبُهُ[١]

عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ الله[٢] ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هِيهْ[٣]» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيهْ» ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيهْ» حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ. قَالَ: «فَلَقَدْ كَادَ يُسْلِمُ[٤] فِي شِعْرِهِ»[٥].

٧٥- ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ[٦]؛ فَقَالَ: «ادْنُهْ» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ.

قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا

---

(١) أخرجه أبو بكر بن الأنباري في «المصاحف» والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس. قال الشيخ ناصر: وقد ذكر المناوي في شرحه أن في سنده عند ابن الأنباري أبا بكر الهذلي. قلت: وهو متروك. «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٤ : ٥٢).

(٢) ردفت رَسُول الله: أَي كنت وَرَاءه.

(٣) هِيهِ: بِكَسْرِ الْهَاءِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْهَاءِ الثَّانِيَةِ، قَالُوا وَالْهَاءُ الْأُولَى بَدَلٌ مِنَ الْهَمْزَةِ وأصله (إيه) وهي كلمة للاستزادة من الحديث المعهود. قال ابن السِّكِّيتِ: هِيَ لِلاسْتِزَادَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ عَمَلٍ مَعْهُودَيْنِ. «شرح النووي على مسلم» (١٥: ١٢).

(٤) كَاد بِمَعْنى قَارب.

(٥) أخرجه مسلم (٤:١٧٦٧) رقم (٢٢٥٥). وَفِي هَذَا الحَدِيث جَوَاز استنشاد الشّعْر الَّذِي يحسن سَمَاعه من غير كَرَاهِيَة؛ فَإِن شعر أُمَيَّة كَانَ معظمه ذكر التَّوْحِيد. «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤ : ١٨٣).

(٦) مه: اسم فعل بمعنى اكفف.

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

٧٦- الْجَنَّةُ لاَ تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الجَنَّةَ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الجَنَّةَ لاَ تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ».

قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي؛ فَقَالَ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لاَ تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥- ٣٧][2].

٧٧- امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

عَنْ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ[3]، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ[4]، فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ[5] وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا[6].

---

(١) أخرجه أحمد (٥:٢٥٦) رقم (٢٢٢٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٨:١٦٢) رقم (٧٦٧٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ١٢٩) : رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص١٩٩).

(٣) يصيبني الصرع.

(٤) أتكشف: أي: فأخشى أن تظهر عورتي وأنا لا أشعر.

(٥) على هذا الابتلاء.

(٦) أخرجه البخاري (٥:٢١٤٠) رقم (٥٣٢٨)، ومسلم (٤:١٩٩٤) رقم (٥٢٧٦).

٧٨- إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتَ تَقُمُّ[1] المَسْجِدَ، أَوْ شَابًّا، فَفَقَدَهَا، أَوْ فَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي[2]».

فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ». فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[3].

٧٩- حَنِينُ نَخْلَةٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ؛ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»[4].

---

(١) قوله: «تَقُمُّ» هُوَ بفتحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ: أَيْ تَكنُسُ. «وَالْقُمَامَةُ»: الْكُنَاسَةُ.

(٢) «آذَنْتُمُونِي» بِمدِّ الهَمْزَةِ: أَيْ: أَعْلَمتُمُونِي.

(٣) أخرجه البخاري (١:١٧٥) رقم (٤٤٦)، ومسلم (٢:٦٥٩) رقم (٩٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣:١٣١٤) رقم (٣٣٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣:١٩٥) رقم (٥٤٨٩).

٨٠- لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا[١]. -قال: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ[٢]. قَالَ: نَعَمْ- قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي؛ فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَهَا. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا[٣] فُلاَنٌ[٤]؛ فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا!

قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ.

قَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.[٥].

٨١- يَا رَسُولَ اللهِ، خَشِيْتُ أَنْ لا أَرَاكَ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيتِ فَأَذْكُرَكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِي فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ؛ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئاً حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الآيةِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء: ٦٩] [٦].

---

(١) حاشيتها: طرفها أو هدبها، أي:إنها جديدة لم تقطع من ثوب أو لم يتقطع هدبها؛ لأنها لم تستعمل.

(٢) الشملة: كساء يشتمل به، والاشتمال إدارة الثوب على الجسد كله .

(٣) فحسنها: نسبها إلى الحسن.

(٤) فلان: قيل: هو عبد الرحمن بن عوف، وقيل: هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (١:٤٢٩) رقم (١٢١٨).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١:١٥٢) رقم (٤٧٧)، و «الصغير» (١:٥٣) رقم (٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤:٢٤٠). قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

٨٢- فَوْزٌ فِي السِّبَاقِ، وَدَرْسٌ فِي التَّوَاضُعِ

عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ الله ﷺ تُسَمَّى: العَضْبَاءَ[١]، وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ[٢] لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ العَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى الله أَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ[٣]»[٤].

٨٣- اقْتِصَاصٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ -رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ- قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ -وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ- بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ، فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ[٥]؛ فَقَالَ: أَصْبِرْنِي[٦]. فَقَالَ: «اصْطَبِرْ» قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا، وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ. فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ[٧].

---

(١) (تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ) : الْمَقْطُوعَةُ الْأُذُنِ، أَوِ الْمَشْقُوقَةُ، وَهِيَ الْقَصْوَاءُ، أَوْ غَيْرُهَا قَوْلَانِ. ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ.

(٢) (عَلَى قَعُودٍ) مَا اسْتَحَقَّ الرُّكُوبَ مِنَ الْإِبِلِ، قَالَ الْجَوْهَرِيّ: هُوَ الْبِكْر حَتَّى يُرْكَبَ، وَأَقَلُّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ابْنَ سَنَتَيْنِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ السَّادِسَة فَيُسَمَّى جَمَلًا . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: لَا يُقَالُ إِلَّا لِلذَّكَرِ، وَلَا يُقَالُ لِلْأُنْثَى قَعُودَةٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا قَلُوصٌ.«فتح الباري» (٦ : ٧٤).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: فِي الْحَدِيثِ اِتِّخَاذُ الْإِبِل لِلرُّكُوبِ وَالْمُسَابَقَةِ عَلَيْهَا، وَفِيهِ التَّزْهِيدُ فِي الدُّنْيَا؛ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا لَا يَرْتَفِعُ إِلَّا اِتَّضَعَ. وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى التَّوَاضُعِ. وَفِيهِ حُسْنُ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَوَاضُعُهُ وَعَظَمَتُهُ فِي صُدُورِ أَصْحَابِهِ. «فتح الباري» (٦ : ٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥:٢٣٨٤) (٦١٣٦).

(٥) أَيْ: ضَرَبَهُ عَلَى سَبِيل الْمِزَاح.

(٦) أَيْ: أَقْدِرْنِي وَمَكِّنِّي مِنْ اِسْتِيفَاء الْقِصَاص حَتَّى أَطْعَنَ فِي خَاصِرَتِك كَمَا طَعَنْت فِي خَاصِرَتِي.

(٧) هُوَ مَا بَيْن الْخَاصِرَة إِلَى الضِّلْع الْأَقْصَر مِنْ أَضْلَاع الْجَنْب.

قَالَ: إِنَّمَـا أَرَدْتُ هَذَا[1] يَا رَسُولَ الله[2].

٨٤- الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالـمَـاءُ

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ[3] فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ الله ﷺ نَارٌ؛ فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ[4]؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ[5]: التَّمْرُ وَالمَاءُ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَـهُـمْ مَنَائِحُ[6]، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا[7].

٨٥- أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ الله.

قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ[8] فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا

---

(١) أَيْ: مَا أَرَدْت بِقَوْلِي: أَصْبِرْنِي، إِلَّا هَذَا التَّقْبِيل، وَمَا أَرَدْت حَقِيقَة الْقِصَاص.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٥٥٦)، والبيهقي (١٣٣٦٤).

(٣) كناية عن طبخ شيء من اللحم أو سواه.

(٤) يعيشكم: يقيتكم من الطعام .

(٥) الأسودان: غُلِّبَ التمر على الماء؛ فقيل أسودان. وكان الغالب في تمر المدينة الأسود .

(٦) منائح: المنحة في الأصل الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن، ثم كثر استعمـاله حتى أطلق على كل عطاء.

(٧) أخرجه البخاري (٢:٩٠٧) رقم (٢٤٢٨)، ومسلم (٤:٢٢٨٢) رقم (٢٩٧٢).

(٨) قال الإمام النووي: وَهَذَا الأنصارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ أَبُو الهَيْثمِ بنُ التَّيِّهان ﵁، كَذا جاءَ مُبَيناً في روايةِ الترمذي وغيره.

رَسُولُ الله ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ[1] لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لله، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي.

قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ[2]». فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ[3] عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»[4].

٨٦- طلب الإذن لِطَعَامِ الضِّيَافَةِ لِمَنْ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهَا

حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُكْنَى أَبَا شُعَيْبٍ، وَكَانَ لَهُ غُلاَمٌ[5] لَحَّامٌ[6]، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، فَعَرَفَ الجُوعَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ إِلَى غُلاَمِهِ اللَّحَّامِ، فَقَالَ: اصْنَعْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً، لَعَلِّي أَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ[7]، فَصَنَعَ

---

(١) يَسْتَعْذِبُ: أَيْ: يَطْلُبُ الماءَ العَذْبَ، وهُوَ الطَّيِّبُ.

(٢) الحلُوبُ: ذاتُ اللبَن.

(٣) وَالسؤالُ عَنْ هَذَا النعِيم سُؤالُ تَعدِيد النِّعَم لا سُؤالُ توْبيخٍ وتَعْذِيبٍ. واللهُ أَعْلَمُ. قاله النووي.

(٤) أخرجه مسلم (٣:١٦٠٩) رقم (٢٠٣٨).

(٥) (لغلام) أجير أو خادم.

(٦) (لحام) أي: يبيع اللحم.

(٧) (خَامِسَ خَمْسَةٍ) : حَالٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَيْ: وَاحِدًا مِنْ خَمْسَةٍ مِنْ بَابِ ثَانِيَ اثْنَيْنِ.

لَهُ طُعَيِّمًا[1]، ثُمَّ أَتَاهُ فَدَعَاهُ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا شُعَيْبٍ، إِنَّ رَجُلًا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَذِنْتَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَهُ» قَالَ: لاَ، بَلْ أَذِنْتُ لَه[2]. [3].

٨٧- مَا أَهْجُرُ إِلا اسْمَكَ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى[4] قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ[5].

٨٨- خَيَارٌ صَعْبٌ لِزَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الـمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا[6]﴾ [التحريم:٤].

حَتَّى حَجَّ عُمَرُ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّـا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ[7] عُمَرُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ

---

(١) (طعيما) تصغير طعام، أي: طعاماً قليلاً.

(٢) قال الملا علي القاري: فِيهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ فِي ضِيَافَةِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا، وَلَا يَجُوزُ لِلضَّيْفِ أَنْ يَأْذَنَ لِأَحَدٍ فِي الْإِتْيَانِ مَعَهُ إِلَّا بِأَمْرٍ صَرِيحٍ أَوْ إِذْنٍ عَامٍّ أَوْ عِلْمٍ بِرِضَاهُ.«مرقاة المفاتيح» (٥:٢١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥: ٢٠٧٩) رقم (٥١٤٥)، ومسلم (٣:١٦٠٨) رقم (٢٠٣٦).

(٤) غضبى: في حال غضب لأمر ما . قَالَ الْقَاضِي : مُغَاضَبَةُ عَائِشَة لِلنَّبِيِّ ﷺ هِيَ مِمَّا سَبَقَ مِنَ الْغَيْرَةِ الَّتِي عُفِيَ عَنْهَا لِلنِّسَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَام؛ لِعَدَمِ اِنْفِكَاكِهِنَّ مِنْهَا.

(٥) أخرجه البخاري (٥:٢٠٠٤) رقم (٤٩٣٠)، ومسلم (٤:١٨٩٠) رقم (٢٤٣٩).

(٦) (صغت قلوبكما): مالت إلى تحريم مارية القبطية رضي الله عنها.

(٧) فعدل: مال عن الطريق.

بِالإِدَاوَةِ[1] فَتَبَرَّزَ[2]، ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الـمُؤْمِنِينَ، مَنِ الـمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَـا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قَالَ عُمَرُ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَرِهَ وَاللهِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَكْتُمْهُ - قَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ.

قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ[3]، فَلَمَّـا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ. قَالَ: وَكَانَ مَنْزِلِي فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالْعَوَالِي[4]، فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي؛ فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ.

فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ؛ فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ الله ﷺ، وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمَ[5] وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْكِ -يُرِيدُ عَائِشَةَ-.

قَالَ: وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ فَكُنَّا نَتَنَاوَبُ[6] النُّزُولَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ

---

(١) بالإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء.

(٢) فتبرز: خرج إلى الفضاء لقضاء الحاجة.

(٣) نغلب النساء: يكون رأينا هو المقدم ولا تراجعنا أزواجنا في شيء.

(٤) بالعوالي: موضع قريب من المدينة.

(٥) أوسم: أي أحسن وأجمل والوسامة الجمال.

(٦) التناوب أن تفعل الشيء مرة ويفعل الآخر مرة أخرى.

الْخَيْلَ[1] لِتَغْزُوَنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي ثُمَّ أَتَانِي عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ثُمَّ نَادَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قُلْتُ: مَاذَا أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ. فَقُلْتُ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا كَائِنًا. حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ شَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ثُمَّ نَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي؛ فَقُلْتُ: أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ الله ﷺ؟ فَقَالَتْ: لَا أَدْرِي، هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ الـمَشْرُبَةِ[2]، فَأَتَيْتُ غُلَامًا لَهُ أَسْوَدَ، فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ؛ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ.

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الـمِنْبَرِ، فَجَلَسْتُ فَإِذَا عِنْدَهُ رَهْطٌ جُلُوسٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ[3]، ثُمَّ أَتَيْتُ الْغُلَامَ؛ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ. فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي؛ فَقَالَ: ادْخُلْ؛ فَقَدْ أَذِنَ لَكَ.

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ[4] قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ؛ فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتَ يَا رَسُولَ الله نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ، لَوْ رَأَيْتَنَا يَا رَسُولَ الله، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الـمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَتَغَضَّبْتُ عَلَى امْرَأَتِي يَوْمًا فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي؛ فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَالله إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؛ فَقُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكِ مِنْهُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ؛ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ.

---

(١) تنعل الخيل: أي: يجعلون لخيولهم نعالا لغزونا يعني يتهيأون لقتالنا.

(٢) مشربة: غرفة صغيرة مرتفعة عن الأرض .

(٣) ثم غلبني ما أجد: أي: من شغل قلبه مما بلغه من تطليقه ﷺ نساءه، ومن جملتهنّ حفصة بنته، وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى.

(٤) حصير منسوج، وقيل: ضلوعه المتداخلة بمنزلة الخيوط في الثوب المنسوج.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ؛ فَقُلْتُ: لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْكِ؛ فَتَبَسَّمَ أُخْرَى؛ فَقُلْتُ: أَسْتَأْنِسُ[1] يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «نَعَمْ» فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فَوَالله مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ[2] إِلَّا أُهُبًا[3] ثَلَاثَةً، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ الله أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ. فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ: «أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله. وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ[4] عَلَيْهِنَّ حَتَّى عَاتَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[5].

٨٩- الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ﷺ

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنهما: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَقَرَظٍ[6] فِي نَاحِيَةٍ فِي الْغُرْفَةِ، وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ، فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ[7]؛ فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَمَالِي لَا أَبْكِي، وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَلِكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ

---

(١) الظاهر من إجابته ﷺ أن الاستئناس هنا هو الاستئذان في الأنس والمحادثة، ويدل عليه قوله: فجلست.

(٢) ذا قيمة يرجع البصر راضياً.

(٣) جمع إهاب، وهو الجلد الذي لم يدبغ.

(٤) من شدة موجدته: أي: غضبه.

(٥) أخرجه البخاري (٢:٨٧١) رقم (٢٢٣٦)، ومسلم (٢:١١٠٥) رقم (١٤٧٩)، والترمذي (٥:٤٢٠) رقم (٣٣١٨)، وأحمد (١:٣٣) رقم (٢٢٢).

(٦) القرظ: ورق السلم يدبغ به.

(٧) فابتدرت عيناي: أي لم أتمالك أن بكيت حتى سالت دموعي.

وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ نَبِيُّ الله وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. قَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمْ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى[1].

وعَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي غُرفةٍ لَهُ كَأَنَّها بيتُ حَمَامٍ، وَهُوَ نائمٌ عَلى حَصِيرٍ وَقدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ، قَالَ: فَبكيتُ؛ فقالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ الله؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كِسْرى وَقَيْصَرُ يَطَؤُونَ عَلَى الخَزِّ[2] وَالحَرِيرِ وَالدِّيباجِ[3] وَأنتَ نائمٌ عَلى الحَصِيرِ، وَقَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكَ، قالَ: «فَلَا تَبْكِ يا عبدَ الله، فَإِنَّ لَهم الدُّنيا وَلَنا الآخرةُ، مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيا إِلَّا مَثَلُ رَاكِبٍ قَالَ[4] تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ سَارَ وَتَرَكَهَا»[5].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ الله ﷺ قَطِيفَةً[6] مَثْنِيَّةً، فَانْطَلَقَتْ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فُلَانَةُ الْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ عَلَيَّ، فَرَأَتْ فِرَاشَكَ فَذَهَبَتْ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهَذَا؛ قَالَ: «رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ، فَوَالله لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللهُ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»[7].

---

(١) أخرجه مسلم (٢:١١٠٥) رقم (١٤٧٩)، وابن ماجه (٢:١٣٩٠) رقم (٤١٥٣)، وابن حبان (٩:٤٩٦) رقم (٤١٨٨).

(٢) قال ابن الأثير: الخزُّ المعروف أوَّلاً: ثياب تُنْسَج من صُوف وإبْرَيسم، وهي مُبَاحة، وقد لَبسها الصَّحابة والتَّابعون، فيكون النَّهي عنها لأجل التَّشبُّهِ بالعجمِ وَزِي المُتْرَفِينَ. وإن أريد بالخَزِّ النَّوعُ الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام؛ لأن جميعَه معمولٌ من الإبْرَيسَم وعليه يحمل الحديث «قَومٌ يَسْتَحِلُّون الخَزَّ والحرير».

(٣) الدِّيباجُ المُتَّخذة من الإبْرِيسَم، فارسي مُعرَّبٌ.

(٤) قَالَ يَقِيل قَيْلُولة: الاسْتِراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نَوم.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧:٣١١) رقم (١٠٤١٣).

(٦) كساء له أهداب ودثار أو فراش ذو أهداب.

(٧) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢:١٧٣) رقم (١٤٦٨).

٩٠- لَو تَعْلَمُونَ مِنَ الدُّنيا مَا أَعْلَمُ

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ جَالِسًا بِقُبَاءَ[١]، وَمَعَهُ نَفَرٌ، فَقَامَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَيْهِ بُرْدَةٌ مَا تَكَادُ تُوَارِيهِ، وَنَكَسَ[٢] الْقَوْمُ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ فَرَدُّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ خَيْرًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : «لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا عِنْدَ أَبَوَيْهِ بِمَكَّةَ يُكْرِمَانِهِ وَيُنَعِّمَانِهِ، وَمَا فَتًى مِنْ فَتَيَانِ قُرَيْشٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله وَنُصْرَةِ رَسُولِهِ، أَمَا أَنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ إِلَّا كَذَا وَكَذَا حَتَّى يُفْتَحَ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، فَيَغْدُو[٣] أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ[٤] فِي حُلَّةٍ[٥]، وَيُغْدَى عَلَيْكُمْ بِقَصْعَةٍ وَيُرَاحُ عَلَيْكُمْ بِقَصْعَةٍ[٦] قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، نَحْنُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَوْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ : بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، أَمَا لَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَعْلَمُ لاَسْتَرَاحَتْ أَنْفُسُكُمْ مِنْهَا.[٧].

٩١- الدِّفاعُ عَنِ الـمَدِيْنةِ الـمُنوَّرةِ ضِدَّ الأَحْزَابِ

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ أَنَّه قَالَ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، قَالَ: فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ عَنْزٍ جَذَعٌ سَمِينَةٌ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالله لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ الله ﷺ.

قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، وَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًا، وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ الله ﷺ.

---

(١) مَوْضِع بِمِيلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَة مِنْ الْمَدِينَة.

(٢) أَيْ خَفَضَوا رَؤوسهم وَطَأْطَؤوا إِلَى الْأَرْض؛ حياءً، لأنهم لا يجدون معهم شيئاً يعطونه.

(٣) الغدوة: من أول النهار إلى الزوال.

(٤) الروحة بفتح الراء من زوال الشمس إلى الليل.

(٥) الْحُلَّة وَاحِدَة الْحُلَل، وَهِيَ بُرُود الْيَمَن، وَلَا تُسَمَّى حُلَّة إِلَّا أَنْ تَكُون ثَوْبَيْنِ مِنْ جِنْس وَاحِد.

(٦) أَيْ: صَحْفَة كَبِيرَة.

(٧) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٦٦٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٢٩).

قَالَ: فَلَمَّـا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ الِانْصِرَافَ عَنِ الْخَنْدَقِ -قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارًا، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا- قَالَ: قُلْـتُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي. وَإِنَّمَـا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ الله ﷺ وَحْدَهُ.

قَالَ: فَلَمَّـا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ؛ قَالَ: «نَعَمْ». ثُمَّ أَمَرَ صَارِخًا فَصَرَخَ أَنِ انْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرٍ.

قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَبَرَكَ وَسَمَّى ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَـا فَرَغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا[1].

وَرَوَى عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ جَابِرًا ﷺ فَقَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ[2] شَدِيدَةٌ؛ فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ؛ فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ[3] بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا؛ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْـمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا[4] أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ[5].

---

(١) «مسند أحمد» (٣:٣٧٧) رقم (١٥٠٧٠) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق، وقد تابعه حنظلة بن أبي سفيان وهو ثقة من رجال الشيخين.

(٢) كدية: قطعة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول.

(٣) معصوب: مربوط من شدة الجوع .

(٤) كثيبا: تفتتت حتى صارت كالرمل.

(٥) أهيل: ينهال فيتساقط من جوانبه ويسيل من لينه . أهيم: بمعنى أهيل.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا[1] مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ[2] فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ[3]. فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ[4].

ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ[5]، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ[6] قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ؛ فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ[7] لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ. قَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ» قَالَ: «قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ» فَقَالَ: «قُومُوا».

فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا[8]» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ[9] الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ

---

(١) شيئاً: أي من الجوع .

(٢) ما كان في ذلك صبر: أي: فهو مما لا يحتمل، أو لم يبق لدي الصبر أن أرى ما في رسول الله ﷺ وأتركه هكذا.

(٣) عناق: الأنثى من ولد المعز.

(٤) البرمة: القدر.

(٥) قد انكسر: لَانَ وتمكن فيه الخمير .

(٦) الأثافي: جمع الأثفية وهي الحجارة التي تنصب وتوضع عليها القدر.

(٧) طعيم: مصغر طعام، وصغره لقلته.

(٨) تضاغطوا: تزدحموا.

(٩) يخمر: يغطي.

وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»[1].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ الله ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟

فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا[2] لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ[3] تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ[4]، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي الْمَسْجِدِ[5] وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «بِطَعَامٍ» قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ. فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ الله ﷺ حَتَّى دَخَلَا؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ؟».

---

(١) أخرجه البخاري(٤:١٥٠٥) رقم (٣٨٧٥).

(٢) خمارا: ثوبا تغطي به المرأة رأسها.

(٣) دسته: أدخلته بقوة.

(٤) وردتني: أي: جعلت بعضه رداء على رأسي.

(٥) الْمُرَادُ بِالْمَسْجِدِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي أَعَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّلَاةِ فِيهِ حِينَ مُحَاصَرَةِ الْأَحْزَابِ لِلْمَدِينَةِ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ. «فتح الباري» لابن حجر (٦ : ٥٨٨).

فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[1] لَهَا فَأَدَمَتْهُ[2]، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»[3] فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا[4].

٩٢- ثلُثُ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ لِغَطَفَانَ

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيِّ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصُّلْحُ حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعِ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ إِلَّا الْمُرَاوَضَةُ[5] فِي ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ؛ فَقَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْرًا نُحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّنِي

---

(١) عكة: هو وعاء صغير من جلد للسمن خاصة.

(٢) فأدمته: هو بالمد والقصر لغتان، آدمته وأدمته، أي: جعلته إداما للمفتوت.

(٣) إنما أذن لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فإن القصعة التي فت فيها تلك الأقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣:١٣١١) رقم (٣٣٨٥)، ومسلم (٣:١٦١٢) رقم (٢٠٤٢).

(٥) المراوضة: المساومة والمجاذبة.

رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ[1]، وَكَالَبُوكُمْ[2] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ[3] إِلَى أَمْرٍ مَا».

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بِالله وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَـمْرَةً إِلَّا قِرًى[4] أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا، (وَالله) مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَالله لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَأَنْتَ وَذَاكَ». فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا[5] عَلَيْنَا[6].

٩٣- الظُّرُوفُ الصَّعْبَةُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ

قَالَ حُذَيْفَةُ: وَالله، لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِالْخَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ[7]، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْـقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ -يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الرَّجْعَةَ- أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْـجَنَّةِ؟» فَمَـا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، مِنْ شِدَّةِ الْـخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْـجُوعِ، وَشِدَّةِ الْـبَرْدِ، فَلَمَّـا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ

---

(١) هذا مَثَلٌ في الاتفاقِ.

(٢) اشتدوا عليكم

(٣) الشوكة: شدة البأس والحركة في السلاح.

(٤) القرى:إكرام الضيف بمـا يقدم له.

(٥) يجهدوا: يبلغوا أقصى ما يقدرون عليه.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٢:٢٢٣)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٤:٩) رقم (١٣١٥).

(٧) هَوِيًّا مِنَ اللَّيْل: قَالَ فِي «النِّهَايَة» : الْهَوِيُّ -بِالْفَتْحِ-: الْحِينُ الطَّوِيلُ مِنَ الزَّمَان، وَقِيلَ: هُوَ مُخْتَصٌّ بِاللَّيْل.

يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ، اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا».

قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ، وَالرِّيحُ وَجُنُودُ الله تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لَا تُقِرُّ لَهُمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً[1]. فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ. فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْت بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْت: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَالله مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ[2] وَالْخُفُّ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ؛ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ[3] فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ، فَوَالله مَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ الله ﷺ إِلَيَّ أَنْ لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي، وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

قَالَ حَذِيفَةُ: فَرَجَعْت إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ -لِبَعْضِ نِسَائِهِ- مُرَحَّلٍ[4]. فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، وَإِنِّي لَفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْته الْخَبَرَ[5].

---

(١) لا تدع الريح شيئاً مستقراً في مكانه.

(٢) الكراع: اسم لجمع الخيل . والخف يراد به الإبل.

(٣) عقل البعير يعقل: إذا شُدَّ بالعقال وهو الحبل الذي يشد به، والإبل المعقلة المشدودة بالعقل.

(٤) مرط: المرط كساء يكون تارة من صوف وتارة من شعر أو كتان أو خز. (مرحل) معناه: عليه صورة رحال الإبل.

(٥) أخرجه أحمد (٥:٣٩٢) رقم (٢٣٣٨٢)، وابن هشام في «سيرته» (٢:٢٣١). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن لولا إرساله.

٩٤- إِخْبارُهُ ﷺ بانْتِهاءِ غَزْوِ قُريشٍ لَـهُمْ

عَنْ سُلَيْمَـانَ بْنِ صُرَدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا»[١].

وفي لفظٍ، قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ حِينَ أَجْلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ: «الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»[٢].

٩٥- حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ (الْحُدَيْبِيَة)

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[٣] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ[٤]، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ[٥]».

---

(١) أخرجه البخاري (٤:١٥٠٨) رقم (٣٨٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤:١٥٠٩) رقم (٣٨٨٤).

قال ابن إسحاق: فلم تعد قريش بعد ذلك، وكان رسول الله ﷺ يغزوهم بعد ذلك حتى فتح مكة.

(٣) الغميم: وادٍ بينه وبين مكة مرحلتان.

(٤) طليعة: مقدمة الجيش. وذكر ابن سَعْدٍ: أَنَّ خَالِدًا كَانَ فِي مِائَتَيْ فَارِسٍ، فِيهِمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ.

(٥) أَيِ: الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا خَالِدٌ وَأَصْحَابُهُ. قال ابن هشام: قَالَ الزّهْرِيّ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الّتِي هُمْ بِهَا ؟».

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَسَلَكَ بِهِمْ طَرِيقًا وَعْرًا أَجْرَلَ (أي: كثير الحجارة) بَيْنَ شِعَابٍ، فَلَمّا خَرَجُوا مِنْهُ وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضَوْا إلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الْوَادِي قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلنّاسِ: «قُولُوا: نَسْتَغْفِرُ الله وَنَتُوبُ إلَيْهِ». فَقَالُوا ذَلِكَ؛ فَقَالَ: «وَالله، إنّهَا لَلْحِطّةُ الّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ النّاسَ فَقَالَ: «اُسْلُكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرَيْ الْحَمْشِ». فِي طَرِيقٍ تُخْرِجُهُ عَلَى ثَنِيّةِ الْمُرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَةِ.

فَوَالله، مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ، حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ[1]، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ[2].

وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ[3] الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ؛ فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ[4] فَأَلَحَّتْ[5].

فَقَالُوا: خَلَأَتْ[6] القَصْوَاءُ[7]، خَلَأَتْ القَصْوَاءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ[8]، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ[9]».

---

(١) الْغُبَار الْأسود.

(٢) (فَانْطَلق) أَي: خَالِد (يرْكض) جملَة حَالية من خَالِد من الركض، وَهُوَ الضَّرْب بِالرجلِ على الدَّابَّة لأجل استعجاله فِي السّير. (نذيراً) أَي: منذراً لقريش بمجيء رَسُول الله ﷺ.

(٣) طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ، تُشْرِفُ عَلَى الْحُدَيْبِيَةِ.

(٤) حَلْ حَلْ: كَلِمَةٌ تُقَالُ لِلنَّاقَةِ إِذَا تَرَكَتِ السَّيْرَ.

(٥) فألحت: لزمت مكانها ولم تنبعث.

(٦) الْخَلَأُ: بِالْمُعْجَمَةِ وَالمَدِّ: لِلْإِبِلِ كالحِرَانِ لِلْخَيْلِ، وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: لَا يَكُونُ الْخَلَأُ إِلَّا لِلنُّوقِ خَاصَّةً. وَقَالَ ابنُ فَارِسٍ: لَا يُقَالُ لِلْجَمَلِ خَلَأَ لَكِنْ أَلَحَّ. «فتح الباري» (٥ : ٣٣٥).

(٧) اسْمُ نَاقَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَهِي الَّتِي ابتاعها أَبُو بكر، وَأُخْرَى مَعهَا من بني قُشَيْر بثمانمائة دِرْهَم، وَهِي الَّتِي هَاجر عَلَيْهَا رَسُول الله ﷺ وَكَانَت إِذْ ذَاك ربَاعِية، وَكَانَ لَا يحملهُ غَيرهَا إِذا نزل عَلَيْهِ الْوَحْي

(٨) بخلق: بعادة .

(٩) أَيْ: حَبَسَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ كَمَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ دُخُولِهَا، وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِهَا أَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ دَخَلُوا مَكَّةَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَصَدَّهُمْ قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ لَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ قَدْ يُفْضِي إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ، كَمَا لَوْ قُدِّرَ دُخُولُ الْفِيلِ وَأَصْحَابِهِ مَكَّةَ، لَكِنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ الله تَعَالَى فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ خَلْقٌ مِنْهُمْ، وَيُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ نَاسٌ يُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ، وَكَانَ بِمَكَّةَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ فَلَوْ طَرَقَ الصَّحَابَةُ مَكَّةَ لَمَا أَمِنَ أَنْ يُصَابَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِغَيْرِ عَمْدٍ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ [الفتح:٢٥]، الْآيَةَ.

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ[1]، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً[2] يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله[3] إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا[4]». ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ[5].

قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ[6] حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ[7] قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا[8]، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ[9] حَتَّى نَزَحُوهُ[10]، وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا كِنَانَتِهِ[11]، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ[12].

---

(١) قال الحافظ ابن القيم: جَوَازُ الْحَلِفِ، بَلِ اسْتِحْبَابُهُ عَلَى الْخَبَرِ الدِّينِيِّ الَّذِي يُرِيدُ تَأْكِيدَهُ، وَقَدْ حُفِظَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْحَلِفُ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مَوْضِعًا، وَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْحَلِفِ عَلَى تَصْدِيقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي (سُورَةِ يُونُسَ) و (سَبَأٍ) و (التَّغَابُنِ) .«زاد المعاد» (٣:٢٦٩).

(٢) أَيْ: خَصْلَةً.

(٣) أَيْ مِنْ تَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْحرم.

(٤) إِيَّاهَا، أَيْ: أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا.

(٥) قَوْلُهُ: (ثُمَّ زَجَرَهَا) أَيِ النَّاقَةَ (فَوَثَبَتْ) أَيْ قَامَت.

(٦) (فعدل عنهم) ولَّى راجعا.

(٧) (ثمد) حفرة فيها ماء قليل.

(٨) هُوَ الْأَخْذ قَلِيلًا قَلِيلًا ، وَالْبَرْض الْيَسِير مِنْ الْعَطَاء ، وَقَالَ صَاحِب «الْعَيْن» : هُوَ جَمْع المَاء بِالْكَفَّيْنِ.

(٩) لم يتركوه يثبت ويقيم.

(١٠) لم يُبقوا منه شيئاً.

(١١) الْكِنَانَةُ: وَهِيَ جَعْبَة النُّشَّاب سُمِّيَتْ كِنَانَة لِأَنَّهَا تَكِنُّ السِّهَام أَيْ: تَسْتُرهَا، أَيْ أَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ جَعْبَته.

(١٢) أي: ثم أمرهم رسول الله أن يجعلوا السهم في الثمد المذكور. وفي رواية الزهري فأخرج سهماً من فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل قليباً (بئراً) من تلك القُلب فغرزه من جوفه فجاش بالرواء، وقال ابن إسحاق: إن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ناجية بن جندب سائق بدن رسول الله ﷺ.

فَوَالله، مَا زَالَ يَجِيشُ[1] لَهُمْ بِالرِّيِّ[2] حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ[3].

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ[4] رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ[5]، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ[6] مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ[7]، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ[8]، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً[9]، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ[10]: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا[11]، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا،

---

(١) (يجيش) يفور.

(٢) (بالري) ما يرويهم من الماء.

(٣) (صدروا عنه) رجعوا عنه.

(٤) (عيبة نصح) محل نصحه وموضع سره وأمانته، والعيبة في الأصل ما يوضع فيه الثياب لحفظها، والنصح الخلوص من الشوائب.

(٥) وهي مكة وما حولها من البلدان، وحَدُّها من جهة المدينة العرج ومنتهاها إلى أقصى اليمن. ويقال: تهامة اسم لكل ما نزل من نجد، واشتقاقه من التَّهم، وهو شدة الحر وركود الريح.

(٦) الأعداد: جمع عِدّ، وهو الماء الذي لا انقطاع له، يقال: ماء عِدٌّ، ومياه أعداد.

(٧) «جَاءُوا بالعُوذ المَطَافِيل» أَيِ الْإِبِلِ مَع أَوْلاَدِها. والمُطْفِل: النَّاقةُ القريبَة العَهْد بِالنِّتَاجِ مَعَهَا طِفْلُهَا. يريدُ: أنَّهم جَاءُوا بأجْمَعهم كِبَارِهم وصغَارِهم. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣ : ١٣٠).

(٨) (نهكتهم) أضعفت قوتهم وأموالهم وأهزلتهم.

(٩) (ماددتهم مدة) جعلت بيني وبينهم مدة صلح وهدنة.

(١٠) (أظهر) غلبت عليهم.

(١١) (جموا) استراحوا من جهد الحرب.

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[1]، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ[2]».

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالوَالِدِ[3]؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالوَلَدِ[4]؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ[5]، فَلَمَّا بَلَّحُوا[6] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِهِ.

فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ[7]، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ [8]

---

(١) (تنفرد سالفتي) ينفصل مقدم عنقي أي حتى أقتل.

(٢) فِي نَصْر دِينه .

(٣) (بالوالد) مثل الوالد في الشفقة والمحبة.

(٤) (بالولد) مثل الولد في النصح لوالده.

(٥) أَيْ دَعَوْتهمْ إِلَى نَصْركُمْ.

(٦) (بلحوا) امتنعوا. وَالتَّبَلُّح التَّمَنُّع مِنْ الْإِجَابَة ، وَبَلَّحَ الْغَرِيم إِذَا اِمْتَنَعَ مِنْ أَدَاء مَا عَلَيْهِ.

(٧) دليل على أن النبيَّ ﷺ كان يومئذ فى جمع يخاف منه عروة على أهل مكة الاستئصال لو قاتلهم.

(٨) (اجتاح) أهلك واستأصل.

أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَالله لَأَرَى وُجُوهًا[1]، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا[2] مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا[3] أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ[4]، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصَصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ[5]، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟!

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا[6] لَأَجَبْتُكَ. قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ[7]. وَالْمُغِيرَةُ بْنُ

---

(١) (وُجُوهًا)، أَي: أَعْيَان النَّاس.

(٢) قَوْلُهُ: (أَشْوَابًا) بِتَقْدِيمِ الْمُعْجَمَةِ عَلَى الْوَاوِ، كَذَا لِلْأَكْثَرِ، وَعَلَيْهَا اقْتَصَرَ صَاحِبُ «الْمَشَارِقِ»، وَوَقَعَ لِأَبِي ذَر عَن الْكشميهني (أَوشَابًا) بِتَقْدِيمِ الْوَاوِ. وَالْأَشْوَابُ: الْأَخْلَاطُ مِنْ أَنْوَاعٍ شَتَّى، وَالْأَوْبَاشُ: الْأَخْلَاطُ مِنَ السَّفَلَةِ. فَالْأَوْبَاشُ أَخَصُّ مِنَ الْأَشْوَابِ. «فتح الباري» (٥ : ٣٤٠).

(٣) خَلِيقًا: أَيْ حَقِيقًا، وَزْنًا وَمَعْنًى.

(٤) أَيْ: يَتْرُكُوك. وَفِيهِ: أَنَّ الْعَادَة جَرَتْ أَنَّ الْجُيُوش الْمُجَمَّعَة لَا يُؤْمَن عَلَيْهَا الْفِرَار، بِخِلَافِ مَنْ كَانَ مِنْ قَبِيلَة وَاحِدَة فَإِنَّهُمْ يَأْنَفُونَ الْفِرَار فِي الْعَادَة. وَمَا دَرَى عُرْوَة أَنَّ مَوَدَّة الْإِسْلَام أَعْظَم مِنْ مَوَدَّة الْقَرَابَة ، وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ مُبَالَغَة الْمُسْلِمِينَ فِي تَعْظِيم النَّبِيّ ﷺ. «فتح الباري» (٥ : ٣٤٠).

(٥) قَوْلُهُ: (امْصَصْ) بِأَلِفِ وَصْلٍ، وَمُهْمَلَتَيْنِ الْأُولَى مَفْتُوحَة، بِصِيغَة الْأَمر. وَحكى بن التينِ عَنْ رِوَايَةِ الْقَابِسِيِّ ضَمَّ الصَّادِ الْأُولَى، وَخَطَّأَهَا.

وَالْبَظْرُ: قِطْعَةٌ تَبْقَى بَعْدَ الْخِتَانِ فِي فَرْجِ الْمَرْأَةِ، وَاللَّاتُ: اسْمُ أَحَدِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ وَثَقِيفٌ يَعْبُدُونَهَا، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ الشَّتْمُ بِذَلِكَ لَكِنْ بِلَفْظِ الْأُمِّ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ الْمُبَالَغَةَ فِي سَبِّ عُرْوَةَ بِإِقَامَةِ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَقَامَ أُمِّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَغْضَبَهُ بِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْفِرَارِ، وَفِيهِ جَوَازُ النُّطْقِ بِمَا يُسْتَبْشَعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ لِإِرَادَةِ زَجْرِ مَنْ بَدَا مِنْهُ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَلِكَ. «فتح الباري» (٥ : ٣٤٠).

وقال ابن بطال: وهكذا يجب أن يجاوب من جفا على سروات الناس وأفاضلهم ورماهم بالفرار.

(٦) نعمة لك علي، لم أكافئك عليها.

(٧) هَذِه كَانَت عَادَة من عادات الْعَرَب تجْرِي مجْرى الملاطفة، وَلم يَدْفَعهُ رَسُول الله ﷺعَن ذَلِك حلماً عَنهُ واستمالة لَهُ.

شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ[1]، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ[2]، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ[3]، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ[4]، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»[5].

---

(١) قيام المُغيرَة على رَأس رَسُول الله ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ كالحراسة لَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي مقَام حَرْب، فَلَا يجوز أَن يُؤْخَذ من هَذَا جَوَاز الْقيام على رَأس الرئيس على وَجه الْكبر؛ فَإِنَّهُ قد نهى عليه السلام عَن ذَلِك بقوله: «من أحب أَن يتَمَثَّل لَهُ الرِّجَال قيَاما فَليَتَبَوَّأ مَقْعَده من النَّار».

(٢) ما يوضع على الرأس تحت الخوذة من زَرَدٍ منسوج، ويُسدل على الوجه؛ ليحميه من ضربات السلاح .

(٣) نعل السَّيْف: مَا يكون أَسْفَل القراب من حَدِيد أَو فضَّة، وَإِنَّمَا فعل بِهِ المُغيرَة هَذَا لِأَن تِلْكَ الْعَادة كَانَت تجرى بَين النظراء.

(٤) (غدر) وهو صيغة مبالغة من الغدر.

(٥) وَقَوله: أَلَسْت أسعى فِي غدرتك؟كَانَ المُغيرَة بن شُعْبَة قد خرج مَعَ نفر من بني مَالك إِلَى الْمُقَوْقس وَمَعَ الْقَوْم هَدَايَا، فقبلها مِنْهُم الْمُقَوْقس ووصلهم بجوائز، وَقصر بالمغيرة؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ من الْقَوْم، فجلسوا فِي بعض الطَّرِيق يشربون، فَلَمَّا سَكِرُوا وناموا قَتلهمْ المُغيرَة جَمِيعًا وَأخذ مَا كَانَ مَعَهم، وَقدم على رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بكر: مَا فعل المالكيون الَّذين كَانُوا مَعَك؟ قَالَ: قَتلتُهمْ وَجئْتُ بأسلابهم إِلَى رَسُول الله ﷺ ليخمسها أَو يرى فِيهَا رَأْيه، فَإِنَّمَا هِيَ غنيمَة من الْمُشْركين، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أما إسلامكَ فنقبله، وَلَا آخذ من أَمْوَالهم شَيْئا وَلَا أخمسه؛ لِأَن هَذَا غدر، والغدر لَا خير فِيهِ».

وَإِنَّمَا امْتنع رَسُول الله ﷺ من أَخذ تِلْكَ الْأَمْوَال؛ لِأَن الرفقاء يُصطحبون على الْأَمَانَة، وَالْأَمَانَة مُؤَدَّاة إِلَى الْمُسلم وَالْكَافِر، وَبلغ الْخَبَر ثقيفاً بِالطَّائِف فتداعوا لِلْقِتَالِ، ثمَّ اصْطَلحُوا على أَن يحمل عَنهُ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُود - عَمُّهُ - ثَلَاثَ عشرَةَ دِيَةً، فَلذَلِك قَالَ: أَي غدر! أَلَسْت أسعى فِي غدرتك؟ «كشف المشكل» (٤ : ٥٥).

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ[1] أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَالله، مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ الله ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ[2]، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ[3]، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ[4]، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ[5] إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَالله، لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ[6]، وَالله، إِنْ[7] رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا.

وَالله، إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

---

(١) أَي: يلحظهم كالمسارق للنَّظَر.

(٢) قال ابن بطال: وتدلكهم بنخامته ﷺ على وجه التبرك ورجاء نفعها فى أعضائهم. وفيه: طهارة النخامة بخلاف من جعلها تنجس الماء، وإنما أكثروا من ذلك بحضرة عدوه، وتزاحموه عليه؛ لأجل قوله: «إني لأرى وجوهًا وأشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا عنك ويَدَعُوك». فأروه أنهم أشد اغتباطًا وتبركًا بأمره، وتثبتًا فى نصرته من القبائل التي تراعي الرحم بينهم. «شرح صحيح البخاري» (٨ : ١٢٩).

(٣) (ابتدروا أمره) أسرعوا في تلبيته وتنفيذه.

(٤) الوَضوء- بفتح الواو: الماء الذي يُتوضأ به.

(٥) (يحدون) من الإحداد، وهو شدة النظر، أي: لا يتأملونه ولا يديمون النظر إليه .

(٦) قيصر: وَهُوَ لقب لكل من ملك الرّوم. وكسرى، بِكَسْر الْكَاف وَفتحهَا: اسْم لكل من ملك الْفرس، وَالنَّجَاشِي: بتَخْفِيف الْجِيم وَتَشْديد الْيَاء وتخفيفها: اسْم لكل من ملك الْحَبَشَة.

(٧) إن بمعنى ما، أي: ما رأيت.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ[1]، فَابْعَثُوهَا لَهُ[2]» فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ الله، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ[3]» ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ[4]».

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو؛ فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا[5]؛ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ[6]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَالله، مَا أَدْرِي مَا هُوَ[7]؟! وَلَكِنِ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

---

(١) (يعظمون البدن) أي: لا يستحلونها ولا يعتدون عليها، والبدن جمع بدنة وهي ما يهدى للحرم من الإبل أو البقر.

(٢) (فابعثوها له) أثيروها أمامه.

(٣) رجل فَاجر: أصل الْفُجُور: الْخُرُوج عَن الْحق.

(٤) دَلِيل على اسْتِحْبَاب التفاؤل بِالِاسْمِ الْحسن، وَإِنَّمَا يكره التشاؤم وَهُوَ التطير.

(٥) وَفِي رِوَايَة إِبْن إِسْحَاق: فَلَمَّا انْتهى -أَي: سُهَيْل- إِلَى النَّبِي ﷺ جرى بَينهمَا القَوْل حَتَّى وَقع بَينهمَا الصُّلْح على أَن تُوضَع الْحَرْب بَينهم عشر سِنِين، وَأَن يَأْمَن النَّاس بَعضهم بَعْضًا، وَأَن يرجع عَنْهُم عَامَهمْ هَذَا، وَهَذَا الْقدر من مُدَّة الصُّلْح الَّتِي ذكرهَا ابْن إِسْحَاق هُوَ الْمُتَعَمد عَلَيْهَا. «عمدة القاري» (١٤ : ١٢).

(٦) هُوَ عَلِيٌّ ﷺ.

(٧) قول سهيل: (ما نعرف الرحمن) فإن الله قد أخبر عنهم بذلك فى كتابه ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَالله، لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ». ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله». فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَالله، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالله، إِنِّي لَرَسُولُ الله، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله[1]».

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ». فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَالله لَا، تَتَحَدَّثُ العَرَبُ[2] أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[3]، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ الله، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ[4] فِي قُيُودِهِ[5]، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ،

---

(١) قال ابن الجوزي: وَفِيمَا جرى من موافقتهم فِي كتب مَا أَرَادوا تَعْلِيمٌ لِلْخلقِ حسن المداراة والتلطف، وَلَا يَنْبَغِي أَن تخرج المداراة عَن الشَّرْع؛ فَإِن الرَّسُول ﷺ مَا وافقهم إِلَّا فِي جَائِز؛ لِأَن قَوْله: «بِاسْمِك اللَّهُمَّ» يتَضَمَّن معنى بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم. وَنسبه إِلَى أَبِيه لَا يُخرجهُ عَن النُّبُوَّة. «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤ : ٥٦).

(٢) قال العيني: قَوْله: (فَقَالَ سُهَيْل (وَالله لَا) أَي: لَا يخلى بَيْنك وَبَين الْبَيْت. وَقَوله: (تَتَحَدَّث الْعَرَب) جملَة استئنافية وَلَيْسَت مدخولة: لَا، ومدخولة: لَا، محذوفة وَهِي الَّتِي قدرناها، وَبَعْضهمْ ظن أَن: لَا، دخلت على قَوْله: (تَتَحَدَّث الْعَرَب) حَتَّى قَالَ عِنْد شرح هَذَا: قَوْله: (لَا تَتَحَدَّث الْعَرَب) وَهَذَا ظن فَاسد، فَافْهَم، فَإِنَّهُ مَوضِع قَلِيل من يُدْرك ذَلِك. «عمدة القاري» (١٤ : ١٣).

(٣) (إِنَّا أَخذنَا ضغطة) أَي: قهرا. وَقَالَ الدَّاودِيّ: مفاجأة.

(٤) (يرسف) يمشي مشيا بطيئا بسبب القيود.

(٥) كَانَ سُهَيْل أَوْثَقَهُ وَسَجنَهُ حِين أَسْلَمَ ، فَخَرَجَ مِنْ السِّجْن وَتنكَّبَ الطَّرِيق وَرَكِبَ الْجِبَال حَتَّى هَبَطَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَفَرِحَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَتَلْقَوْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ». قَالَ: فَوَالله، إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي[1]» ، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فَافْعَلْ». قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ[2].

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ[3]؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الله.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ الله ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ[4]، وَهُوَ نَاصِرِي».

قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟!». قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ».

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ[5]؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ

---

(١) (فَأَجِزْهُ لِي) بِصِيغَةِ فِعْل الْأَمْر مِنْ الْإِجَازَة، أَيْ: أَمْضِ لِي فِعْلِي فِيهِ فَلَا أَرُدّهُ إِلَيْك، أَوْ أَسْتَثْنِيه مِنَ الْقَضِيَّة.

(٢) لَمْ يَذْكُر هُنَا مَا أَجَابَ بِهِ سُهَيْل مِكْرَزًا فِي ذَلِكَ.

(٣) زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : يَا أَبَا جَنْدَل ، اِصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّا لَا نَغْدِر ، وَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَك فَرَجًا وَمَخْرَجًا». «فتح الباري» (٥:٣٤٥).

(٤) ظَاهِر فِي أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَفْعَل مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا بِالْوَحْيِ. «فتح الباري» (٥:٣٤٥).

(٥) لَمْ يَذْكُر عُمَر أَنَّهُ رَاجَعَ أَحَدًا فِي ذَلِكَ بَعْد رَسُول الله ﷺ غَيْر أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ، وَذَلِكَ لِجَلَالَةِ قَدْره وَسَعَة عِلْمه عِنْده، وَفِي جَوَاب أَبِي بَكْر لِعُمَر بِنَظِيرِ مَا أَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ سَوَاء، دَلَالَة عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْمَلَ الصَّحَابَة وَأَعْرَفهمْ بِأَحْوَالِ رَسُول الله ﷺ وَأَعْلَمهُمْ بِأُمُورِ الدِّين، وَأَشَدّهمْ مُوَافَقَة لِأَمْرِ الله تَعَالَى. «فتح الباري» (٥:٣٤٦).

إِنَّهُ لَرَسُولُ الله ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَالله إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ -: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا[1].

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا». قَالَ: فَوَالله، مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ الله، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[2].

ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ[3] فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾. حَتَّى بَلَغَ ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]؛ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ.

---

(١) المُرَاد بِهِ: الْأَعْمَال الصَّالِحَة؛ لِيُكَفِّر عَنْهُ مَا مَضَى مِنَ التَّوَقُّف فِي الِامْتِثَال اِبْتِدَاء، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَر التَّصْرِيح بِمُرَادِهِ بِقَوْلِهِ : (أَعْمَالًا): فَفِي رِوَايَة اِبْن إِسْحَاق: «وَكَانَ عُمَر يَقُول: مَا زِلْت أَتَصَدَّق وَأَصُوم وَأُصَلِّي وَأُعْتِق مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمئِذٍ؛ مَخَافَة كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْت بِهِ». وَعِنْد الْوَاقِدِيِّ مِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس: «قَالَ عُمَر: لَقَدْ أَعْتَقْت بِسَبَبِ ذَلِكَ رِقَابًا، وَصُمْتُ دَهْرًا». «فتح الباري» (٥:٣٤٦).

(٢) قَوْله: (غما) أَي: ازدحاماً.

(٣) ظَاهره: أَنَّهُنَّ جئن إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْحُدَيْبِية، وَلَيْسَ كَذَلِك، وَإِنَّمَا جئن إِلَيْهِ بعدُ، فِي أَثْنَاء مُدَّة الصُّلْح.

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ -رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ- وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ؛ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَالله، إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلْ، وَالله، إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ؛ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ[1]، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ رَآهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ -وَالله- صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ.

فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ؛ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، قَدْ -وَالله- أَوْفَى الله ذِمَّتَكَ[2]، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ[3] مِسْعَرَ حَرْبٍ[4]، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ[5]». فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ[6].

---

(١) أَي: مَاتَ، وَهُوَ كِنَايَة؛ لِأَن الْبُرُودَة لَازم الْمَوْت.

(٢) أَي: لَيْسَ عَلَيْك عتاب مِنْهُم فِيمَا صنعت أَنا.

(٣) وَهِيَ كَلِمَة ذَمٍّ تَقُولهَا الْعَرَب فِي الْمَدْح وَلَا يَقْصِدُونَ مَعْنَى مَا فِيهَا مِنْ الذَّمّ؛ لِأَنَّ الْوَيْلَ الْهَلَاكُ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: «لِأُمِّهِ الْوَيْل».

(٤) مِسْعَر ، وَهُوَ الْعُود الَّذِي يُحَرَّك بِهِ النَّار . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : كَأَنَّهُ يَصِفهُ بِالْإِقْدَامِ فِي الْحَرْب وَالتَّسْعِير لِنَارِهَا.

(٥) (لَوْ كَانَ لَهُ أَحَد) أَيْ: يَنْصُرهُ وَيُعَاضِدهُ وَيُنَاصِرهُ. فَلُقِّنَهَا أَبُو بَصِير فَانْطَلَقَ، وَفِيهِ إِشَارَة إِلَيْهِ بِالْفِرَارِ لِئَلَّا يَرُدَّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَرَمَزَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِ، قَالَ جُمْهُور الْعُلَمَاء مِنَ الشَّافِعِيَّة وَغَيْرهمْ: يَجُوز التَّعْرِيض بِذَلِكَ لَا التَّصْرِيح كَمَا فِي هَذِهِ الْقِصَّة. وَالله أَعْلَم. «فتح الباري» (٥: ٣٤٧).

(٦) أَيْ: سَاحِله.

قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ[1]، فَوَالله، مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا[2]، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِالله وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ[3]، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:٢٤-٢٦].

وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ الله، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ[4].

٩٦- مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ؛ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوْا[5] صَلَاةَ الْفَجْرِ

---

(١) أَيْ: جَمَاعَة، وَلَا وَاحِد لَهَا مِنْ لَفْظهَا، وَهِيَ تُطْلَق عَلَى الْأَرْبَعِينَ فَمَا دُونهَا. وَهَذَا الْحَدِيث يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تُطْلَق عَلَى أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ. «فتح الباري» (٥:٣٤٧).

(٢) أَيْ وَقَفُوا فِي طَرِيقهَا بِالْعَرْضِ ، وَهِيَ كِنَايَة عَنْ مَنْعهمْ لَهَا مِنَ السَّيْر.

(٣) فِي رِوَايَة مُوسَى بْن عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ: «فَكَتَبَ رَسُول الله ﷺ إِلَى أَبِي بَصِير، فَقَدِمَ كِتَابهُ وَأَبُو بَصِير يَمُوت، فَمَاتَ وَكِتَاب رَسُول الله ﷺ فِي يَده، فَدَفَنَهُ أَبُو جَنْدَل مَكَانَه، وَجَعَلَ عِنْد قَبْره مَسْجِدًا. قَالَ: وَقَدِمَ أَبُو جَنْدَل وَمَنْ مَعَهُ إِلَى المَدِينَة فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى الشَّام مُجَاهِدًا فَاسْتُشْهِدَ فِي خِلَافَة عُمَر. قَالَ: فَعَلِمَ الَّذِينَ كَانُوا أَشَارُوا بِأَنْ لَا يُسَلَّمَ أَبَا جَنْدَل إِلَى أَبِيهِ أَنَّ طَاعَةَ رَسُول الله ﷺ خَيْر مِمَّا كَرِهُوا.

(٤) أخرجه البخاري (٢:٩٧٤) رقم (٢٥٨١).

(٥) من الموافاة، أي: أتوا وحضروا .

مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ؛ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله.

قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ[1] الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا[2] كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ[3] كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[4].

٩٧- عَائِشَةُ رضي الله عنها زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدِيثَ الإِفْكِ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ[5] فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ مَعَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي؛ فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي[6] وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ[7] وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ[8] لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا

---

(١) تبسط: يوسع لكم فيها.

(٢) من التنافس وهو الرغبة في الشيء والانفراد به، مأخوذ من الشيء النفيس الجيد في نوعه، والذي يرغب فيه .

(٣) تهلككم: تجركم إلى الهلاك بسبب التنازع عليها والركون إليها والاشتغال بها عن الآخرة.

(٤) أخرجه البخاري (١١٥٢) رقم (٢٩٨٨)، ومسلم (٤:٢٢٧٣) رقم (٢٩٦١).

(٥) من القرعة: وهي أن يختار كل من المتقارعين شيئاً معيناً فيسمى سهمه، أي: نصيبه. وتوضع في وعاء مغلق ثم يُستخرج منها واحد، فمن خرج سهمه كان هو صاحب القرعة.

(٦) الهودج: ما تركب فيه المرأة على الجمل.

(٧) أي: رجع.

(٨) أعلم.

الرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ[1]، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي[2]، أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ[3] قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ[4]، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ.

قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ[5]، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ[6] مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ[7]، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي[8] الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ قَدْ عَرَّسَ[9] مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ[10] نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ

---

(١) جاوزت الجيش: خرجت من معسكرهم وابتعدت.

(٢) شأني: حاجتي التي خرجت من أجلها.

(٣) من جزع ظفار: خرز في سواده بياض كالعروق نسبة إلى بلدة باليمن يؤتى به منها.

(٤) فحبسني ابتغاؤه: أخرني طلبه والبحث عنه.

(٥) أي: يثقلن باللحم والشحم، قال أهل اللغة: يقال هبله اللحم وأهبله: إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه.

(٦) العلقة: أي: القليل ويقال لها أيضاً البلغة.

(٧) ليس فيها أحد.

(٨) أي: قصدته.

(٩) قد عرس: التعريس: النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة.

(١٠) أي: شخصه.

الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ[1] حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي[2] بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا[3] فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[4] فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي[5].

وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ[6] عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ[7]، فَقَدِمْنَا الْـمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ[8] حِينَ قَدِمْنَا الْـمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ[9] فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي[10] فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ[11]؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي.

---

(١) أي: انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) أي: غطيته.

(٣) فوطئ على يدها: ليسهل ركوبها ولا يحتاج إلى مساعدة.

(٤) الموغر: النازل في وقت الوغرة، وهي شدة الحر، ونحر الظهيرة: وقت القائلة وشدة الحر.

(٥) تسبب بالهلاك لنفسه وبالحديث في شأني.

(٦) تصدى له وتصدر الحديث عنه، والإفك البهتان والكذب، والمراد: افتراؤهم على أم المؤمنين رضي الله عنها الوقوع في الفاحشة.

(٧) (عبدالله بن أبي ابن سلول) هكذا صوابه أن يكتب ابن سلول بالألف ويعرب بإعراب عبد الله؛ فإنه وصف ثان له؛ لأنه عبد الله بن أُبِيٍّ، وهو عبدالله ابنُ سلول أيضاً؛ فأُبِيٌّ أبوه، وسلول أمه، فنسب إلى أبويه جميعاً، ووصف بهما.

(٨) فاشتكيت: مرضت.

(٩) يفيضون: يشيعون من الإفاضة وهي التوسعة والتكثير.

(١٠) يريبني: يشككني ويوهمني حصول أمر.

(١١) تيكم: إشارة للمؤنث.

وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ[1]، وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْـمَنَاصِعِ[2] وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا[3]، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ[4] قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ -وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْـمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْـمُطَّلِبِ- فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا؛ فَقَالَتْ: تَعِسَ[5] مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ[6]، أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ؛ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي.

---

(١) نقهت: برئت من مرضي ولم يرجع لي كمال الصحة.

(٢) المناصع: مواضع خارج المدينة كانوا يخرجون إليها لقضاء حاجتهم.

(٣) متبرزنا: الموضع الذي نتبرز فيه، من البراز، وهو: اسم لما يخرج من الإنسان من فضلات، وقد يطلق على الموضع الذي يتبرز فيه.

(٤) الكنف: جمع كَنيف، وهو الساتر، سمي به المكان المتخذ لقضاء الحاجة؛ لأن قاضي الحاجة يستتر به.

(٥) تعس: معناه عثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر، وقيل: بَعُدَ، وقيل: سقط بوجهه خاصةً.

(٦) قال الحافظ ابن حجر: (أي هنتاه) أي: حرف نداء للبعيد، وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منه منزل البعيد. والنكتة فيه هنا: أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سبَّ مسطح؛ فخاطبتها خطاب البعيد. وهنتاه -بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح بعدها مثناة وآخره هاء ساكنة وقد تضم- أي: هذه، وقيل: امرأة، وقيل: بلهى. كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس. وهذه اللفظة تختص بالنداء، وهي عبارة عن كل نكرة، وإذا خوطب المذكر قيل: ياهنة. وقد تشبع النون؛ فيقال: يا هناه. وحكى بعضهم تشديد النون فيه، وأنكره الأزهري. «فتح الباري» (٨:٤٦٦).

فَلَمَّـا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ[1] مِنْ قِبَلِهِمَـا؛ فَأَذِنَ لِي رَسُولُ الله ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ، مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَالله لَقَلَّمَـا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً[2] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَـهَا ضَرَائِرُ[3] إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا[4].

قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ الله، وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ[5]، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ[6]، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي. وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ[7] يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَـهُمْ مِنَ الْوُدِّ[8]؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

---

(١) أتيقن الخبر: أحصل على حقيقته.

(٢) وضيئة: جميلة حسنة، من الوَضاءة وهي الحسن.

(٣) ضرائر: جمع ضرة، وهي من كانت تشاركها في زوجها أخرى أو زوجات؛ سميت بذلك لأنها تتضرر بغيرها بالغيرة والقسم ونحو ذلك.

(٤) كثرن عليها: القول في عيبها ونقصها.

(٥) لا يرقأ: أي لا ينقطع.

(٦) ولا أكتحل بنوم: أي: لا أنام.

(٧) استلبث الوحي: أي أبطأ ولبث ولم ينزل.

(٨) الثقة بهم والمحبة لهم وحسن الصلة.

قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ؛ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ[1] عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ[2].

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْـمِنْبَرِ؛ فَاسْتَعْذَرَ[3] مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى الْـمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْـمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ؛ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ -وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ -وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ[4]- فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ الله لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ- فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ[5] تُجَادِلُ عَنِ الْـمُنَافِقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ

---

(١) أغمصه: أعيبها به .

(٢) الداجن: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى. ومعنى هذا الكلام: أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلا، ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين.

(٣) استعذر: معناه أنه قال: من يعذرني فيمن آذاني في أهلي. كما بينه في هذا الحديث، ومعنى من يعذرني: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلمني، وقيل: معناه من ينصرني، والعذير الناصر.

(٤) اجتهلته الحمية: أي: أغضبه التعصب لقومه وحمله على الجهالة.

(٥) أي: فعلك هذا فيه نفاق.

يَقْتَتِلُوا[1]، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْـمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ[2] حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْـمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَمَـا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْـمَمْتِ[3] بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

قَالَتْ: فَلَمَّـا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي[4] حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً؛ فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ فِيمَـا قَالَ. فَقَالَ: وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ. فَقَالَتْ: وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ.

فَقُلْتُ -وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ-: إِنِّي وَالله لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ. وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ -وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ- لَتُصَدِّقُونَنِي، وَإِنِّي

---

(١) أي: تناهضوا للنزاع والعصبية.

(٢) فخفضهم: تلطف بهم حتى سكتوا.

(٣) ألممت: فعلت ذنباً ليس من عادتك، من الإلمام، وهو النزول النادر غير المتكرر .

(٤) قلص: انقبض وارتفع.

وَالله مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا وَالله حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَالله مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا.

قَالَتْ: فَوَالله مَا رَامَ[1] رَسُولُ الله ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ[2] عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ[3] مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[4] مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ[5] عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَالله لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي. قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾. عَشْرَ آيَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ[6].

---

(١) ما رام: أي ما فارق.

(٢) البرحاء: هي الشِّدَّةُ.

(٣) ليتحدر: أي: ليتصبب.

(٤) الجمان: الدر شبهت قطرات عَرَقِهِ ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن.

(٥) فلما سري: أي كشف وأزيل.

(٦) أخرجه البخاري (٤:١٧٧٤) رقم (٤٤٧٣)، ومسلم (٤:٢١٢٩) رقم (٢٧٧٠).

٩٨- مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ!

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ(١)، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي(٢)، فَأَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ(٣)، فَأَتَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ الله ﷺ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟

---

(١) الْبَيْدَاءُ: هُوَ ذُو الْحُلَيْفَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ المَدِينَةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ. وَذَاتُ الْجَيْشِ: وَرَاءَ ذِي الْحُلَيْفَة.

(٢) قال العلامة الزرقاني: قَالَ فِي «التَّمْهِيدِ»: يُقَالُ إِنَّهَا غَزَاةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فِي سَنَةِ سِتٍّ، وَقِيلَ: خَمْسٌ. وَجَزَمَ بِذَلِكَ فِي «الِاسْتِذْكَارِ» وَسَبَقَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَزَاةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ هِيَ غَزَاةُ الْمُرَيْسِيعِ، وَفِيهَا وَقَعَتْ قِصَّةُ الْإِفْكِ لِعَائِشَةَ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ بِسَبَبِ وُقُوعِ عِقْدِهَا أَيْضًا، فَإِنْ كَانَ مَا جَزَمُوا بِهِ ثَابِتًا حُمِلَ عَلَى أَنَّهُ سَقَطَ مِنْهَا فِي تِلْكَ السَّفْرَةِ مَرَّتَيْنِ لِأَجْلِ اخْتِلَافِ الْقِصَّتَيْنِ كَمَا هُوَ بَيِّنٌ فِي سِيَاقِهِمَا.

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى تَعَدُّدِ ضَيَاعِ الْعِقْدِ، وَأَنَّ هَذِهِ كَانَتْ بَعْدَ قِصَّةِ الْإِفْكِ؛ مُحْتَجِّينَ بِمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ: «لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عِقْدِي مَا كَانَ، وَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ أُخْرَى فَسَقَطَ أَيْضًا عِقْدِي حَتَّى حُبِسَ النَّاسُ عَلَى الْتِمَاسِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا بُنَيَّةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَكُونِينَ عَنَاءً وَبَلَاءً عَلَى النَّاسِ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكِ لَمُبَارَكَةٌ». فَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ ضَيَاعَ الْعِقْدِ كَانَ مَرَّتَيْنِ فِي غَزْوَتَيْنِ، وَبِذَلِكَ جَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ الْإِخْبَارِيُّ فَقَالَ: سَقَطَ عِقْدُهَا فِي غَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْمَغَازِي فِي أَيِّهِمَا كَانَتْ أَوَّلًا.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ لَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَصْنَعُ». فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى تَأَخُّرِهَا عَنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ؛ لِأَنَّ إِسْلَامَ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ فِي السَّابِعَةِ، وَهِيَ بَعْدَهَا بِلَا خِلَافٍ. «شرح الزرقاني على الموطأ» (١: ٢١٨).

(٣) (فَأَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْتِمَاسِهِ) أَيْ لِأَجْلِ طَلَبِهِ (وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ) فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَرْكِ إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَاعْتِنَاءِ الْإِمَامِ بِحِفْظِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ قَلَّتْ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ثَمَنَ الْعِقْدِ كَانَ اثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا. «شرح الزرقاني على الموطأ» (١: ٢١٩).

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ -وَرَسُولُ الله ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ[1]- فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ الله ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ[2]، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ[3]، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي[4] بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي[5]، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ[6] إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ[7]، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا[8]».

---

(١) فَفِيهِ جَوَازُ دُخُولِ الرَّجُلِ عَلَى بِنْتِهِ وَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا عِنْدَهَا إِذَا عَلِمَ رِضَاهُ بِذَلِكَ، وَلَمْ تَكُنْ حَالَةَ مُبَاشَرَةٍ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: النُّكْتَةُ فِي قَوْلِ عَائِشَةَ: (فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ) وَلَمْ تَقُلْ أَبِي؛ لِأَنَّ قَضِيَّةَ الْأُبُوَّةِ الْحُنُوُّ، وَمَا وَقَعَ مِنَ الْعِتَابِ بِالْقَوْلِ والتأديب بِالْفِعْلِ مُغَايِرٌ لِذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ؛ فَلِذَلِكَ أَنْزَلَتْهُ مَنْزِلَةَ الْأَجْنَبِيِّ فَلَمْ تَقُلْ أَبِي.

(٣) أي: من كلمات الزجر والعتاب.

(٤) (طَعَنَ يَطْعَنُ) بِالْفَتْحِ فِي الْعِرْضِ وَالنَّسَبِ، وَ (طَعَنَ يَطْعُنُ) بِالضَّمِّ بِالرُّمْحِ وَالْيَدِ، وَيُقَال هُمَا لُغَتَانِ فِيهِمَا.

(٥) قال الإمام النووي: فيه تَأْدِيبِ الرَّجُلِ وَلَدَهُ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالضَّرْبِ وَنَحْوِهِ، وَفِيهِ تَأْدِيبُ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً مُزَوَّجَةً خَارِجَةً عَنْ بَيْتِهِ. «شرح النووي على مسلم» (٤: ٥٩).

(٦) قال الحافظ ابن حجر: (فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ) فِيهِ اسْتِحْبَابُ الصَّبْرِ لِمَنْ نَالَهُ مَا يُوجِبُ الْحَرَكَةَ أَوْ يَحْصُلُ بِهِ تَشْوِيشٌ لِنَائِمٍ، وَكَذَا لِمُصَلٍّ أَوْ قَارِئٍ أَوْ مُشْتَغِلٍ بِعِلْمٍ أَوْ ذِكْرٍ. «فتح الباري» (١: ٤٣٣).

(٧) قال الحافظ ابن حجر: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قِيَامَهُ مِنْ نَوْمِهِ كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (حَتَّى أَصْبَحَ) بَيَانَ غَايَةِ النَّوْمِ إِلَى الصَّبَاحِ، بَلْ بَيَانُ غَايَةِ فَقْدِ الْمَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ؛ لِأَنَّهُ قَيَّدَ قَوْلَهُ (حَتَّى أَصْبَحَ) بِقَوْلِهِ (عَلَى غَيْرِ مَاءٍ) أَيْ: آلَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ. «فتح الباري» (١: ٤٣٣).

(٨) قال الحافظ العراقي: قَوْلُ عَائِشَةَ: (فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ) هَلِ الْمُرَادُ آيَةُ الْمَائِدَةِ أَوْ آيَةُ النِّسَاءِ؟ جَوَّزَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ» كُلًّا مِنَ الْأَمْرَيْنِ؛ فَقَالَ: وَهِيَ آيَةُ الْوُضُوءِ الْمَذْكُورَةُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ أَوِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، قَالَ: لَيْسَ التَّيَمُّمُ مَذْكُورًا فِي غَيْرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ. إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ.

وَإِنَّمَا تَرَدَّدَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْمُرَادِ مِنَ الِاثْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ تَعْيِينُ إِحْدَاهُمَا.

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ[1]، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَوَجَدْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ[2]»[3].

٩٩- بَعْثُ النَّبيِّ ﷺ علياً ﷺ بِصَدْرِ بَرَاءَةَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ[4] فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ نُؤَذِّنُ بِمِنًى: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ[5] رَسُولُ الله ﷺ عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٌ[6].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ: لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ[7].

وَالصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ آيَةُ الْمَائِدَةِ، مَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ؛ فَقَالَ: فِيهَا فَنَزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] الْآيَةَ. فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ آيَةُ الْمَائِدَةِ. «طرح التثريب في شرح التقريب» (٢: ٩٨).

(١) قال العلامة الباجي: يُرِيدُ أَنَّ بَرَكَتَكُمْ كَانَتْ مُتَوَالِيَةً عَلَى الصَّحَابَةِ مُتَكَرِّرَةً، وَكَانُوا سَبَبًا لِكُلِّ مَا لَهُمْ فِيهِ رِفْقٌ وَمَصْلَحَةٌ. «المنتقى شرح الموطأ» (١: ١٠٩).

(٢) (قَالَتْ: فَبَعَثْنَا) أَيْ أَثَرْنَا (الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ) رَاكِبَةً (عَلَيْهِ) حَالَةَ السَّيْرِ (فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ) هَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا فِي طَلَبِهِ أَوَّلًا لَمْ يَجِدُوهُ. «شرح الزرقاني على الموطأ» (١ : ٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١:١٢٧) رقم (٣٢٧)، ومسلم (١:٢٧٩) رقم (٣٦٧).

(٤) أي: التي أَمَّرَ فيها رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ على الحج في السنة التاسعة قبل حجة الوداع بسنة.

(٥) أردف: أرسله وراء أبي بكر ﷺ.

(٦) يؤذن ببراءة: يقرؤها على الناس، وبراءة اسم لسورة التوبة، وسميت براءة لأنها تبدأ بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

(٧) أخرجه البخاري (١:١٤٤) رقم (٣٦٢).

١٠٠- إسْلامُ أَبي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ[١] وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ

كَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ خَرَجَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا، فَلَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ بِالْجُحْفَةِ[٢]، وَقِيلَ: فَوْقَ ذَلِكَ. وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ[٣]، لَقِيَاهُ بِالْأَبْوَاءِ[٤] -وَهُمَا ابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ عَمَّتِهِ- فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا لِمَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْهُمَا مِنْ شِدَّةِ الْأَذَى وَالْهَجْوِ[٥]؛ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ: لَا يَكُنِ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ أَشْقَى النَّاسِ بِك.

وَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي سُفْيَانَ: ائْتِ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ؛ فَقُلْ لَهُ مَا قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف:٩١]. فَإِنَّه لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلًا. فَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٩٢]. فَأَنْشَدَهُ أَبُو سُفْيَانَ أَبْيَاتًا مِنْهَا:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ الَّلاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ

لكَالْمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُه ... فهذا أَوَانُ حِينَ أَهْدي وَأَهْتَدي

---

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة السعدية. واسمه المغيرة، وقيل: اسمه كنيته، والمغيرة أخوه، وكان ممن يشبه رسول الله ﷺ. وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي ﷺ ويهجوه ويؤذي المسلمين. شَهد من المشاهد حُنيناً، وله فيها الذكر الحسن؛ فقد ثبت فيها مع النّبيّ ﷺ، وأبلى بلاء حسناً. توفي سنة ١٥، وقيل: سنة ٢٠ في خلافة عمر ﷺ.

(٢) قَرْيَة خَرِبَة بَيْنهَا وَبَيْن مَكَّة خَمْس مَرَاحِل أَوْ سِت.

(٣) وهو أخو أم سلمة زوج النَّبِيّ ﷺ. وأمه عاتكة بنت عبد المطلب. عمة رَسُول الله ﷺ.

(٤) الْأَبْوَاء: قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَال الْفَرْع مِنْ الْـمَدِينَة بَيْنهَا وَبَيْن الْجُحْفَة مِمَّا يَلِي الْـمَدِينَة ثَلَاثَة وَعِشْرُونَ مِيلًا.

(٥) الهجو: السب وتعديد المعايب، ويكون بالشعر غالباً.

هَـدَاني هَـادٍ غَـيْرُ نَفْسـي وقَـادَنْي إلى الله مَـنْ طَـرَّدْتُ كُـلَّ مُطَـرَّدِ

فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: «أَنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ».

وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مُنْذُ أَسْلَمَ حَيَاءً مِنْهُ[1].

١٠١- هِدَايةُ أَبي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي ضَواحِي مَكَّةَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَضَى رَسُولُ الله ﷺ لِسَفَرِهِ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْـمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنٍ الْغِفَارِيَّ، وَخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، فَصَامَ رَسُولُ الله ﷺ، وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكَدِيدِ -مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجَ- أَفْطَرَ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ[2] فِي عَشَرَةِ آلافٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ مِنْ مُزَيْنَةَ وَسُلَيْمٍ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلامٌ، وَأَوْعَبَ[3] مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْـمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَقَدْ عَمِيَتِ الأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ خَبَرٌ، وَلا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ، خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بنُ وَرْقَاءَ يَتَحَسَّسُونَ وَيَنْتَظِرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بنُ الْحَارِثِ بنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ الله بنُ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ الْـمُغِيرَةِ[4]، قَدْ لَقِيَا

---

(١) أخرجه ابن هشام في «سيرته» (٢:٤٠١)، والحاكم في «مستدركه» (٣:٤٦) رقم (٤٣٥٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥:٦٣).

(٢) مَرّ الظهْران: وهو وَادٍ بين مكة وعُسْفَان.

(٣) أوعب: جمع، ومعناه هنا: ذهب الجمع الكثير معه.

(٤) أخو أم سلمة لأبيها، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب.

رَسُولَ الله ﷺ، فِيمَـا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْـمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَـا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ، قَالَ:«لا حَاجَةَ لِي بِهِمَـا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ[1]».

قَالَ: فَلَمَّـا خَرَجَ الْخَبَرُ إِلَيْهِمَـا بِذَلِكَ وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيٌّ لَهُ . فَقَالَ: وَالله لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لآخُذَن بِيَدِي بُنَيَّ هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجَوْعًا. فَلَمَّـا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ رَقَّ لَـهُمْـا، ثُمَّ أَذِنَ لَـهُمْـا فَدَخَلا وَأَسْلَمَـا.

فَلَمَّـا نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ، وَالله لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً[2] قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ، إِنَّهُ لَـهَلاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ الْبَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الأَرَاكَ[3]، فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ، أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ الله ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً.

قَالَ: فَوَالله، إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا، وأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ، وَبُدَيْلِ بن وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا وَلا عَسْكَرًا، قَالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ وَالله نِيرَانُ خُزَاعَةَ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ[4]، قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خُزَاعَةُ، وَالله أَذَلُّ وأَلأَمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا وَعَسْكَرُهَا، قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَالَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، فَقُلْتُ:

---

(١) يَعْنِي: حِينَ قَالَ لَهُ: وَاَللهِ، لَا آمَنْت بِكَ حَتَّى تَتَّخِذَ سُلَّمًـا إلَى السَّمَـاءِ فَتَعْرُجَ فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ، ثُمّ تَأْتِيَ بِصَكٍّ وَأَرْبَعَةٍ مِنَ الْـمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَك أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَك.

(٢) عنوة: أخذ الشيء قهراً.

(٣) قد يكون هنا الموضع الذي فيه شجر الأراك . و نقل البكري: أن «الأراك» موضع بعرفة.

(٤) حمشتها: حرضتها على القتال.

وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، هَذَا رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّاسِ، وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَالله، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟

قَالَ: قُلْتُ: وَالله لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ مَعِي هَذِهِ الْبَغْلَةَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ الله ﷺ أَسْتَأْمِنَهُ لَكَ، قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، فَحَرَّكْتُ بِهِ كُلَّمَا مَرَرْتُ بنارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: مَنْ هَذَا؟

فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ الله ﷺ، قَالُوا: عَمُّ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى مَرَرْتُ بنارِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الْبَغْلَةِ، قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ، عَدُوُّ الله، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ الله ﷺ، وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، فَاقْتَحَمْتُ[1] عَنِ الْبَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَدَخَلَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَجَرْتُهُ[2]، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: لا وَالله، لا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ، قُلْتُ: مَهْلا يَا عُمَرُ، أَمَا وَالله لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بني عَدِيِّ بن كَعْبٍ مَا قُلْتَ هَذَا، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، قَالَ: مَهْلا يَا عَبَّاسُ، فَوَالله لإِسْلامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ إِسْلامِ الْخَطَّابِ.

---

(١) اقتحم: دخل وجاوز بشدة.

(٢) أجرته: أي: أمَّنته وحميته مما يخاف.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«اذْهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ، فَإِذَا أَصْبَحَ فَائْتِنِي بِهِ» فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ:«وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ[1] لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ؟».

قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، وَالله لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ الله غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا، قَالَ:«وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ الله؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، هَذِهِ وَالله كَانَ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الآنَ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَسْلِمْ، وَاشْهَدْ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قَالَ: فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ:«نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»[2].

١٠٢- النَّبيُّ ﷺ يُطَمْئِنُ الخَائفَ

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ[3]؛ فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ[4]»[5].

---

(١) ألم يأن : ألم يحن.

(٢) أخرجه ابن هشام في «سيرته» (٢:٤٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٢٦٤)، والحاكم في «مستدركه» (٤٣٥٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) الْفَرَائِص: جَمْع فَرِيصَة، وَهِيَ لَحْمَة بَيْنَ الجَنْبِ وَالكَتِفِ تَرْجِفُ عِنْد الْفَزَع، وَالْكَلَام كِنَايَة عَنْ الْفَزَع.

(٤) الْقَدِيد: اللَّحْم الْمُمَلَّح الْمُجَفَّف فِي الشَّمْس.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢:١١٠١) رقم (٣٣١٢) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٣:٥٠) رقم (٤٣٦٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢:١٦٦): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

١٠٣- قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ[١] يُقَالُ لَهُ: الشَّوْطُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْلِسُوا هَا هُنَا» وَدَخَلَ، وَقَدْ أُتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ، فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتٍ[٢] أُمَيْمَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ[٣]، وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا[٤]، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «هَبِي نَفْسَكِ لِي» قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ[٥]؟

---

(١) الْحَائِط: الْمُرَاد بِهِ الْبُسْتَان.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: هُوَ بِالتَّنْوِينِ فِي الْكُلِّ ... وَظَنَّ بَعْضُ الشُّرَّاحِ أَنَّهُ بِالْإِضَافَةِ. وَإِنَّمَا جَاءَ الْوَهْمُ مِنْ إِعَادَةِ لَفْظِ فِي بَيْتٍ، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فِيهِ فَقَالَ: فِي بَيْتٍ فِي النَّخْلِ أُمَيْمَةُ ... إِلَخْ. «فتح الباري» (٩ : ٣٥٨).

(٣) أُمَيْمَةُ بِالرَّفْعِ إِمَّا بَدَلًا عَنِ الْجَوْنِيَّةِ وَإِمَّا عَطْفُ بَيَانٍ. «فتح الباري» (٩ : ٣٥٨).

(٤) قال الحافظ ابن حجر: الدَّايَةُ: الظِّئْرُ الْمُرْضِعُ، وَهِيَ مُعَرَّبَةٌ. وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَسْمِيَةِ هَذِهِ الْحَاضِنَةِ. «فتح الباري» (٩ : ٣٥٨).

(٥) قال ابن الجوزي: السوقة: من لَيْسَ بِملك. قَرَأت على شَيخنَا أبي مَنْصُور اللّغَوِيّ قَالَ: يذهب عوام النَّاس إِلَى أَن السوقة أهل السُّوق، وَذَلِكَ خطأ، إِنَّمَا السوقة عِنْد الْعَرَب من لَيْسَ بِملك، تَاجِرًا كَانَ أَو غير تَاجر، بِمَنْزِلَة الرّعية الَّتِي تسوسها الْمُلُوك، وَسموا سوقة لِأَن الْملك يسوقهم فينساقون لَهُ، ويصرفهم على مُرَاده، يُقَال للْوَاحِد سوقة، وللاثنين سوقة، وَرُبمَا جمع سوقا، قَالَ زُهَيْر:

أحار لَا أرمين مِنْكُم بداهية ... لم يلقها سوقة قبلي وَلَا ملك

وَقَالَت حرقة بنت النُّعْمَان:

بَينا نسوس النَّاس وَالْأَمر أمرنَا ... إِذا نَحن فيهم سوقة نتنصف

فَأَما أهل السُّوق فالواحد مِنْهُم سوقي، وَالْجَمَاعَة سوقيون. «كشف المشكل» (٢ : ١٣٣).

قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ[1]، فَقَالَ: «قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ[2]» ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا أُسَيْدٍ، اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ[3]، وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا»[4].

١٠٤- اِسْتِرْدَادُ الرَّايةِ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبادَةَ

لَـمَّـا مَرَّ سَعْدٌ بِرَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ نَادَى: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْـمَلْحَمَةِ[5]، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللهُ قُرَيْشًا. فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ حَتّى إِذَا حَاذَى أَبَا سُفْيَانَ نَادَاهُ: يَا رَسُولَ الله، أُمِرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِكَ؟ زَعَمَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ حِينَ مَرَّ بِنَا قَالَ: «يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْـمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللهُ قُرَيْشًا». وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ[6] فِي قَوْمِكَ، فَأَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَرْحَمُ النَّاسِ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعُثْمَـانُ بْنُ عَفَّانَ: يَا رَسُولَ الله، مَا نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ[7]. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْيَوْمَ يَوْمُ الْـمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا».

قال الحافظ ابن حجر: فَكَأَنَّهَا اسْتَبْعَدَتْ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمَلِكَةَ مَنْ لَيْسَ بِمَلِكٍ، وَكَانَ ﷺ قَدْ خُيِّرَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا تَوَاضُعًا مِنْهُ ﷺ لِرَبِّهِ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهَا النَّبِيُّ ﷺ بِكَلَامِهَا مَعْذِرَةً لَهَا لِقُرْبِ عَهْدِهَا بِجَاهِلِيَّتِهَا. «فتح الباري» (٩ : ٣٥٨).

(١) أَي ألجأ إِلَيْهِ وألوذ بِهِ.

(٢) أَي: بِمَا يستعاذ بِهِ.

(٣) الرَّازِقِيَّةُ: ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ بِيضٌ طِوَالٌ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: يَكُونُ فِي دَاخِلِ بَيَاضِهَا زُرْقَةٌ.

(٤) أخرجه البخاري (٥:٢٠١٢) رقم (٤٩٥٦)،

(٥) أي: يوم حرب لا يوجد منه مخلص، أي: يوم قتل.

(٦) أنشدك الله: أي: أسألك به.

(٧) الصَّولةُ: الحَمْلةُ والوَثْبَة.

قَالَ: وَأَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَعَزَلَهُ، وَجَعَلَ اللِّوَاءَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَرَأَى رَسُولُ الله ﷺ أَنَّ اللِّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صَارَ لِابْنِهِ. فَأَبَى سَعْدٌ أَنْ يُسَلِّمَ اللِّوَاءَ إِلَّا بِأَمَارَةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِعِمَامَتِهِ فَعَرَفَهَا سَعْدٌ؛ فَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ[1].

١٠٥- مَنْ سَيُمْسِكُ مِفْتاحَ الْكَعْبَةِ؟

نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْكَعْبَةِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَمَعَهُ الْمِفْتَاحُ، فَتَنَحَّى نَاحِيَةَ الْمَسْجِدِ فَجَلَسَ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قَبَضَ السِّقَايَةَ مِنَ الْعَبَّاسِ، وَقَبَضَ الْمِفْتَاحَ مِنْ عُثْمَانَ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ: «اُدْعُوا إِلَيَّ عُثْمَانَ» فَدُعِيَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ.

وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ لِعُثْمَانَ يَوْمًا، وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمَعَ عُثْمَانَ الْمِفْتَاحُ؛ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ». فَقَالَ عُثْمَانُ: لَقَدْ هَلَكَتْ إِذًا قُرَيْشٌ وَذَلَّتْ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ عَمُرَتْ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ».

فَلَمَّا دَعَانِي بَعْدَ أَخْذِهِ الْمِفْتَاحَ ذَكَرْتُ قَوْلَةَ مَا كَانَ قَالَ. فَأَقْبَلْتُ فَاسْتَقْبَلْتُهُ بِبِشْرٍ وَاسْتَقْبَلَنِي بِبِشْرٍ. ثُمَّ قَالَ: «خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ، تَالِدَةً خَالِدَةً[2] لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا ظَالِمٌ، يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ. فَكُلُوا بِالْمَعْرُوفِ».

قَالَ عُثْمَانُ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ نَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: «أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قُلْتُ لَكَ؟» قَالَ: فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ؛ فَقُلْت: بَلَى، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، فَأَعْطَاهُ الْمِفْتَاحَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُضْطَبِعٌ بِثَوْبِهِ[3]، وَقَالَ: غَيِّبُوهُ[4]»[5].

---

(١) «المغازي» للواقدي (ص٨٢١)، وله أصل في البخاري (٤:١٥٥٩) رقم (٤٠٣٠).

(٢) يقال للشيء الدائم الذي لا يزول: تالِدٌ.

(٣) مضطبع بثوبه: وهو أن يدخل ثوبه من تحت إبطه اليمنى ويلقيه على عاتقه الأيسر.

(٤) قال الزهري: فلذلك يُغَيَّبُ المفتاحُ.

(٥) «المغازي» للواقدي (ص٨٣٦).

١٠٦- النَّبيُّ ﷺ يُخاطِبُ قُريشاً

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ[١] الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحُجُرَاتِ: ١٣]. الْآيَةَ كُلَّهَا. ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[٢].

١٠٧- فِكْرَةُ قَتْلِ النَّبيِّ ﷺ

هَمَّ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ الْـمُلَوّحِ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمَّـا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفَضَالَةُ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَضَالَةُ، يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «مَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَك؟» قَالَ: لَا شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكُرُ اللهَ.

قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «اسْتَغْفِرِ اللهَ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ، فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقِ الله شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ.

قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْت إِلَى أَهْلِي، فَمَرَرْت بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ؛ فَقُلْت: لَا. وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَـتْ هَلُـمَّ إِلَى الْحَـدِيثِ فَقُلْـت لَا ... يَـأْبَى عَلَيْـكِ اللهُ وَالْإِسْـلَامُ

لَـوْ مَـا رَأَيْـتِ مُحَمَّـدًا وَقَبِيلَـهُ ... بِـالْفَتْحِ يَـوْمَ تُكَسَّـرُ الْأَصْـنَامُ

---

(١) نَخْوة: أي: كِبْرٌ وعُجْبٌ وأَنَفَة وحَمِيَّة.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٤١١:٢)، وابن حبان في «الثقات» (٥٥:٢)، وذكرطرفاً منه الإمام الشافعي في «الأم» (٣٨٢:٧).

لَرَأَيْـــتِ دِيـــنَ اللهِ أَضْـــحَى بَيِّنًـــا وَالشِّـــرْكُ يَغْشَـــى وَجْهَـــهُ الْإِظْـــلَامُ[1]

١٠٨- عُمَيرٌ يُريدُ لِصاحِبِهِ القَديمِ الصُّلحَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ

خَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ يُرِيدُ جُدَّةَ لِيَرْكَبَ مِنْهَا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالُ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْكَ، لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ فِي الْـبَحْرِ؛ فَأَمِّنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ. قَالَ: «هُوَ آمِنٌ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْطِنِي آيَةً يَعْرِفُ بِهَا أَمَانَكَ؛ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِمَـامَتَهُ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مَكَّةَ.

فَخَرَجَ بِهَا عُمَيْرٌ حَتَّى أَدْرَكَهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ فِي الْـبَحْرِ. فَقَالَ: يَا صَفْوَانُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، اللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ أَنْ تُهْلِكَهَا. فَهَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ جِئْتُكَ بِهِ. قَالَ: وَيْحَك، اغْرُبْ عَنِّي فَلَا تُكَلِّمْنِي، قَالَ: أَيْ صَفْوَانُ، فِدَاك أَبِي وَأُمِّي، أَفْضَلُ النَّاسِ وَأَبَرُّ النَّاسِ وَأَحْلَمُ النَّاسِ وَخَيْرُ النَّاسِ ابْنُ عَمِّكَ، عِزُّهُ عِزُّكَ. وَشَرَفُهُ شَرَفُكَ، وَمُلْـكُهُ مُلْـكُكَ؟

قَالَ: إِنِّي أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي، قَالَ: هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَاكَ وَأَكْرَمُ. فَرَجَعَ مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَقَالَ صَفْوَانُ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قَدْ أَمَّنْتَنِي؟ قَالَ: «صَدَقَ» قَالَ: فَاجْعَلْـنِي فِيهِ بِالْخِيَارِ شَهْرَيْنِ؟ قَالَ: أَنْتَ بِالْخِيَارِ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»[2].

١٠٩- هِنْدُ بِنْتُ عُتبةَ عِندَ النَّبيِّ ﷺ مَعَ النِّساءِ يُبَايِعْنَ عَلَى الإِسْلامِ

وَأَمَّا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ، فَإِنَّ مِنْ حَدِيثِهَا يَوْمَ الْفَتْحِ، أَنَّهَا بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الصَّفَا، وَعُمَرُ دُونَهُ بِأَعْلَى الْعَقَبَةِ، فَجَاءَتْ فِي نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُبَايِعْنَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعُمَرُ يُكَلِّمُهُنّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّـا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا، قَالَتْ هِنْدُ: قَدْ

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢:٤١٧).

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢:٤١٧).

عَلِمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ الله غَيْرُهُ لَأَغْنَى عَنَّا، فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَسْرِقْنَ» قَالَتْ: وَهَلْ تَسْرِقُ الْحُرَّةُ؟!، لَكِنْ يَا رَسُولَ الله أَبُو سُفْيَانَ رَجُلٌ مَسِيكٌ[1]، رُبَّمَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ مَا يُصْلِحُ وَلَدَهُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ[2]»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكِ لَأَنْتِ هِنْدُ؟». قَالَتْ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ الله، اُعْفُ عَنِّي، عَفَا اللهُ عَنْكَ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ حَاضِرًا، فَقَالَ: أَنْتِ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتِ. فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَزْنِينَ»، قَالَتْ: وَهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ يَا رَسُولَ الله؟!

فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ[3]»، قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَكْرَمَكَ، وَأَحْسَنَ مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَتْ: «وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ»، قَالَتْ: وَالله قَدْ رَبَّيْنَاهُمْ صِغَارًا، حَتَّى قَتَلْتَهُمْ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ بِبَدْرٍ كِبَارًا؛ قَالَ: فَضَحِكَ عُمَرُ مِنْ قَوْلِهَا حَتَّى مَالَ.

ثُمَّ قَالَ: «وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ[4] يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ». فَقَالَتْ: وَالله إِنَّ إِتْيَانَ الْبُهْتَانِ لَقَبِيحٌ، وَلَبَعْضُ التَّجَاوُزِ أَمْثَلُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعُمَرَ: «بَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». فَبَايَعَهُنَّ عُمَرُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَا يُصَافِحُ النِّسَاءَ، وَلَا يَمَسُّ إِلَّا امْرَأَةً أَحَلَّهَا اللهُ لَهُ أَوْ ذَاتَ مَحْرَمٍ مِنْهُ[5].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ

---

(١) مِسِّيك: أَيْ: شَحِيح وَبَخِيل.

(٢) بالمعروف: تطعمين من ماله بحسب ما يعرف بين الناس.

(٣) في طاعة الله، فيما نهى النبي ﷺ عنه من النَّوح، وتمزيق الثياب، وأن تخلو مع غريب في حضر أو سفر، أو تسافر فوق ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم، ونحو ذلك.

(٤) البهتان: أن تقذف المرأة ولداً من غير زوجها على زوجها، فتقول لزوجها: هو منك، وليس منه.

(٥) أورده بهذا اللفظ السهيلي في «الروض الأنف» (٤: ١٧٢)، وخبر مبايعة هند رضي الله عنها أخرجه البخاري (٦: ٢٤٤٨) رقم (٦٢٦٥)، ومسلم (٣: ١٣٣٨) رقم (١٧١٤).

وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٢، ١٣].

١١٠- وَرَثَةُ ابْنِ الْوَقَّاصِ

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي؛ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ؛ أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟

قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ[1]؟

فَقَالَ: «لَا». ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ -أَوْ كَثِيرٌ- إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ[2] وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ[3]، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي[4]. قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ[5] فَتَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ

---

(١) أي: بالنصف.

(٢) أي: تترك ورثتك من بعدك.

(٣) الْعَالَة : الْفُقَرَاء . وَيَتَكَفَّفُونَ: يَسْأَلُونَ النَّاس فِي أَكُفّهمْ .

(٤) قَالَ الْقَاضِي عِياض : مَعْنَاهُ : أُخَلَّف بِمَكَّة بَعْدَ أَصْحَابِي؟ فَقَالَهُ إِمَّا إِشْفَاقًا مِنْ مَوْته بِمَكَّة ؛ لِكَوْنِهِ هَاجَرَ مِنْهَا، وَتَرَكَهَا لله تَعَالَى، فَخَشِيَ أَنْ يَقْدَح ذَلِكَ فِي هِجْرَته، أَوْ فِي ثَوَابه عَلَيْهَا، أَوْ خَشِيَ بِبَقَائِهِ بِمَكَّة بَعْد اِنْصِرَاف النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابه إِلَى الْمَدِينَة وَتَخَلُّفهُ عَنْهُمْ بِسَبَبِ الْمَرَض، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ الرُّجُوع فِيمَا تَرَكُوهُ لله تَعَالَى.

(٥) الْمُرَاد بِالتَّخَلُّفِ: طُول الْعُمُر وَالْبَقَاء فِي الْحَيَاة بَعْد جَمَاعَات مِنْ أَصْحَابه. وَفِي هَذَا الْحَدِيث : فَضِيلَة طُول الْعُمْر لِلِازْدِيَادِ مِنْ الْعَمَل الصَّالِح، وَالْحَثّ عَلَى إِرَادَة وَجْه الله تَعَالَى بِالْأَعْمَالِ. وَالله تَعَالَى أَعْلَم.

آخَرُونَ[1]. اللهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ[2] سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ» يَرْثِي لَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ[3].[4].

١١١- بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ

عَنْ عُرْوَةَ البَارِقِيِّ ﷺ، قَالَ: دَفَعَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ دِينَارًا لِأَشْتَرِيَ لَهُ شَاةً، فَاشْتَرَيْتُ لَهُ شَاتَيْنِ[5]، فَبِعْتُ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجِئْتُ بِالشَّاةِ وَالدِّينَارِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ لَهُ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ[6]». فَكَانَ يَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى كُنَاسَةِ[7] الكُوفَةِ فَيَرْبَحُ الرِّبْحَ العَظِيمَ، فَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الكُوفَةِ[8].

---

(١) هَذَا الْحَدِيث مِنَ الْـمُعْجِزَات، فَإِنَّ سَعْدًا ﷺ عَاشَ حَتَّى فَتَحَ الْعِرَاق وَغَيْره، وَانْتَفَعَ بِهِ أَقْوَام فِي دِينهمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَتَضَرَّرَ بِهِ الْكُفَّار فِي دِينهمْ وَدُنْيَاهُمْ فَإِنَّهُمْ قُتِلُوا وَصَارُوا إِلَى جَهَنَّم، وَسُبِيَتْ نِسَاؤُهُمْ وَأَوْلَادهمْ، وَغُنِمَتْ أَمْوَالهمْ وَدِيَارهمْ، وَوَلِيَ الْعِرَاق فَاهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ خَلَائِق، وَتَضَرَّرَ بِهِ خَلَائِق بِإِقَامَتِهِ الْحَقَّ فِيهِمْ مِنَ الْكُفَّار وَنَحْوهمْ.

(٢) الْبَائِس : هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَثَر الْبُؤْس، وَهُوَ: الْفَقْر وَالْقِلَّة.

(٣) ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَكْرَهُ لِمَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا أَوْ يُقِيمَ بِهَا أَكْثَرَ مِنِ انْقِضَاءِ نُسُكِهِ.

(٤) أخرجه البخاري (١:٤٣٥) رقم (١٢٣٣)، ومسلم (٣:١٢٥٠) رقم (١٦٢٨).

(٥) (فَاشْتَرَيْتُ لَهُ شَاتَيْنِ) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْوَكِيلِ إِذَا قَالَ لَهُ الْمَالِكُ: اشْتَرِ بِهَذَا الدِّينَارِ شَاةً. وَوَصَفَهَا أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا شَاتَيْنِ بِالصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَ الْمُوَكِّلِ قَدْ حَصَلَ وَزَادَ الْوَكِيلُ خَيْرًا.

(٦) وَالْمَعْنَى: بَارَكَ اللهُ فِي بَيْعِكَ وَتِجَارَتِكَ. وجاء في لفظ البخاري رقم (٣٦٤٢): «وَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ».

(٧) مَوْضِعٍ بِالْكُوفَةِ.

(٨) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣:٥٥١) رقم (١٢٥٨).

١١٢- النَّبيُّ ﷺ يَتَجَهَّزُ لِـهُجُومِ هَوَازِنَ

خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ قِبَلَ هَوَازِنَ، وَخَرَجَ مَعَهُ صَفْوَانُ -وَهُوَ كَافِرٌ- وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَعِيرُهُ سِلَاحَهُ؛ فَأَعَارَهُ سِلَاحَهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِأَدَاتِهَا، فَقَالَ: طَوْعًا أَوْ كَرْهًا[١]؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَارِيَةً مُؤَدَّاةً»[٢]. فَأَعَارَهُ؛ فَأَمَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَحَمَلَهَا إِلَى حُنَيْنٍ، فَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْجِعِرَّانَةِ[٣].

فَبَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ يَسِيرُ فِي الْغَنَائِمِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، جَعَلَ صَفْوَانُ يَنْظُرُ إِلَى شِعْبٍ مُلِئَ نَعَمًا وَشَاءً وَرِعَاءً، فَأَدَامَ إِلَيْهِ النَّظَرَ وَرَسُولُ الله ﷺ يَرْمُقُهُ[٤]، فَقَالَ: «أَبَا وَهْبٍ، يُعْجِبُكَ هَذَا الشِّعْبُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «هُوَ لَك وَمَا فِيهِ». فَقَالَ صَفْوَانُ عِنْدَ ذَلِكَ: مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ؛ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ[٥].

---

(١) غصباً أم عارية.

(٢) أي: لا آخذها غصباً، بل أستعيرها وأردها، فوضع موضع الردِّ الضمان مبالغة في الردِّ، وفيه: أن العارية يضمنها المستعير وإن لم يفرط، وهو مذهب الشافعي وأحمد، ولم يضمن أبو حنيفة إلَّا بالتعدي. «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤:٣٩٤).

(٣) مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ تِسْعَةُ أَمْيَالٍ، وَقِيلَ: سِتَّةُ أَمْيَالٍ.

(٤) رَمَقَهُ بِعَيْنِهِ رَمْقًا: أَطَالَ النَّظَرَ إِلَيْهِ.

(٥) بهذا اللفظ أخرجه الواقدي في «مغازيه» (ص٨٥٠)، وأخرجه أبو داود (٢:٣٢٠) رقم (٣٥٦٦)، وأحمد (٤:٢٢٢) رقم (١٧٩٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١١:٢٢) رقم (٤٧٢٠) مختصراً بلفظ: «عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه عن النبي ﷺ قال : «إذا آتتك رسلي فأعطهم- أو قال: فادفع- إليهم ثلاثين درعاً وثلاثين بعيراً، أو أقل من ذلك» فقال له: العارية مؤداة يا رسول الله. قال: فقال النبي ﷺ: «نعم».

١١٣- دُعَاءُ النَّبيِّ ﷺ لأَعْدَائِهِ الْقُدَماءِ (بَنِي ثَقِيف)

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ؛ فَجَاءَهُ أَصْحَابُهُ؛ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله، أَحْرَقَتْنَا[1] نِبَالُ ثَقِيفٍ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا»[2].

١١٤- تَوْزِيعُ غَنَائِمِ حُنَين

كَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ غَنِمَ فِضَّةً كَثِيرَةً أَرْبَعَةَ آلَافِ أُوقِيَّةٍ فَجُمِعَتْ الْـغَنَائِمُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْـفِضَّةُ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَصْبَحْتَ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ مَالاً؛ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ.

وَقَالَ: أَعْطِنِي مِنْ هَذَا الْـمَـالِ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «يَا بِلَالُ، زِنْ لِأَبِي سُفْيَانَ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ». قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ابْنِي يَزِيدُ أَعْطِهِ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «زِنُوا لِيَزِيدَ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ». قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ابْنِي مُعَاوِيَةُ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «زِنْ لَهُ يَا بِلَالُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ».

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّكَ الْـكَرِيمُ -فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي- وَلَقَدْ حَارَبْتُكَ فَنِعْمَ الْـمُحَارَبُ كُنْتَ، ثُمَّ سَالَـمْتُكَ فَنِعْمَ الـمُسَالَـمُ أَنْتَ، جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا. وَأَعْطَى فِي بَنِي أَسَدٍ[3].

---

(١) حيث صبَّ عليهم أهل الطائف سكك الحديد المحماة، ورموهم بالنبل، فأصابوا منهم قوماً.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢:٢٠١) رقم (٣٣١٦٣)، والترمذي (٥:٧٢٩) رقم (٣٩٤٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣:٢٠٧) رقم (١٥١٥).

(٣) أخرجه الواقدي في «مغازيه» (ص٩٤٤).

١١٥- مُعَارَضَةٌ فِي الْعَطَايَا

رَوَى عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ ﷺ قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ[١] وَجَزَعَهُمْ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْغِنَى، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ». فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ[٢].

١١٦- الأَنْصارُ يَفْتَحونَ قَضِيَّـةً

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: لَـمَّـا أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ[٣] هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ[٤]؛ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ قَوْمَهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِـمَـا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟!

قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ[٥]» قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّـا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ؛ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ.

---

(١) (ظلعهم) أصل الظلع الاعوجاج والميل، والمراد هنا مرض القلب وضعف اليقين.

(٢) أخرجه البخاري (٣:١١٤٦) رقم (٢٩٧٦) .

(٣) وجد: أي غضب.

(٤) القالة: اسم للقول الفاشي في الناس خيراً كان أو شراً.

(٥) الحَظِيرَةُ : المُحِيطُ بِالشَّيْءِ، سواءٌ كان خَشَباً أَو قَصَباً، جَمْعُها: الحَظَائِرُ.

قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمْ اللهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قَالُوا: بَلْ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ الله، وَلله وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟

قَالَ: «أَمَا وَالله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ[1] مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ.

أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءاً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ[2]، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ الله قِسْمًا وَحَظًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ وَتَفَرَّقْنَا[3].

---

(١) قالَ الأصْمَعِيُّ : ومِنْهُ -أي : من اللُّعَاعِ- بمَعْنَى النَّبْتِ النَّاعِم. قِيلَ : الدُّنْيا لُعاعَة. وفي الحدِيثِ: «إنَّمَا الدُّنْيا لُعاعَة» يعنِي: كالنَّباتِ الأخْضَرِ قَلِيلِ البَقَاء. «تاج العروس» مادة (لعع).

(٢) أي: بلُّوها بالدُّموع.

(٣) أخرجه أحمد (٣:٧٦) رقم (١١٧٤٨) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن.

١١٧- تَوَقُّعُ مَقَرٍّ جَدِيدٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ حَدِيْثَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَفِيهِ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَجَاءَ الْوَحْيُ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْوَحْيُ، فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله.

قَالَ: «قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ». قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ. قَالَ: «كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى الله وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ». فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَالله، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ[1] بِالله وَبِرَسُولِهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُم»[2].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ وَدَخَلَهَا، قَامَ عَلَى الصَّفَا يَدْعُو اللهَ، وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: أَتَرَوْنَ رَسُولَ الله ﷺ إِذْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُقِيمُ بِهَا؟ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ: «مَاذَا قُلْتُمْ؟» قَالُوا: لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ الله. فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَعَاذَ الله، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»[3].

---

(١) الضِّن: هو -بكسر الضاد- أي: شُحًّا بكَ أن تفارقنا ويختصُّ بك غيرنا.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وأحمد (٢:٥٣٨)، وابن حبان (٤٧٦٠).

(٣) «السيرة» لابن هشام (٢:٤١٦).

١١٨- مَوْتُ رَأْسِ الـمُنافِقِينَ عَبدِ الله بن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ

مَرِضَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ فِي لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ، وَمَاتَ فِي ذِي الْـقَعْدَةِ، وَكَانَ مَرَضُهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُهُ فِيهَا، فَلَمَّـا كَانَ الْـيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ؛ فَقَالَ: «قَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ حُبِّ الْـيَهُودِ».

فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ: أَبْغَضَهُمْ سَعْدُ بْنُ زُرَارَةَ فَمَـا نَفَعَهُ! ثُمَّ قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ: يَا رَسُولَ الله، لَيْسَ بِحِينِ عِتَابٍ، هُوَ الْـمَوْتُ، فَإِنْ مُتُّ فَاحْضُرْ غُسْلِي، وَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفَّنْ فِيهِ. فَأَعْطَاهُ الْأَعْلَى - وَكَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ - فَقَالَ: الَّذِي يَلِي جِلْـدَكَ. فَنَزَعَ قَمِيصَهُ الَّذِي يَلِـي جِلْـدَهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ قَالَ: صَلِّ عَلَيَّ وَاسْتَغْفِرْ لِي[1].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّـا تُوُفِّيَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ. فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَقَالَ: «إِذَا فَرَغْتَ مِنْهُ فَآذِنَّا» فَلَمَّـا فَرَغَ آذَنَهُ بِهِ، فَجَاءَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَجَذَبَهُ عُمَرُ؛ فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْـمُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: «أَنَا بَيْنَ خِيرَتَيْنِ، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]». فَنَزَلَتْ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:٨٤]. فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ[2].

١١٩- إِسْلامُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَأُخْتِهِ

بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ فَرَسًا، وَمَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ وَلِوَاءٌ أَبْيَضُ إِلَى الْفُلْسِ -وَهُوَ صَنَمٌ طَيِّءٍ- لِيَهْدِمَهُ، فَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَى مَحَلَّةِ آلِ حَاتِمٍ مَعَ الْفَجْرِ فَهَدَمُوهُ، وَمَلَؤُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ السَّبْيِ وَالنَّعَمِ وَالشَّاءِ، وَفِي

---

(١) «مغازي الواقدي» (ص١٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥:٢١٨٤) رقم (٥٤٦٠)، ومسلم (٤:١٨٦٥) رقم (٢٤٠٠).

السَّبْيِ أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَهَرَبَ عَدِيٌّ إِلَى الشَّامِ، وَوَجَدُوا فِي خِزَانَتِهِ ثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ وَثَلَاثَةَ أَدْرَاعٍ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى السَّبْيِ أَبَا قَتَادَةَ، وَعَلَى الـمَـاشِيَةِ وَالرِّثَّةِ[1] عَبْدَ الله بْنَ عَتِيكٍ، وَقَسَمَ الْغَنَائِمَ فِي الطَّرِيقِ، وَعَزَلَ الصَّفِيَّ[2] لِرَسُولِ الله ﷺ، وَلَمْ يَقْسِمْ عَلَى آلِ حَاتِمٍ حَتَّى قَدِمَ بِهِمُ الـمَدِينَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ الله ﷺ حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي، أَمَا أَنَا فَكُنْتُ امْرَءاً شَرِيفًا، وَكُنْتُ نَصْرَانِيًّا، وَكُنْت أَسِيرُ فِي قَوْمِي بِالْـمِرْبَاعِ[3]، فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينٍ، وَكُنْتُ مَلِكًا فِي قَوْمِي، لِـمَـا كَانَ يُصْنَعُ بِي.

فَلَمَّـا سَمِعْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ كَرِهْتُهُ، فَقُلْت لِغُلَامٍ كَانَ لِي عَرَبِيٍّ، وَكَانَ رَاعِيًا لِإِبِلِـي: لَا أَبَا لَك[4]، أَعْدِدْ لِي مِنْ إِبِلِـي أَجْمَالًا ذُلُلًا سِمَـانًا، فَاحْتَبِسْهَا قَرِيبًا مِنِّي، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِـمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلَادَ فَآذِنِّي؛ فَفَعَلَ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، مَا كُنْتَ صَانِعًا إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعْهُ الْآنَ؛ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْت رَايَاتٍ فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَقَرِّبْ إِلَيَّ أَجْمَالِي، فَقَرَّبَهَا، فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْحَقُ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ؛

---

(١) الرِّثَّة: رديءُ المَتَاعِ، وخُلْقَانُ الثِّيَابِ.

(٢) الصَّفِيِّ وهُوَ ما يَتَخَيَّرُهُ النَّبِيُّ مِنَ المَغْنَمِ.

(٣) كان يأخذُ الرُّبع من الغنيمة في الجاهلية دُون أصحابه، ويُسَمَّى ذلك الرُّبع : المِرْباع.

(٤) لاَ أَبَا لَكَ: وهو أَكْثَر ما يُذْكَر في المدح: أي: لا كافي لك غَيْرُ نَفْسكَ . وقد يذكر في معرضِ الذَّم كما يقال: لا أمَّ لكَ، وقد يذكر في معرض التعَجُّب ودَفْعاً للعين كقولهم: لله دَرُّكَ، وقد يذكر بمعنى جِدَّ في أمْرِك وشَمِّرْ؛ لأن من له أبٌ اتَّكل عليه في بعض شأنه.

فَسَلَكْتُ الْجَوْشِيَّةَ[1] -وَيُقَالُ: الْحَوْشِيَّةُ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَخَلَّفْتُ[2] بِنْتًا لِحَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقَمْتُ بِهَا[3].

١٢٠- أَسْرُ الرَّسُولِ ابْنَةَ حَاتِمٍ ثُمَّ إِطْلَاقُهَا

قَالَ: وَتُخَالِفُنِي خَيْلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ فَتُصِيبُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِيمَنْ أَصَابَتْ؛ فَقُدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي سَبَايَا مِنْ طَيِّءٍ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ، قَالَ: فَجُعِلَتْ بِنْتُ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةٍ بِبَابِ الـمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَامَتْ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزْلَةً[4]، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَافِدُ[5]، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْك. قَالَ: «وَمَنْ وَافِدُك؟» قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: «الْفَارُّ مِنَ الله وَرَسُولِهِ؟».

قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله ﷺ وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ مَرَّ بِي، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ.

قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرَّ بِي وَقَدْ يَئِسْت مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قَوْمِي فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَقُمْت إِلَيْهِ فَقُلْت: يَا رَسُولَ الله، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَافِدُ، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْك ؛ فَقَالَ ﷺ: «قَدْ فَعَلْتُ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِك مَنْ يَكُونُ لَكِ ثِقَةً؛ حَتَّى يُبَلِّغَكِ إِلَى بِلَادِكِ» ثُمَّ آذَنِينِي.

---

(١) الجوشية: موضع بين نجد والشام.

(٢) أي: تركتُ.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢:٥٧٨)، و «تاريخ الطبري» (٢:١٧٨).

(٤) الجزلة: العاقلة الأصيلة الرأي.

(٥) قال ابن سيد الناس: (وغاب الوافد) بالواو، وقال بعض الناس: لا معنى له إلا على وجه بعيد. قال: ووجدت الرقام ذكره في كتابه (الرافد) بالراء، وهو أشبه.

فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أُكَلِّمَهُ؛ فَقِيلَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِ، وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِـيٍّ أَوْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ: وَإِنَّمَـا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ. قَالَتْ: فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ. قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ الله ﷺ وَحَمَلَنِي، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ[1].

١٢١- إِشَارَةُ ابْنَةِ حَاتِمٍ عَلَى عَدِيٍّ بِالإِسْلَامِ

قَالَ عَدِيٌّ: فَوَالله إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظَعِينَةٍ تَصُوبُ إِلَيَّ تَؤُمَّنَا، قَالَ: فَقُلْتُ: ابْنَةُ حَاتِمٍ. قَالَ: فَإِذَا هِيَ هِيَ، فَلَمَّـا وَقَفَتْ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ[2] تَقُول: الْقَاطِعُ الظَّالِـمُ، احْتَمَلْتَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ، وَتَرَكْتَ بَقِيَّةَ وَالِدِكَ عَوْرَتَكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَيْ أُخَيَّةُ، لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا، فَوَالله مَا لِي مِنْ عُذْرٍ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتِ.

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي، فَقُلْتُ لَـهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً: مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَتْ: أَرَى وَالله أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا فَلِلسَّابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَلَنْ تَذِلَّ فِي عِزِّ الْيَمَنِ، وَأَنْتَ أَنْتَ. قَالَ: قُلْت: وَالله إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ[3].

١٢٢- قُدُومُ عَدِيٍّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِسْلَامُهُ

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الـمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «مَنِ الرَّجُلُ؟» فَقُلْتُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ؛ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَانْطَلَقَ بِي إِلَى

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢:٥٧٩)، و «تاريخ الطبري» (٢:١٨٧).

(٢) انسحلت: تقول إن كانت هذه اللفظة بالجيم، فيقال: أسجلت الكلام أي أرسلته، وإن كانت بالحاء المهملة، يقال: انسحل الخطيب بالكلام: إذا جرى به.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢:٥٨٠).

بَيْتِهِ، فَوَالله إِنَّهُ لَعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ إِذْ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ كَبِيرَةٌ فَاسْتَوْقَفَتْهُ فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا، قَالَ: قُلْت فِي نَفْسِي: وَالله مَا هَذَا بِمَلِكٍ.

قَالَ: ثُمَّ مَضَى بِي رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى إذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ تَنَاوَلَ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةٍ لِيفًا، فَقَذَفَهَا إلَيَّ؛ فَقَالَ: «اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ» قَالَ: قُلْتُ: بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتَ» فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ بِالْأَرْضِ. قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَالله مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ.

ثُمَّ قَالَ: «إِيهِ يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا[1]؟» قَالَ: قُلْت: بَلَى. قَالَ: «أَوْ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِك بِالْـمِرْبَاعِ؟» قَالَ: قُلْت: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ» قَالَ: قُلْتُ: أَجَلْ وَالله. وَقَالَ: وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ.

ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ، فَوَالله لَيُوشِكَنَّ الْـمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ، وَلَعَلَّكَ إنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَوَالله لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْـمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ، وَلَعَلَّكَ إنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْـمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَايْمُ الله لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ» قَالَ: فَأَسْلَمْتُ[2].

---

(١) يُروى تفسير الركوسية عن ابن سيرين، أنه قال: هو دين بين النصارى والصابئين. «غريب الحديث» لأبي عبيد ابن سلام (٣:٨٧).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢:٥٨٠)، و «تاريخ الطبري» (٢:١٨٨).

١٢٣- وُقُوعُ مَا وَعَدَ بِهِ الرّسُولُ ﷺ عَدِيًّا

كَانَ عَدِيٌّ يَقُولُ: قَدْ مَضَتْ اثْنَتَانِ وَبَقِيَتِ الثَّالِثَةُ، وَالله لَتَكُونَنَّ، قَدْ رَأَيْتُ الْقُصُورَ الْبِيضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ، وَقَدْ رَأَيْت الـمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ حَتَّى تَحُجَّ هَذَا الْبَيْتَ، وَايْمُ الله لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ: لَيَفِيضَنَّ الـمَـالُ حَتَّى لَا يُوجَدَ مَنْ يَأْخُذُهُ[1].

١٢٤- وَفْدُ نَجْرَانَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ

عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيرٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ يَسُوعَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ - قَالَ يُونُسُ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ -: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَتَبَ إلَى أَهْلِ نَجْرَانَ: «بِاسْمِ إلَهِ إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إلَى عِبَادَةِ الله مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَأَدْعُوكُمْ إلَى وِلَايَةِ الله مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجِزْيَةُ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبٍ وَالسَّلَام».

فَلَمَّـا أَتَى الْأُسْقُفَ الْكِتَابُ فَقَرَأَهُ فَظِعَ بِهِ وَذَعَرَ بِهِ ذُعْرًا شَدِيدًا [2]، فَبَعَثَ إلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ -يُقَالُ لَهُ: شُرَحْبِيلُ بْنُ وَدَاعَةَ، وَكَانَ مِنْ هَمْدَانَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُدْعَى إذَا نَزَلَتْ مُعْضِلَةٌ[3] قَبْلَهُ لَا الْأَيْهَمُ وَلَا السَّيِّدُ وَلَا الْعَاقِبُ- فَدَفَعَ الْأُسْقُفُ كِتَابَ رَسُولِ الله ﷺ إلَيْهِ فَقَرَأَهُ؛ فَقَالَ الْأَسْقُفُ: يَا أَبَا مَرْيَمَ، مَا رَأْيُكَ؟ فَقَالَ شُرَحْبِيلُ: قَدْ عَلِمْتَ مَا وَعَدَ اللهُ إبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّةِ إسْمَـاعِيلَ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَمَـا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، لَيْسَ لِي فِي النُّبُوَّةِ رَأْيٌ، لَوْ كَانَ أَمْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ فِيهِ، وَجَهَدْتُ لَكَ، فَقَالَ لَهُ الْأُسْقُفُ: تَنَحَّ فَاجْلِسْ، فَتَنَحَّى شُرَحْبِيلُ فَجَلَسَ نَاحِيَةً.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢:٥٨٠)، «تاريخ الطبري» (٢:١٨٨)، وانظر «زاد المعاد» (٣:٤٥٠).

قلت: وقد وقع ذلك في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ورضوانه.

(٢) أي: هابه وخافه وأكبره.

(٣) المشكلة الشديدة.

فَبَعَثَ الْأُسْقُفُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ -يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ الله بْنُ شُرَحْبِيلَ- وَهُوَ مِنْ ذِي أَصْبَحَ مِنْ حِمْيَرَ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ. فَقَالَ لَهُ الْأَسْقُفُ: تَنَحَّ فَاجْلِسْ، فَتَنَحَّى فَجَلَسَ نَاحِيَةً.

فَبَعَثَ الْأُسْقُفُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ -يُقَالُ لَهُ: جَبَّارُ بْنُ فَيْضٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ- فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ وَعَبْدِ الله فَأَمَرَهُ الْأُسْقُفُ فَتَنَحَّى.

فَلَمَّا اجْتَمَعَ الرَّأْيُ مِنْهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ جَمِيعًا أَمَرَ الْأُسْقُفُ بِالنَّاقُوسِ[1] فَضُرِبَ بِهِ، وَرُفِعَتْ الْمُسُوحُ[2] فِي الصَّوَامِعِ[3] -وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إِذَا فَزِعُوا بِالنَّهَارِ، وَإِذَا كَانَ فَزَعُهُمْ بِاللَّيْلِ ضُرِبَ النَّاقُوسُ وَرُفِعَتِ النِّيرَانُ فِي الصَّوَامِعِ- فَاجْتَمَعَ حِينَ ضُرِبَ بِالنَّاقُوسِ وَرُفِعَتِ الْمُسُوحُ -أَهْلُ الْوَادِي أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ، وَطُولُ الْوَادِي مَسِيرَةَ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ السَّرِيعِ، وَفِيهِ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ قَرْيَةً وَعِشْرُونَ وَمِائَةُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ- فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ الله ﷺ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُ أَهْلِ الْوَادِي مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا شُرَحْبِيلَ بْنَ وَدَاعَةَ الْهَمْدَانِي، وَعَبْدَ الله بْنَ شُرَحْبِيلَ، وَجَبَّارَ بْنَ فَيْضٍ الْحَارِثِيَّ، فَيَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ رَسُولِ الله ﷺ.

فَانْطَلَقَ الْوَفْدُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَضَعُوا ثِيَابَ السَّفَرِ عَنْهُمْ وَلَبِسُوا حُلَلًا لَهُمْ يَجُرُّونَهَا مِنَ الْحِبَرَةِ[4] وَخَوَاتِيمَ الذَّهَبِ، ثُمَّ انْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، وَتَصَدَّوْا لِكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلًا فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، وَعَلَيْهِمْ تِلْكَ الْحُلَلُ وَالْخَوَاتِيمُ الذَّهَبُ.

---

(١) النَّاقُوسُ: الَّذي يَضْرِبُه النَّصَارَى لأَوْقَاتِ صَلاَتهم، وهي خَشَبَةٌ كَبيرةٌ طَويلَةٌ وأُخْرَى قَصيرةٌ.

(٢) المسوح: اللباس الخشن.

(٣) بيوت العبادة عند النصارى ومتعبد الناسك.

(٤) الْحِبَرَة: هِيَ ثِيَاب مِنْ كَتَّانٍ أَوْ قُطْنٍ مُحْبَرَة، أَيْ: مُزَيَّنَة، وَالتَّحْبِير: التَّزْيِين وَالتَّحْسِين.

فَانْطَلَقُوا يَتَّبِعُونَ عُثْمَـانَ بْنَ عَفَّانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَكَانَا مَعْرِفَةً لَـهُمْ، كَانَا يُخْرِجَانِ الْعِيرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى نَجْرَانَ فَيُشْتَرَى لَـهُمَـا مِنْ بُرِّهَا وَثَمَرِهَا وَذُرَتِهَا، فَوَجَدُوهُمَا فِي نَاسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْـمُهَاجِرِينَ فِي مَجْلِسٍ؛ فَقَالُوا: يَا عُثْمَـانُ وَيَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، إِنَّ نَبِيَّكُمْ كَتَبَ إِلَيْنَا بِكِتَابٍ فَأَقْبَلْنَا مُجِيبِينَ لَهُ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا سَلَامَنَا، وَتَصَدَّيْنَا لِكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلاً فَأَعْيَانَا أَنْ يُكَلِّمَنَا، فَمَـا الرَّأْيُ مِنْكُمَـا، أَنَعُودُ؟

فَقَالَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -وَهُوَ فِي الْقَوْمِ-: مَا تَرَى يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ لِعُثْمَـانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ﷺ: أَرَى أَنْ يَضَعُوا حُلَلَهُمْ هَذِهِ، وَخَوَاتِيمَهُمْ، وَيَلْبَسُوا ثِيَابَ سَفَرِهِمْ، ثُمَّ يَأْتُوا إِلَيْهِ.

فَفَعَلَ الْوَفْدُ ذَلِكَ، فَوَضَعُوا حُلَلَهُمْ وَخَوَاتِيمَهُمْ ثُمَّ عَادُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَرَدَّ سَلَامَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَقَدْ أَتَوْنِي الْـمَرَّةَ الْأُولَى وَإِنَّ إِبْلِيسَ لَـمَعَهُم». ثُمَّ سَأَلَـهُمْ وَسَأَلُوهُ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ وَبِهِمْ الْـمَسْأَلَةُ حَتَّى قَالُوا لَهُ: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَإِنَّا نَرْجِعُ إِلَى قَوْمِنَا وَنَحْنُ نَصَارَى فَيَسُرُّنَا إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا أَنْ نَعْلَمَ مَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ يَوْمِي هَذَا، فَأَقِيمُوا حَتَّى أُخْبِرَكُمْ بِمَـا يُقَالُ لِي فِي عِيسَى».

فَأَصْبَحَ الْغَدُ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٩ - ٦١]. فَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا بِذَلِكَ، فَلَمَّـا أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ الْغَدَ

بَعْدَمَا أَخْبَرَهُمْ الْخَبَرَ، أَقْبَلَ مُشْتَمِلًا[1] عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ﷺ فِي خَمِيلٍ[2] لَهُ وَفَاطِمَةُ ﷺ تَمْشِي عِنْدَ ظَهْرِهِ لِلْمُبَاهَلَةِ[3]، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ عِدَّةُ نِسْوَةٍ.

فَقَالَ شُرَحْبِيلُ لِصَاحِبَيْهِ: يَا عَبْدَ الله بْنَ شُرَحْبِيلَ وَيَا جَبَّارُ بْنُ فَيْضٍ، قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ الْوَادِيَ إِذَا اجْتَمَعَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ لَمْ يَرِدُوا وَلَمْ يَصْدُرُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِي، وَإِنِّي وَالله أَرَى أَمْرًا مُقْبِلًا، وَأَرَى وَالله إِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَلِكًا مَبْعُوثًا؛ فَكُنَّا أَوَّلَ الْعَرَبِ طَعَنَ فِي عَيْنِهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، لَا يَذْهَبُ لَنَا مِنْ صَدْرِهِ وَلَا مِنْ صُدُورِ قَوْمِهِ حَتَّى يُصِيبُونَا بِجَائِحَةٍ[4]، وَإِنَّا أَدْنَى الْعَرَبِ مِنْهُمْ جِوَارًا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ نَبِيًّا مُرْسَلًا فَلَاعَنَّاهُ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَّا شَعْرَةٌ وَلَا ظُفْرٌ إِلَّا هَلَكَ.

فَقَالَ لَهُ صَاحِبَاهُ: فَمَا الرَّأْيُ، فَقَدْ وَضَعَتْكَ الْأُمُورُ عَلَى ذِرَاعٍ[5]، فَهَاتِ رَأْيَكَ؟

فَقَالَ: رَأْيِي أَنْ أُحَكِّمَهُ، فَإِنِّي أَرَى رَجُلًا لَا يَحْكُمُ شَطَطًا[6] أَبَدًا. فَقَالَا لَهُ: أَنْتَ وَذَاكَ. فَلَقِيَ شُرَحْبِيلُ رَسُولَ الله ﷺ؛ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُلَاعَنَتِكَ. فَقَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَ شُرَحْبِيلُ: حُكْمُكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، وَلَيْلَتَكَ إِلَى الصَّبَاحِ، فَمَهْمَا حَكَمْتَ فِينَا فَهُوَ جَائِزٌ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَعَلَّ وَرَاءَكَ أَحَدًا يُثَرِّبُ[7] عَلَيْكَ؟».

---

(١) الاشْتِمَالُ بالثَّوْبِ أَنْ يَلْتَفَّ بِهِ، فيَطْرَحَهُ عَنْ شِمالِهِ.

(٢) الخَمِيل والخَمِيلة: القَطِيفَة: وهي كل ثَوْب له خَمْل من أيِّ شيء كان. وقِيل: الخَميلُ الأسْوَد من الثِّيَاب.

(٣) المباهلة: مفاعلة من البهلة، وهي اللعنة، ومأخذها من الإبهال، وهو الإهمال والتخلية؛ لأن اللعن والطرد والإهمال من وادٍ واحد، ومعنى المباهلة: أن يجتمعوا إذا اختلفوا فيقولوا: بهلة الله على الظالم منا.

(٤) الجائِحَةُ: المُصِيبَةُ تَجْتَاحُ، أي: تَسْتَأْصِلُ.

(٥) من قولهم: جعلت أمرك على ذراعك، أي: اصنع ما شئت. «أساس البلاغة» مادة (ذرع).

(٦) الشَّطط: وهو الجَوْرُ والظلم والبُعْدُ عن الحقِّ.

(٧) يثرب: يلوم.

فَقَالَ لَهُ شُرَحْبِيلُ: سَلْ صَاحِبِيَّ. فَسَأَلَهُمَا؛ فَقَالَا: مَا يَرِدُ الْوَادِي وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِ شُرَحْبِيلَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَافِرٌ» أَوْ قَالَ: «جَاحِدٌ مُوَفَّقٌ».

فَرَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ يُلَاعِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَوْهُ فَكَتَبَ لَهُمْ فِي الْكِتَابِ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا كَتَبَ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ رَسُولُ الله لِنَجْرَانَ، إِذْ كَانَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ فِي كُلِّ ثَمَرَةٍ، وَفِي كُلِّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ وَرَقِيقٍ فَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ: فِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلَّةٍ، وَفِي كُلِّ صَفَرٍ أَلْفُ حُلَّةٍ، وَكُلُّ حُلَّةٍ أُوقِيَّةٌ، مَا زَادَتْ عَلَى الْخَرَاجِ أَوْ نَقَصَتْ عَلَى الْأَوَاقِي فَبِحِسَابٍ، وَمَا قَضَوْا مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ أَوْ عَرَضٍ أُخِذَ مِنْهُمْ بِحِسَابٍ، وَعَلَى نَجْرَانَ مَؤُنَةُ رُسُلِي وَمُثْعَتُهُم بِهَا مَا بَيْنَ عِشْرِينَ فَدُونَهُ، وَلَا يُحْبَسُ رَسُولٌ فَوْقَ شَهْرٍ، وَعَلَيْهِمْ عَارِيَةٌ ثَلَاثِينَ دِرْعًا وَثَلَاثِينَ فَرَسًا وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا، إِذَا كَانَ كَيْدٌ بِالْيَمَنِ وَمَغْدَرَةٌ، وَمَا هَلَكَ مِمَّا أَعَارُوا رَسُولِي مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ فَهُوَ ضَمَانٌ عَلَى رَسُولِي حَتَّى يُؤَدِّيَهُ إِلَيْهِمْ.

وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهَا جِوَارُ الله، وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَتَبَعِهِمْ، وَأَنْ لَا يُغَيِّرُوا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلَّتِهِمْ، وَلَا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفِيَّتِهِ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا وَافِهٍ عَنْ وَفَهِيَّتِهِ[1]، وَكُلُّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ رِيبَةٌ وَلَا دَمُ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا يُحْشَرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ، وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ، وَمَنْ سَأَلَ مِنْهُمْ حَقًّا فَبَيْنَهُمْ النِّصْفُ غَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ، وَمَنْ أَكَلَ رِبًا مِنْ ذِي قَبْلُ فَذِمَّتِي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَلَا يُؤْخَذُ رَجُلٌ مِنْهُمْ

(١) قال ابن الأثير: الوَافِهُ (هذا شرح الليث كما في الهروي): القَيّم على البَيْت الذي فيه صَليب النَّصارى بلُغَة أهل الجَزِيرَة. وُيُرْوَى [وَاهِفٌ]. وبَعْضُهم يَرْوِيه بالقاف. والصوابُ الفاء. «النهاية» (٥:٤٦٨).

بِظُلْمِ آخَرَ، وَعَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ جِوَارُ الله وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ الله حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ، مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُنْقَلِبِينَ بِظُلْمٍ»

شَهِدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَغَيْلَانُ بْنُ عَمْرٍو وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَكُتِبَ.

حَتَّى إِذَا قَبَضُوا كِتَابَهُمْ انْصَرَفُوا إِلَى نَجْرَانَ فَتَلَقَّاهُمْ الْأُسْقُفُ وَوُجُوهُ نَجْرَانَ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ، وَمَعَ الْأَسْقُفِ أَخٌ لَهُ مِنْ أُمِّهِ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ مِنَ النَّسَبِ، يُقَالُ لَهُ: بِشْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَلْقَمَةَ- فَدَفَعَ الْوَفْدُ كِتَابَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْأُسْقُفِ، فَبَيْنَا هُوَ يَقْرَؤُهُ وَأَبُو عَلْقَمَةَ مَعَهُ وَهُمَا يَسِيرَانِ إِذْ كَبَتْ بِبِشْرٍ نَاقَتُهُ فَتَعَسَّ بِشْرٌ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُكَنِّي عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ الْأَسْقُفُ عِنْدَ ذَلِكَ: قَدْ تَعَّسْت وَالله نَبِيًّا مُرْسَلًا.

فَقَالَ بِشْرٌ: لَا جَرَمَ[1] وَالله، لَا أَحُلُّ عَنْهَا عُقَدًا حَتَّى آتِيَهُ، فَضَرَبَ وَجْهَ نَاقَتِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، وَثَنَى الْأُسْقُفُ نَاقَتَهُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ: افْهَمْ عَنِّي. إِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِتُبَلِّغَ عَنِّي الْعَرَبَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّا أُخِذْنَا حُمْقَةً، أَوْ نَخَعْنَا لِهَذَا الرَّجُلِ بِمَا لَمْ تَنْخَعْ بِهِ الْعَرَبُ، وَنَحْنُ أَعَزُّهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ دَارًا. فَقَالَ لَهُ بِشْرٌ: لَا وَالله، لَا أُقِيلُكَ مَا خَرَجَ مِنْ رَأْسِك أَبَدًا. فَضَرَبَ بِشْرٌ نَاقَتَهُ وَهُوَ مُوَلٍّ ظَهْرَهُ لِلْأُسْقُفِ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِقًا وَضِينُهَا[2] مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا

مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى اُسْتُشْهِدَ أَبُو عَلْقَمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ.

---

(١) لا جَرَم: هذه كلمة تَرِد بمعْنى تَحْقِيق الشَّيء. وقد اخْتُلف في تقديرها فقِيل: أَصْلُها التَّبْرِئة، بمعنى: لا بُدَّ، ثم اسْتُعْمِلت في معْنى حَقًّا.

(٢) الوضينُ: بِطَانٌ مَنْسُوجٌ بَعْضُهُ على بَعْضٍ، يشدّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج. والقلق: المتسع، كِنَايَة عَن هزال النَّاقة.

وَدَخَلَ الْوَفْدُ نَجْرَانَ، فَأَتَى الرَّاهِبُ ابْنُ أَبِي شِمْرٍ الزَّبِيْدِيُّ وَهُوَ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَبِيًّا قَدْ بُعِثَ بِتِهَامَةَ، وَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْأُسْقُفِ، فَأَجْمَعَ أَهْلُ الْوَادِي أَنْ يُسَيِّرُوا إِلَيْهِ شُرَحْبِيلَ بْنَ وَدَاعَةَ وَعَبْدَ الله بْنَ شُرَحْبِيلَ وَجَبَّارَ بْنَ فَيْضٍ فَيَأْتُونَهُمْ بِخَبَرِهِ، فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْـمُبَاهَلَةِ، فَكَرِهُوا مُلَاعَنَتَهُ، وَحَكَّمَهُ شُرَحْبِيلُ فَحَكَمَ عَلَيْهِمْ حُكْمًـا وَكَتَبَ لَـهُمْ كِتَابًا.

ثُمَّ أَقْبَلَ الْوَفْدُ بِالْكِتَابِ حَتَّى دَفَعُوهُ إِلَى الْأُسْقُفِ فَبَيْنَا الْأُسْقُفُ يَقْرَؤُهُ وَبِشْرٌ مَعَهُ حَتَّى كَبَتْ[1] بِبِشْرٍ نَاقَتُهُ فَتَعَسَّهُ؛ فَشَهِدَ الْأُسْقُفُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَانْصَرَفَ أَبُو عَلْقَمَةَ نَحْوَهُ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ.

فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَنْزِلُونِي وَإِلَّا رَمَيْتُ بِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ، فَأَنْزَلُوهُ فَانْطَلَقَ الرَّاهِبُ بِهَدِيَّةٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْهَا هَذَا الْبُرْدُ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْخُلَفَاءُ، وَالْقَعْبُ[2] وَالْعَصَا، وَأَقَامَ الرَّاهِبُ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْمَعُ كَيْفَ يَنْزِلُ الْوَحْيُ وَالسُّنَنُ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ، وَأَبَى الله لِلرَّاهِبِ الْإِسْلَامَ فَلَمْ يُسْلِمْ، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ الله ﷺ فِي الرَّجْعَةِ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنَّ لِي حَاجَةً وَمَعَادًا إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى. فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَلَمْ يَعُدْ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ.

وَإِنَّ الْأُسْقُفَ أَبَا الْحَارِثِ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَمَعَهُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ وَوُجُوهُ قَوْمِهِ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَسْتَمِعُونَ مَا يُنْزِلُ الله عَلَيْهِ؛ فَكَتَبَ لِلْأُسْقُفِ هَذَا الْكِتَابَ وَلِلْأَسَاقِفَةِ بِنَجْرَانَ بَعْدَهُ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ إِلَى الْأُسْقُفِ أَبِي الْحَارِثِ وَأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَكَهَنَتِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ وَأَهْلِ بِيَعِهِمْ وَرَقِيقِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَسُوقَتِهِمْ[3] وَعَلَى كُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، جِوَارُ الله وَرَسُولِهِ، لَا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفَتِهِ وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ وَلَا كَاهِنٌ

---

(١) أي: عثرت.

(٢) القعب: قدح ضخم غليظ.

(٣) السوقة: الرعية وأوساط الناس، وتطلق على الواحد وغيره؛ فيقال هو سوقة، وهم سوقة.

مِنْ كَهَانَتِهِ، وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا سُلْطَانِهِمْ وَلَا مِـمَّـا كَانُوا عَلَيْهِ عَلَى ذَلِكَ، جِوَارُ الله وَرَسُولِهِ أَبَدًا مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُنْقَلِبِينَ بِظَالِمٍ وَلَا ظَالِـمِينَ».

وَكَتَبَ الْـمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَلَمَّـا قَبَضَ الْأُسْقُفُ الْكِتَابَ اسْتَأْذَنَ فِي الِانْصِرَافِ إِلَى قَوْمِهِ وَمَنْ مَعَهُ، فَأَذِنَ لَهم، فَانْصَرَفُوا حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ»[1].

١٢٥- قُدُومِ وَفْدِ الأَزْدِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ

قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي سُوَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: وَفَدْتُ سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ قَوْمِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّـا دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَكَلَّمْنَاهُ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ سَمْتِنَا[2] وَزِيِّنَا؛ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ؟» قُلْنَا: مُؤْمِنُونَ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَـا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَـانِكُمْ؟».

قُلْنَا: خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً: خَمْسٌ مِنْهَا أَمَرَتْنَا بِهَا رُسُلُك أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَخَمْسٌ أَمَرَتْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِهَا، وَخَمْسٌ تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَنَحْنُ عَلَيْهَا الْآنَ، إِلَّا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ بِهَا رُسُلِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِهَا؟».

قُلْنَا: أَمَرَتْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْـمَوْتِ.

قَالَ: «وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا؟» قُلْنَا: أَمَرَتْنَا أَنْ نَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَنَصُومَ رَمَضَانَ، وَنَحُجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٥:٣٨٥)، «زاد المعاد» (٣:٥٤٩).

(٢) السَّمْت: وهو الهيئَة الحسَنَة.

فَقَالَ: «وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟». قَالُوا: الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالرِّضَى بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَالصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللِّقَاءِ، وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ بِالْأَعْدَاءِ[1]. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ».

ثُمَّ قَالَ: «وَأَنَا أَزِيدُكُمْ خَمْسًا؛ فَتَتِمُّ لَكُمْ عِشْرُونَ خَصْلَةً، إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ: فَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَنَافَسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدًا تَزُولُونَ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ، وَارْغَبُوا فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدَمُونَ وَفِيهِ تَخْلُدُونَ». فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ وَحَفِظُوا وَصِيَّتَهُ وَعَمِلُوا بِهَا[2].

١٢٦- وَفْدُ مِنْ قَبِيْلَةِ بَهْرَاءَ

عَنْ كَرِيمَةَ بِنْتِ الْمِقْدَادِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ أُمِّي ضُبَاعَةَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَقُولُ: قَدِمَ وَفْدُ بَهْرَاءَ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْبَلُوا يَقُودُونَ رَوَاحِلَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْمِقْدَادِ -وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا بِبَنِي حُدَيْلَةَ- فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ الْمِقْدَادُ فَرَحَّبَ بِهِمْ، فَأَنْزَلَهُمْ وَجَاءَهُمْ بِجَفْنَةٍ[3] مِنْ حَيْسٍ[4] قَدْ كُنَّا هَيَّأْنَاهَا قَبْلَ أَنْ يَحِلُّوا لِنَجْلِسَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَهَا الْمِقْدَادُ -وَكَانَ كَرِيمًا عَلَى الطَّعَامِ- فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى نَهِلُوا[5]، وَرُدَّتْ إِلَيْنَا الْقَصْعَةُ وَفِيهَا أُكَلٌ، فَجَمَعْنَا تِلْكَ الْأُكَلَ فِي قَصْعَةٍ صَغِيرَةٍ ثُمَّ بَعَثْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ

---

(١) الشَّماتةُ: فرَحُ العَدُوِّ بِبَلِيَّة تَنْزل بمن يُعادِيه.

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٢:٤٨٦) رقم (٩٨٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١:١٩٩)، وعزاه العلامة ابن القيم في «زاد المعاد» (٣:٥٨٦) إلى أَبي نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ».

(٣) الجفنة: القصعة.

(٤) الحَيْسُ: تَمْرٌ يُنْزَعُ نَوَاهُ وَيُدَقُّ مَعَ أَقِطٍ وَيُعْجَنَانِ بِالسَّمْنِ ثُمَّ يُدَلَّكُ بِالْيَدِ حَتَّى يَبْقَى كَالثَّرِيدِ. والأقط: لَبَنٌ مُحَمَّضٌ يُجَمَّدُ حَتَّى يَسْتَحْجِرَ وَيُطْبَخُ أَوْ يُطْبَخُ بِهِ.

(٥) النهل: الشرب الأول، وما أكل من الطعام.

الله ﷺ مَعَ سِدْرَةَ مَوْلَاتِي، فَوَجَدَتْهُ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ضُبَاعَةُ أَرْسَلَتْ بِهَذَا؟» قَالَتْ سِدْرَةُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «ضَعِي» ثُمَّ قَالَ: «مَا فَعَلَ ضَيْفُ أَبِي مَعْبَدٍ؟» قُلْتُ: عِنْدَنَا.

قَالَتْ: فَأَصَابَ مِنْهَا رَسُولُ الله ﷺ أُكَلًا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ حَتَّى نَهِلُوا، وَأَكَلَتْ مَعَهُمْ سِدْرَةُ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبِي بِمَا بَقِيَ إِلَى ضَيْفِكُمْ».

قَالَتْ سِدْرَةُ: فَرَجَعْتُ بِمَا بَقِيَ فِي الْقَصْعَةِ إِلَى مَوْلَاتِي، قَالَتْ: فَأَكَلَ مِنْهَا الضَّيْفُ مَا أَقَامُوا نُرَدِّدُهَا عَلَيْهِمْ وَمَا تَغِيضُ، حَتَّى جَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: يَا أَبَا مَعْبَدٍ، إِنَّكَ لَتَنْهَلُنَا مِنْ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيْنَا، مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِلَّا فِي الْحِينِ، وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الطَّعَامَ بِبِلَادِكُمْ إِنَّمَا هُوَ الْعُلْقَةُ[1] أَوْ نَحْوُهُ، وَنَحْنُ عِنْدَكَ فِي الشِّبَعِ.

فَأَخْبَرَهُمْ أَبُو مَعْبَدٍ بِخَبَرِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا أُكَلًا وَرَدَّهَا؛ فَهَذِهِ بَرَكَةُ أَصَابِعِ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله. وَازْدَادُوا يَقِينًا، وَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ، فَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ، وَأَقَامُوا أَيَّامًا ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ الله ﷺ يُوَدِّعُونَهُ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ[2].

---

(١) العلقة: هى ما يتبلغ به من العيش.

(٢) رواه الواقدي كما ذكر ابن سيد الناس في «عيون الأثر» (٣٠٨:٢)، والعلامة ابن القيم في «زاد المعاد» (٥٦٩:٣). وأخرجه مختصراً ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٣١:١).

١٢٧- إسْلامُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: كُنْتُ لِلْإِسْلَامِ مُجَانِبًا مُعَانِدًا، حَضَرْتُ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَنَجَوْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ أُحُدًا فَنَجَوْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ الْخَنْدَقَ فَنَجَوْتُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَمْ أُوْضِعُ[١]!وَاللهِ لَيَظْهَرَنَّ مُحَمَّدٌ على قُرَيْشٍ، فَلَحِقْتُ بِمَالِي بِالْوَهْطِ[٢] وَأَقْلَلْتُ مِنَ النَّاسِ- أَيْ مِنْ لِقَائِهِمْ-.

فَلَمَّا حَضَرَ الْحُدَيْبِيَةَ، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الصُّلْحِ، وَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى مَكَّةَ، جَعَلْتُ أَقُولُ: يَدْخُلُ مُحَمَّدٌ قَابِلًا مَكَّةَ بِأَصْحَابِهِ، مَا مَكَّةُ بِمَنْزِلٍ، وَلَا الطَّائِفُ، وَمَا شَيْءٌ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ، وَأَنَا بَعْدُ نَاءٍ عَنِ الْإِسْلَامِ، أَرَى لَوْأَسْلَمَتْ قُرَيْشٌ كُلُّهَا لَمْ أُسْلِمْ، فَقَدِمْتُ مَكَّةَ، فَجَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قَوْمِي وَكَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، وَيُقَدِّمُونِي فِيمَا نَابَهُمْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: كَيْفَ أَنَا فِيكُمْ؟ فَقَالُوا: ذُو رَأْيِنَا وَمِدْرَهُنَا[٣] فِي يُمْنِ نَقِيبَةٍ[٤] وَبَرَكَةِ أَمْرٍ.

قَالَ: قُلْتُ: تَعْلَمُونَ[٥] أَنِّي -وَاللهِ- لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ أَمْرًا يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا.قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَلْحَقُ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ مَعَهُ، فَإِنْ يَظْهَرْ مُحَمَّدٌ كُنَّا عِنْدَ

---

(١) أوضع بين القوم أفسد وفي الشر أسرع.

(٢) الوهط: قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاصي. «معجم البلدان» (٤:٣٠٥). تحرفت كلمة الوهط في «مغازي الواقدي» و «دلائل النبوة» إلى الرهط.

(٣) المدره: السيد الشريف، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال.

(٤) نَقِيبة: أَي نَفاذُ رَأْيٍ، ورجل مَيْمونُ النَّقِيبة مباركُ النَّفْسِ مُظَفَّرٌ بما يُحاوِلُ. «لسان العرب» مادة (نقب).

(٥) في «تاريخ الإسلام» (٢:٤٧٠) للذهبي: تَعَلَّمُوا -وَاللهِ- إِنِّي لأَرَى. قال محقق الكتاب: (تعلّموا) فعل أمر بمعنى (اعلموا) ولا يستعمل ماضيا ولا مضارعا بهذا المعنى. وقوله (إنّي لأرى.. إلخ) جملة محتوية على لام الابتداء التي تقتضي تعليق الفعل. ولهذا كسرت همزة (إنّ) ولم تكسر في التي بعدها لعدم التعليق. وقد حرّف بعض المؤلّفين والنّساخ والمحقّقين هذه الكلمة إلى (تعلّمون) مع أنّ السياق ينكرها.

النَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ تَحْتَ يَدِ النَّجَاشِيِّ أَحَبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدِ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ تَظْهَرْ قُرَيْشٌ فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا. قَالُوا: هَذَا الرَّأْيُ.

قَالَ: فَاجْمَعُوا مَا تُهْدُونَهُ لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ، فَجَمَعْنَا أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، فو الله إِنَّا لِعِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ بِكِتَابٍ كَتَبَهُ يُزَوِّجُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ ابْنَةَ أَبِي سُفْيَانَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ؛ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، وَلَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ قَدْ سَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ سَرَرْتُ قُرَيْشًا، وَكُنْتُ قَدْ أَجْزَأْتُ[1] عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ.

فَدَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَجَدْتُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ -أَيُّهَا الْمَلِكُ- أَهْدَيْتُ لَكَ أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ، فَفَرَّقَ مِنْهُ أَشْيَاءَ بَيْنَ بَطَارِقَتِهِ، وَأَقَرَّ بِسَائِرِهِ فَأُدْخِلَ فِي مَوْضِعٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ وَيُحْتَفَظَ بِهِ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ طِيبَ نَفْسِهِ، قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ عَدُوٍّ لَنَا، قَدْ وَتَرَنَا، وَقَتَلَ أَشْرَافَنَا وَخِيَارَنَا، فَأَعْطِنِيهِ فَأَقْتُلَهُ، فَغَضِبَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفِي ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَسَرَهُ، فَابْتَدَرَ مَنْخِرَايَ، فَجَعَلْتُ أَتَلَقَّى الدَّمَ بِثِيَابِي، فَأَصَابَنِي مِنَ الذُّلِّ مَا لَوِ انْشَقَّتْ لِيَ الْأَرْضُ دَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ.

ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ مَا قُلْتُ مَا سَأَلْتُكَهُ، قَالَ: وَاسْتَحْيَا، وَقَالَ: يَا عَمْرُو، تَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ مَنْ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، وَالَّذِي كَانَ يَأْتِي عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِتَقْتُلَهُ! قَالَ عَمْرٌو: وَغَيَّرَ اللهُ قَلْبِي عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: عَرَفَ هَذَا الْحَقَّ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ، وَتُخَالِفُ أَنْتَ!

---

(١) أجزأت عنها: أي: كفيتها.

قُلْتُ: أَتَشْهَدُ أَيُّهَا المَلِكُ بِهَذَا؟! قَالَ: نَعَمْ، أَشْهَدُ بِهِ عِنْدَ الله تَعَالَى، يَا عَمْرُو، فَأَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَوَالله إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

قُلْتُ: أَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَنِي عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ دَعَا بِطَسْتٍ فَغَسَلَ عَنِّي الدَّمَ وَكَسَانِي ثِيَابًا. وَكَانَتْ ثِيَابِي قَدِ امْتَلَأَتْ بِالدَّمِ فَأَلْقَيْتُهَا.

ثُمَّ خَرَجْتُ عَلَى أَصْحَابِي فَلَمَّا رَأَوْا كِسْوَةَ النَّجَاشِيِّ سُرُّوا بِذَلِكَ، وَقَالُوا: هَلْ أَدْرَكْتَ مِنْ صَاحِبِكَ مَا أَرَدْتَ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: كَرِهْتُ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، وَقُلْتُ أَعُودُ إِلَيْهِ. فَقَالُوا: الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: فَفَارَقْتُهُمْ وَكَأَنِّي أَعْمَدُ إِلَى حَاجَة، فَعَمَدْتُ إِلَى مَوْضِعِ السُّفُنِ فَأَجِدُ سَفِينَةً قَدْ شُحِنَتْ تُدْفَعُ، قَالَ: فَرَكِبْتُ مَعَهُمْ وَدَفَعُوهَا حَتَّى انْتَهوا إِلَى الشُّعَيْبَةِ[1] وَخَرَجْتُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَعِي نَفَقَةٌ، فَابْتَعْتُ بَعِيرًا وَخَرَجْتُ أُرِيدَ الْمَدِينَةَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مَرِّ الظهْرَان[2]،ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْهَدَةِ[3] فَإِذَا رَجُلَانِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ يُرِيدَانِ مَنْزِلًا، وَأَحَدُهُمَا دَاخِلٌ فِي الْخَيْمَةِ وَالْآخَرُ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتَيْنِ، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: قُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا، دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَمَعٌ، وَالله، لَوْ أَقَمْتُ لَأُخِذَ بِرِقَابِنَا كَمَا يُؤْخَذُ بِرَقَبَةِ الضَّبُعِ فِي مَغَارَتِهَا. قُلْتُ: وَأَنَا -وَالله- قَدْ أَرَدْتُ مُحَمَّدًا، وَأَرَدْتُ الْإِسْلَامَ. فَخَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَرَحَّبَ بِي، فَنَزَلْنَا جَمِيعًا فِي الْمَنْزِلِ.

---

(١) الشّعيبة: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وكان مرفأ ومرسى سفنها قبل جدّة. وقيل قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن. «معجم البلدان» (٣: ٣٥١).

(٢) مَرّ الظهْران: وهو وَادٍ بين مكة وعُسْفَان.

(٣) الهدة: موضع بين مكة والطائف.

ثمَّ اتفقنا حَتَّى أَتَيْنَا المَدِينَةَ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ رَجُلٍ لِقِيْنَاهُ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ[1] يَصِيحُ: يَا رَبَاحُ يَا رَبَاحُ يَا رَبَاحُ. فَتَفَاءَلْنَا بِقَوْلِهِ، وَسِرْنَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: قَدْ أَعْطَتْ مَكَّةُ الْمُقَادَةَ بَعْدَ هَذَيْنِ.

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَوَلَّى مُدْبِرًا إِلَى المَسْجِدِ سَرِيعًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ الله ﷺ بِقُدُومِنَا، فَكَانَ كَمَا ظَنَنْتُ.

وَأَنَخْنَا بِالْحَرَّةِ[2]، فَلَبِسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنَا، ثُمَّ نُودِيَ بِالْعَصْرِ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ، وَإِنَّ لِوَجْهِهِ تَهَلُّلًا، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُرُّوا بِإِسْلَامِنَا، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ، فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي حَيَاءً مِنْهُ.

قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَمْ يَحْضُرْنِي مَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا».

قَالَ: فَوَالله، مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ الله ﷺ وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرٍ حَزَبَهُ مُنْذُ أَسْلَمْنَا[3].

---

(١) بئر أبي عنبة، بلفظ واحدة العنب، بئر بينها وبين المدينة مقدار ميل. «معجم البلدان» (١: ٣٠١).

(٢) الحرّة: و هما حرتان، الشرقية شرق المدينة، و الغربية في غرب المدينة و تسمى الأولى واقم، و الثانية حرة الوبرة. وتنعطف الشرقية و الغربية من جهة الشمال والجنوب، مما يجعل المدينة بين حرات أربع.

(٣) أخرجه الواقدي في «مغازيه» (٢:٧٤١)، ومن طريقه الواقدي في «دلائل النبوة» (٤:٣٤٣).

١٢٨- حَجَّةُ الوَداعِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا[١] وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ[٢]؛ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الـمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ[٣] فِي ذِكْرِهِ.

وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ: إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ[٤].

أَلَا إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ» قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثًا. «وَيْلَكُمْ -أَوْ وَيْحَكُمْ-[٥] انْظُرُوا، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا[٦] يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[٧].

---

(١) بين أظهرنا: بيننا.

(٢) نتكلم عنها؛ لأن النبيَّ ﷺ ذكرها دون أن نفهم المراد من الوداع.

(٣) أطنب الرَّجُلُ: أتى بالبَلاغَةِ في الوَصْفِ مَدْحاً كان أو ذَمًّا. «القاموس المحيط» مادة (طنب).

(٤) عنبة طافية: بارزة عن سطح وجهه كالعنبة التي تبرز وتخرج عن حد أخواتها من حبات العنقود، وكأنها حبة طافية على وجه الماء.

(٥) قَالَ الْقَاضِي: هُمَا كَلِمَتَانِ اِسْتَعْمَلَتْهُمَا الْعَرَبُ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّوَجُّعِ . قَالَ سِيبَوَيْهِ : (وَيْلٌ) كَلِمَة لِـمَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَة، وَ (وَيْح) تَرَحُّم . وَحُكِيَ عَنْهُ: (وَيْح) زَجْر لِـمَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَكَة . قَالَ غَيْره: وَلَا يُرَاد بِهِمَا الدُّعَاء بِإِيقَاعِ الْهَلَكَة وَلَكِنْ التَّرَحُّمُ وَالتَّعَجُّبُ . وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب ﷺ قَالَ : وَيْح كَلِمَة رَحْمَةٍ. وَقَالَ الْـهَرَوِيُّ: (وَيْح) لِمَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَة لَا يَسْتَحِقُّهَا فَيُتَرَحَّم عَلَيْهِ وَيُرْثَى لَهُ. (وَيْل) لِلَّذِي يَسْتَحِقُّهَا، وَلَا يُتَرَحَّم عَلَيْهِ. والله أَعْلَم. «شرح النووي على مسلم» (١:١٦١).

(٦) أظهر الأقوال: أنه فعل كفعل الكفار، وهو اختيار القاضي عياض رحمه الله.

(٧) أخرجه البخاري (٤:١٥٩٨) رقم (٤١٤١).

١٢٩- مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ خُطْبَـةِ الوَداعِ

عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِزِمَامِ[١] نَاقَةِ رَسُولِ الله ﷺ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَذُودُ[٢] عَنْهُ النَّاسَ؛ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَدْرُونَ فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ، وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ؟» قَالُوا: فِي يَوْمٍ حَرَامٍ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ.

قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ».

ثُمَّ قَالَ: «اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثَرَةٍ[٣] كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي[٤] هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ يُوضَعُ دَمُ رَبِيعَةَ[٥] بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ[٦]، وَإِنَّ اللهَ ﷻ

---

(١) الزمام : الحبل الذي يقاد به البعير.

(٢) أذود: أدفع، وأمنع.

(٣) الْـمَأْثَرة: هِيَ مَا يُؤْثَر وَيُذْكَر مِنْ مَكَارِم أَهْل الْجَاهِلِيَّة وَمَفَاخِرهمْ.

(٤) تَحْت قَدَمَيَّ: أَيْ: بَاطِل وَسَاقِط.

(٥) جاء في رواية مسلم: «وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ اِبْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ». وَتَأَوَّلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فَقَالَ: دَمُ رَبِيعَةَ؛ لِأَنَّهُ وَلِيُّ الدَّمِ، فَنَسَبُهُ إِلَيْهِ، قَالُوا: وَكَانَ هَذَا الِابْنُ الْـمَقْتُولُ طِفْلًا صَغِيرًا يَحْبُو بَيْنَ الْبُيُوتِ، فَأَصَابَهُ حَجَرٌ فِي حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ بَنِي سَعْدٍ وَبَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ . قَالَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ. «تحفة الأحوذي» (٧:٤١١).

(٦) قال الإمام النووي: مَعْنَاهُ الزَّائِد عَلَى رَأْس الْـمَـال كَمَا قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْته إِيضَاح، وَإِلَّا فَالْـمَقْصُود مَفْهُومٌ مِنْ نَفْس لَفْظ الْحَدِيث، لِأَنَّ الرِّبَا هُوَ الزِّيَادَة، فَإِذَا وُضِعَ الرِّبَا فَمَعْنَاهُ وَضْعُ الزِّيَادَة، وَالْـمُرَاد بِالْوَضْعِ: الرَّدُّ وَالْإِبْطَال. «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤:٣١٢).

قَضَى أَنَّ أَوَّلَ رِبًا يُوضَعُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ.

أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ(١) كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْـمُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَكُمْ(٢)، فَاتَّقُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ(٣)، لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّ لَـهُنَّ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا غَيْرَكُمْ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ(٤).

---

(١) قال الإمام النووي: قَالَ الْعُلَمَاء : مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّة يَتَمَسَّكُونَ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيم ﷺ فِي تَحْرِيم الْأَشْهُر الْحُرُم، وَكَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ تَأْخِير الْقِتَال ثَلَاثَة أَشْهُر مُتَوَالِيَات، فَكَانُوا إِذَا اِحْتَاجُوا إِلَى قِتَال أَخَّرُوا تَحْرِيم الْـمُحَرَّم إِلَى الشَّهْر الَّذِي بَعْده وَهُوَ صَفَر، ثُمَّ يُؤَخِّرُونَهُ فِي السَّنَة الْأُخْرَى إِلَى شَهْر آخَر، وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ فِي سَنَةٍ بَعْد سَنَة، حَتَّى اخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْأَمْر، وَصَادَفَتْ حَجَّة النَّبِيِّ ﷺ تَحْرِيمهمْ، وَقَدْ تَطَابَقَ الشَّرْع، وَكَانُوا فِي تِلْكَ السَّنَة قَدْ حَرَّمُوا ذَا الْحِجَّة لِـمُوَافَقَةِ الْحِسَاب الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الِاسْتِدَارَة صَادَفَتْ مَا حَكَمَ اللهُ تَعَالَى بِهِ يَوْم خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: كَانُوا يَنْسَئُونَ، أَيْ: يُؤَخِّرُونَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:٣٧]. فَرُبَّمَا اِحْتَاجُوا إِلَى الْحَرْب فِي الْـمُحَرَّم، فَيُؤَخِّرُونَ تَحْرِيمه إِلَى صَفَر، ثُمَّ يُؤَخِّرُونَ صَفَر فِي سَنَة أُخْرَى، فَصَادَفَ تِلْكَ السَّنَة رُجُوع الْـمُحَرَّم إِلَى مَوْضِعه.

(٢) بِالْخُصُومَاتِ وَالشَّحْنَاء وَالْحُرُوب وَالْفِتَن وَنَحْوهَا.

(٣) جَمْعُ عَانِيَةٍ، أَيْ: أُسَرَاءُ كَالْأُسَرَاءِ، شُبِّهْنَ بِهِنَّ عِنْدَ الرِّجَالِ لِتَحَكُّمِهِنَّ فِيهِنَّ.

(٤) قال الإمام النووي: أَنَّ مَعْنَاهُ أَلَّا يَأْذَنَّ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ فِي دُخُول بُيُوتكُمْ وَالْجُلُوس فِي مَنَازِلكُمْ، سَوَاء كَانَ الْـمَأْذُون لَهُ رَجُلًا أَجْنَبِيًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَحَدًا مِنْ مَحَارِم الزَّوْجَة. فَالنَّهْي يَتَنَاوَل جَمِيع ذَلِكَ.

فَإِنْ خِفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ[1] فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْـمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[2]، وَلَـهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْـمَعْرُوفِ[3]، وَإِنَّمَـا أَخَذْتُـمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ[4]، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[5].

وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا» وَبَسَطَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ» ثُمَّ قَالَ: «لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ أَسْعَدُ مِنْ سَامِعٍ»[6].

١٣٠- دُعَاءُ النَّبيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ فِيمَـا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي، لا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ، الْـمُسْتَغِيثُ الْـمُسْتَجِيرُ، الْوَجِلُ الْـمُشْفِقُ الْـمُقِرُّ الْـمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْـمُسْتَكِينِ، وأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابتهالَ الْـمُذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ، مَنْ

---

(١) أَصْل النُّشُوز الِارْتِفَاع وَنُشُوز الْمَرْأَة هُوَ بُغْضهَا لِزَوْجِهَا وَرَفْع نَفْسهَا عَنْ طَاعَته وَالتَّكَبُّر عَلَيْهِ.

(٢) الضَّرْب الْـمُبَرِّح: هُوَ الضَّرْب الشَّدِيد الشَّاقّ، وَمَعْنَاهُ: اِضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا لَيْسَ بِشَدِيدٍ وَلَا شَاقٍّ.

(٣) فِيهِ وُجُوب نَفَقَة الزَّوْجَة وَكِسْوَتهَا وَذَلِكَ ثَابِت بِالْإِجْمَاعِ، بِاعْتِبَارِ حَالكُمْ فَقْرًا وَغِنًى، أَوْ بِالْوَجْهِ الْـمَعْرُوف مِنَ التَّوَسُّط الْـمَمْدُوح.

(٤) أَيْ: بِعَهْدِهِ مِنَ الرِّفْق وَحُسْن الْعِشْرَة.

(٥) أَيْ: بِشَرْعِهِ أَوْ بِأَمْرِهِ وَحُكْمه، وَهُوَ قَوْله تعالى: (فَانْكِحُوا). وَقِيلَ: بِالْإِيجَابِ وَالْقَبُول، أَيْ: بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا.

(٦) أخرجه أحمد (٥:٧٢) رقم (٢٠٧١٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣:٥٨٥): رواه أحمد، وأبو حرة الرقاشي، وثقه أبو داود، وضعفه ابن معين. وفيه علي بن زيد وفيه كلام. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره مقطعاً، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد.

خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلَّ جَسَدُهُ، وَرَغِمَ أَنْفُهُ لَكَ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيًّا، وَكُنْ بِي دَوْمًا رَحِيمًا، يَا خَيْرَ الْمَسْؤُولِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ»[1].

١٣١- إِسْلامُ عِكْرِمَةَ

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ، قال: قَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْك إِلَى الْيَمَنِ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمِّنْهُ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هُوَ آمِنٌ».

فَخَرَجَتْ أُمُّ حَكِيمٍ فِي طَلَبِهِ وَمَعَهَا غُلَامٌ لَهَا رُومِيٌّ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَجَعَلَتْ تُمَنِّيهِ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَى حَيٍّ مِنْ عَكٍّ[2]، فَاسْتَغَاثَتْهُمْ عَلَيْهِ فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطًا، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ وَقَدْ انْتَهَى إِلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ[3] فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَجَعَلَ نُوتِيُّ السَّفِينَةِ[4] يَقُولُ له: أَخْلِصْ! قال: أَيَّ شَيْءٍ أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ. قَالَ عِكْرِمَةُ: مَا هَرَبْت إِلّا مِنْ هَذَا.

فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ، فَجَعَلَتْ تُلِحُّ إِلَيْهِ، وَتَقُولُ: يَا ابْنَ عَمٍّ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ وَأَبَرِّ النّاسِ وَخَيْرِ النَّاسِ، لَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ. فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ الله ﷺ. قَالَ: أَنْتِ فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّنَكَ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١:١٧٤) رقم (١١٤٠٥)، و «الصغير» (٢:١٥) رقم (٦٩٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣:٥٦٠): وفيه يحيى بن صالح الأبلي، قال العقيلي : روى عنه يحيى بن بكير مناكير، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ العراقي: وإسناده ضعيف. «تخريج الإحياء» (١:٢٠٩).

(٢) عك: مخلاف من مخاليف مكة التهامية. «معجم ما استعجم» «ص٢٢٣). المِخْلَافُ فِي الْيَمَنِ كالرُّسْتاق فِي العِراق، وَجَمْعُهُ المَخَالِيفُ، وهي: السواد والقرى. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢ : ٧٠).

(٣) تهامة: تساير البحر، منها مكة. وللمزيد في تحديدها انظر «معجم البلدان» (٢ : ٦٣).

(٤) النَّواتِيُّ: المَلَّاحون. وهو من كلام أهل الشام، واحدهم نُوتِيٌّ. «الصحاح» (١ : ٢٦٩).

فَرَجَعَ مَعَهَا وَقَالَ: مَا لَقِيتِ مِنْ غُلَامِكَ الرُّومِيِّ؟ فَخَبَّرَتْهُ خَبَرَهُ فَقَتَلَهُ عِكْرِمَةُ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ لَمْ يُسْلِمْ. فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلَا تَسُبُّوا أَبَاهُ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ، وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ».

قَالَ: وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ امْرَأَتَهُ يُجَامِعَهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَقُولُ: إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ. فَيَقُولُ: إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكِ مِنِّي لَأَمْرٌ كَبِيرٌ.

فَلَمَّا رَأَى النبيُّ ﷺ عِكْرِمَةَ وَثَبَ إِلَيْهِ- وَمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رِدَاءٌ- فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ، ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَزَوْجَتُهُ مُنْتَقِبَةٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «صَدَقَتْ، فَأَنْتَ آمِنٌ». فَقَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِلَى مَا تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ؟

قَالَ: «أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَفْعَلَ، وَتَفْعَلَ»» حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَالله، مَا دَعَوْتَ إِلَّا إِلَى الْحَقِّ وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، قَدْ كُنْتَ -وَالله- فِينَا قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقُنَا حَدِيثًا وَأَبَرُّنَا بِرًّا. ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَسُرَّ بِذَلِكَ ﷺ، ثم قَالَ: يَا رَسُولَ الله، عَلِّمْنِي خَيْرَ شَيْءٍ أَقُولُهُ.

قَالَ: «تَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ عِكْرِمَةُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَقُولُ: أُشْهِدُ اللهَ وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَاهِدٌ». فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَسْأَلُنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَهُ».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ وَضَعْتُ فِيهِ، أَوْ مَقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ، أَوْ كَلَامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ أَوْ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ، فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عِرْضٍ، فِي وَجْهِي أَوْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَضِيتُ يَا رَسُولَ الله. ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: أَمَا وَالله يَا رَسُولَ الله، لَا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أُنْفِقُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ الله إِلَّا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ الله، وَلَا قِتَالًا كُنْت أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ الله إِلّا أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ الله.

ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا[1]، فَرَدَّ رَسُولُ الله ﷺ امْرَأَتَهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ الْأَوَّلِ[2].

١٣٢- النَّبيُّ ﷺ يَدعُو لِشُهداءِ أُحُدٍ فِي الـمَدينةِ

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْـمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْـمِنْبَرِ؛ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ[3]، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَالله مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»[4].

زَادَ ابنُ حِبَّانَ وَالطَّبَرَانِيُّ: «فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا، وَكَانَتْ آخِرَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ»[5].

---

(١) روى سيف في «الفتوح» بسند له: أن عكرمة نادى: مَن يُبايع على الموت؟ فبايعه عمُّه الحارث، وضرار بن الأزور في أربعمائة من المسلمين، وكان أميراً على بعض الكراديس، وذلك سنة خمس عشرة في خلافة عمر، فقتلوا كلهم إلا ضراراً. وقيل: قتل يوم مرج الصفر، وذلك سنة ثلاث في خلافة أبي بكر. «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤ : ٤٤٣).

(٢) «مغازي الواقدي» (٢:٨٥١).

(٣) قال أهل اللغة: الفرط والفارط، هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى فرطكم على الحوض سابقكم إليه كالمهيء له.

(٤) أخرجه البخاري (٤:١٤٩٨) رقم (٣٨٥٧).

(٥) أخرجه ابن حبان (١٤:٥٦٠) رقم (٦٥٩٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧:٢٧٩) رقم (٧٧٠).

١٣٣- اشْتِدَادُ مَرَضِ النَّبيِّ ﷺ

عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ[1] النَّبِيُّ ﷺ؛ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ. قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْـمِخْضَبِ[2]». قَالَتْ: فَفَعَلْنَا؛ فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ[3] فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْـمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْـمِخْضَبِ». فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ»؟ فَقُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله.

وَالنَّاسُ عُكُوفٌ[4] فِي الْـمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَام لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا-: يَا عُمَرُ، صَلِّ بِالنَّاسِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ. فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً؛ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ؛ فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ؛ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: «أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ» فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي

---

(١) ثقل: اشتد مرضه.

(٢) المخضب: وعاء من خشب أو حجر.

(٣) لينوء: لينهض بجهد. من قولهم: نؤت بالحمل أنوء بِهِ: إذا نهضت بِهِ.

(٤) عكوف: مجتمعون، جمع عاكف وأصل العكوف اللُّبث.

بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ[1].

١٣٤- اقْتِصَاصُهُ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ

رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ الْفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ مَوْعُوكًا قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «خُذْ بِيَدِي يَا فَضْلُ». فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمِنْبَرِ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: « صِحْ فِي النَّاسِ».

فَصِحْتُ فِي النَّاسِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرَهُ فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلا وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلا لا يَقُولَنَّ رَجُلٌ إِنِّي أَخْشَى الشَّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ الله ﷺ، أَلَا وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلا مِنْ شَأْنِي، أَلا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ اللهَ وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، أَلا وَإِنِّي لا أَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارًا». ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ[2].

١٣٥- نَظْرُ النَّبِيِّ ﷺ إلى أَصْحَابِهِ صَبِيحةَ يَومِ وَفَاتِهِ

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ الله ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري (١:٢٤٣) رقم (٦٥٥)، ومسلم (١:٣١١) رقم (٤١٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣:١٠٤) رقم (٢٦٢٩)، والبزار في «مسنده» (٦:٩٨) رقم (٢١٥٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨:٥٩٦): رواه الطبراني في« الكبير» و «الأوسط» وأبو يعلى بنحوه، وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجال أبي يعلى ثقات، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم.

عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَقَالَ أَنَسٌ: وَهَمَّ الْـمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ؛ فَرَحًا بِرَسُولِ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَتِـمُّوا صَلَاتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ[1].

١٣٦- جَمَعَ اللهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ

كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تَقُولُ: « إِنَّ مِنْ نِعَمِ الله عَلَيَّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي[2]، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ الله ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ؛ فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ[3] فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى[4]» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١:٤٠٣) رقم (١١٤٧)، وابن حبان (١٤:٥٨٧) رقم (٦٦٤٠).

(٢) (سحري ونحري) أي بين صدري وعنقي، السحر الرئة أو الصدر.

(٣) (ركوة) إناء صغير من الجلد يشرب منها الماء.

(٤) قال الحافظ ابن الجوزي: «الرفيق الْأَعْلَى» ذهب قوم إِلَى أَن الْمَعْنى: أَلحقني بك، وَقد ردَّه الْأَزْهَرِي وَقَالَ: هَذَا غلط؛ وَإِنَّمَا الرفيق هَاهُنَا جمَاعَة الْأَنْبِيَاء الَّذين يسكنون أَعلَى عليين، اسْم جَاءَ على (فعيل) وَمَعْنَاهُ الْجَمَاعَة. وَيُقَوِّي هَذَا القَوْل أَن فِي بعض أَلْفَاظ الحَدِيث أَنه قَالَ: «مَعَ الَّذين أَنْعَمت عَلَيْهِم من النَّبِيين وَالصديقين وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ». وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَان الْخطابِيُّ: الرفيق بِمَعْنى الرفقاء، كَمَا يُقَال للْجَمَاعَة: صديق وعدو. قَالَ: وَيَعْنِي المَلَائِكَة. «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤: ٢٨٧).

(٥) أخرجه البخاري (٤:١٦١٦) رقم (٤١٨٤).

تم الكتاب بحمد الله

الفهرس

مقدمة المؤلف..... ٥

مُحمدٌ ﷺ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ تَحمُلُ بَرَكَتُهُ عَلَى أُسْرَةِ حَلِيمَة..... ٩

حِفْظُ الله تَعَالَى لِرَسولِهِ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ..... ١١

قِصَّةُ بَحِيرَى ١٣

غُلامُ خَدِيجَةَ (مَيْسَرةُ) يَرَى إِرْهَاصَاتِ النُّبُوَّةِ..... ١٧

خَديجةُ تَخْطِبُ النَّبِيَّ ﷺ..... ١٩

نُزولُ جِبْـرِيلَ عليه السلام بالوَحْيِّ ٢٠

خديجةُ رضي الله عنها تَتَأَكَّدُ مِنْ ضَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ..... ٢٢

سَلامٌ مِنَ الله عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِد..... ٢٣

لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ٢٤

أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الإِسْلامِ ٢٥

أَحَدٌ أَحَدٌ..... ٢٦

عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه يَقْتَرِبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ٢٧

الْـهِجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْـحَبَشَةِ..... ٢٨

إِسْلامُ عُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ رضي الله عنه ٢٨

إِسْلامُ أَبِي ذَرٍّ وَقَوْمِهِ رضي الله عنهم..... ٣٢

ضِمَـادٌ رضي الله عنه يَرْقِي النَّبِيَّ ﷺ..... ٣٤

مُـحَاوَلَةُ إِحْبَاطِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَبِي لَـهَبٍ (عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ)..... ٣٥

أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ الله..... ٣٦

دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالهَرِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ..... ٣٦

إِكْرَامُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْـفُقَرَاءِ..... ٣٧

مَـثَـلٌ لِـدِيْـنِ الله..... ٣٨
الشَّاعِرُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ ﷺ يُقَـيِّمُ النَّبِيَّ ﷺ..... ٣٩
الصُّحْبَـةَ الصُّحْبَـةَ ٤٠
نَوْمُ عَلِيٍّ ﷺ فِي مَضْجَعِهِ ﷺ ٤١
سُرَاقَةُ يَطْمَحُ لِنَيلِ الجَائِزَةِ..... ٤٣
أَضْوَأُ أَيَّامِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ٤٥
مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ﷻ خَيْراً مِنْهَا ٤٦
إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا ٤٧
زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها..... ٤٨
دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِبَنِي ثَقِيفٍ بَعْدَ إِسَاءَتِهِمْ إِلَيهِ ٤٩
بَيْعَةُ الأَنْصَارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ بِمَكَّةَ وَتَصْدِيقُهُمْ إِيَّاهُ ٥١
ضِيَافَةُ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ لِرَسُولِ الله ﷺ..... ٥٣
دُسْتُورُ الْـمَدِيْنَةِ ٥٤
فَضِيلَةُ أَهْلِ بَدْرٍ..... ٥٩
لا تَقْـتُـلُـوا شَـيْـخـاً..... ٦٠
مَكِيْدَةُ صَفْوَانَ وَعُمَيرٍ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ..... ٦٢
مُشَاوَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ الْقَوْمَ فِـي الْـخُرُوجِ أَوْ الْبَقَاءِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ..... ٦٤
مَصَائِبُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ٦٦
صَبْرُ امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ ٦٩
مُعالجَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ ٧٠
اسْتَقَادَ لَـهَا سَعْدٌ ٧١
وَحْشِيّ يُحَدِّثُ عَنْ قَتْلِهِ حَمْزَةَ..... ٧٢

بِلالٌ فِي وَرْطَةٍ ٧٤
خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللهَ لَهُ ٧٧
وَلَوْ بِشِقِّ تَـمْرَةٍ ٧٨
خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا..... ٧٩
الشَّاةُ الْـمَسْمُومَةُ ٨٠
حَدِيثُ إِسْلامِ سَلْمَـانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٨٢
غَوْرَثُ بْنُ الحَارِثِ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ ٨٨
الطَّيرُ يَفْرَقُ لِفَقْدِ فِرَاخِهِ ٨٩
خَبرُ وِلادَةِ إِبراهيمَ ابنِ النَّبِيِّ ﷺ وَوفاتِهِ..... ٩٠
أَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ..... ٩٢
بِشَارَةٌ عَظِيْمَةٌ لِـمَن يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ٩٢
أَعْجَبُ مَا رَأَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها مِنْ رَسُولِ الله ﷺ..... ٩٣
رَسُولُ الله ﷺ تُسْهِرُه تَـمْرَةٌ ٩٤
النَّبِيُّ ﷺ يُـحَذِّرُ أَصْحَابَهُ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ ٩٥
تَخَلِّي النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الدُّنْيَا..... ٩٦
فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا..... ٩٩
النَّبِيُّ ﷺ مَعَ بَدوِيٍّ مُزْعِجٍ ١٠٠
شَيْخٌ كَادَ يَطِيْرُ مِنَ الْفَـرَحِ ١٠٤
أَلَيْسَ اللهُ بِأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ؟..... ١٠٢
لَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ ١٠٣
أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ الله..... ١٠٤
وَصَايَا ذَهَبِيَّةٌ..... ١٠٥

حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ١٠٦
النَّبِيُّ ﷺ يُدَارِي فَاحِشاً..... ١٠٧
مُسَاعَدَةُ زَوْجٍ غَيْرِ مَرْغُوْبٍ فِيْهِ ١٠٨
أَنْفَقُ ثَيِّبٍ فِي المَدِينَةِ ١٠٩
تَصَدُّقُ الْـمَـرْأَةِ الْـمَيْسُوْرَةِ عَلَى زَوْجِهَا..... ١١٠
حِرْصُ الأَنْصَارِ عَلَى الْعِلْمِ..... ١١١
اللهُ أَقْدَرُ عَلَيكَ..... ١١١
إِنَّمَـا أَنَا بَشَرٌ..... ١١٢
جِئتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي ١١٣
آمَنَ شِعْرُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَكَفَرَ قَلْبُهُ ١١٥
ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا..... ١١٥
الْـجَنَّةُ لاَ تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ..... ١١٦
امْـرَأَةٌ مِـنْ أَهْـلِ الْـجَـنَّـةِ..... ١١٦
إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَـمْلُوءَةٌ ظُلْمةً عَلَى أَهْلِهَا..... ١١٧
حَنِيْنُ نَخْلَةٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ..... ١١٧
لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا..... ١١٨
يَا رَسُولَ الله، خَشِيْتُ أَنْ لا أَرَاكَ..... ١١٨
فَوْزٌ فِي السِّبَاقِ، وَدَرْسٌ فِي التَّوَاضُعِ..... ١١٩
اقْتِصَاصٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ..... ١١٩
الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالـمَـاءُ..... ١٢٠
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ..... ١٢٠
طلب الإذن لِطَعَامِ الضِّيَافَةِ لِمَنْ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهَا..... ١٢١

مَا أَهْجُرُ إِلا اسْمَكَ..... ١٢٢
خَيَارٌ صَعْبٌ لِزَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ..... ١٢٢
الْـحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ﷺ..... ١٢٥
لَو تَعْلَمُونَ مِنَ الدُّنيا مَا أَعْلَمُ..... ١٢٧
الدِّفاعُ عَنِ الـمَدِيْنةِ الـمُنوَّرةِ ضِدَّ الأَحْزَابِ..... ١٢٧
ثُلُثَ ثِمَـارِ الْـمَدِينَةِ لِغَطَفَانَ..... ١٣١
الظُّرُوفُ الصَّعْبَةُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ المَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ..... ١٣٢
إِخْبارُهُ ﷺ بِانْتِهاءِ غَزْوِ قُريشٍ لَـهُمْ..... ١٣٤
حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ (الْحُدَيْبِيَة) ١٣٤
مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ..... ١٤٧
عَائشةُ رضي الله عنها زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ وَحَديثَ الإِفْكِ..... ١٤٨
مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ!..... ١٥٦
بَعْثُ النَّبِيِّ ﷺ علياً رضي الله عنه بِصَدْرِ بَرَاءَةَ..... ١٥٨
إِسْلَامُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ وَعَبْدِ الله بْنِ أُمَيَّةَ..... ١٥٩
هِدَايةُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي ضَواحِي مَكَّةَ..... ١٦٠
النَّبيُّ ﷺ يُطَمْئِنُ الخَائفَ..... ١٦٣
قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ ١٦٤
اِسْتِرْدَادُ الرَّايةِ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبادَةَ..... ١٦٥
مَنْ سَيُمْسِكُ مِفْتاحَ الْكَعْبَةِ؟..... ١٦٦
النَّبيُّ ﷺ يُخاطِبُ قُريشاً..... ١٦٧
فِكْرَةُ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ..... ١٦٧
عُمَيرٌ يُريدُ لِصاحِبِهِ القَديمِ الصُّلحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ..... ١٦٨

هِنْدُ بِنْتُ عُتبةَ عِندَ النَّبيِّ ﷺ مَعَ النِّساءِ يُبَايِعْنَ عَلَى الإِسْلامِ..... ١٦٨
وَرَثَةُ ابْنِ الْوَقَّـاصِ..... ١٧٠
بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ ١٧١
النَّبِيُّ ﷺ يَتَجَهَّزُ لِـهُجُومِ هَوَازِنَ..... ١٧٢
دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لأَعْدَائِهِ الْقُدَماءِ (بَنِي ثَقِيف) ١٧٣
تَوْزِيعُ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ..... ١٧٣
مُعَارَضَةٌ فِي الْعَطَايَا..... ١٧٤
الأَنْصارُ يَفْتَحونَ قَضِيَّـةً..... ١٧٤
تَوَقُّعُ مَقَرٍّ جَدَيدٍ لِلنَّبيِّ ﷺ..... ١٧٦
مَوْتُ رَأْسِ الـمُنافِقِينَ عَبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ..... ١٧٧
إِسْلامُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَأُخْتِهِ..... ١٧٧
أَسْرُ الرَّسُولِ ابْنَةَ حَاتِمٍ ثُمَّ إِطْلاقُهَا..... ١٧٩
إِشَارَةُ ابْنَةِ حَاتِمٍ عَلَى عَدِيٍّ بِالإِسْلامِ..... ١٨٠
قُدُومُ عَدِيٍّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِسْلامُهُ..... ١٨٠
وُقُوعُ مَا وَعَدَ بِهِ الرّسُولُ ﷺ عَدِيًّا..... ١٨٢
وَفْدُ نَجْرَانَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ..... ١٨٢
قُدُومِ وَفْدِ الأَزْدِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ..... ١٨٩
وَفْـدٌ مِنْ قَبِيْلَةِ بَهْرَاءَ..... ١٩٠
إِسْلامُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ١٩٢
حَجَّةُ الوَداعِ..... ١٩٦
مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ خُطْبَـةِ الوَداعِ ١٩٧
دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ..... ١٩٩

إِسْلامُ عِكْرِمَةَ ٢٠٠
النَّبِـيُّ ﷺ يَدعُو لِشُهداءِ أُحَدٍ فِي الـمَدينةِ..... ٢٠٢
اشْتِدَادُ مَرَضِ النَّبيِّ ﷺ..... ٢٠٣
اقْتِصَاصُهُ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ..... ٢٠٤
نَظْرُ النَّبيِّ ﷺ إلى أَصْحَابِهِ صَبِيحةَ يَومِ وَفَاتِهِ..... ٢٠٤
جَمَعَ اللهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ..... ٢٠٥